الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

سلسلةُ زادِ المُناسَبات

زادُ المُبلغات

الجزءُ الرابع

البحثة والمستشارة التربوية
ثياب سندس

مناسبات شهر ربيع الآخِر

مركز الإرشاد الأسري/ النجف الأشرف

زادُ المُبلِّغات
الجزء الرابع
(مناسبات شهر ربيع الآخِر)

كتاب: زاد المُبلِّغات - الجزء الرابع -
تأليف وإعداد: الباحثة مياسة شبع
تصميـــــــــم: كرار الشمخي
النـــــــــاشر:
الطبعـــــــــة:
عدد الصفحـــات: ٢٧٤

مركز الإرشاد الأسري / النجف الأشرف
٠٧٨١٥٠٥٤٥٦٤ - ٠٧٨١٥٨٤٠٠٦٠
EMAIL: fgc.najaf@gmail.com
fgc.najaf@outlook.com

الجزء الرابع

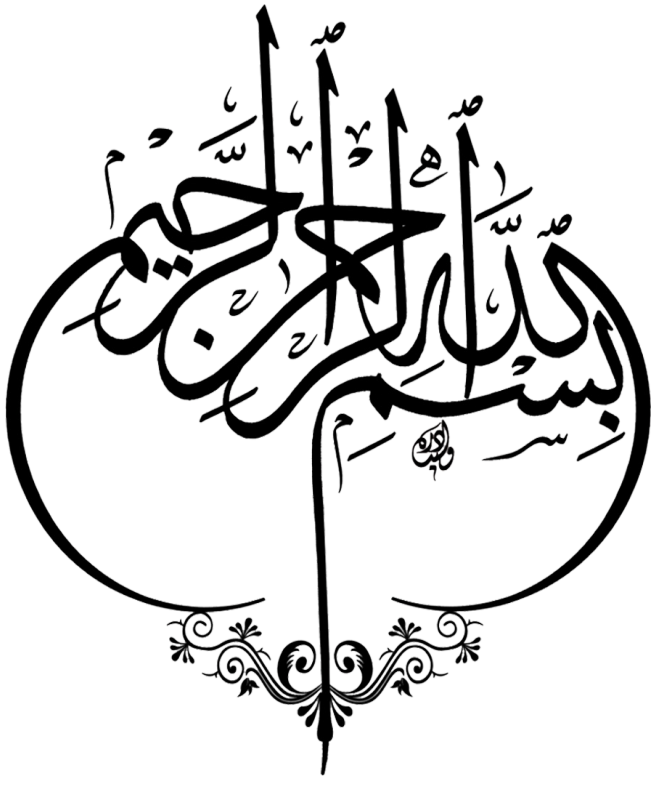
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة ٦

يوم اربيع الثاني: شهادة الإمام الباقر عليه السلام ١٠

موضوع المحاضرة: الغناء سعادةٌ أم شقاء؟! ١٢

يوم ٨ ربيع الثاني: ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٣١

موضوع المحاضرة: الردُّ الوجيز على مُنكري التقليد ٣٢

يوم ٨ ربيع الثاني: شهادة السيدة الزهراء عليها السلام ٥٥

موضوع المحاضرة: فاطمة وليلة القدر ٥٧

عن الأيام الفاطمية ٧٨

موضوع المحاضرة: هل نتمكن من رؤية اللّه؟ ٨٠

عن الأيام الفاطمية ١٠٤

موضوع المحاضرة: فاطمة أم أبيها ١٠٦

عن الأيام الفاطمية ١٢٤

موضوع المحاضرة: فاكهة المجالس المحرّمة ١٢٦

عن الأيام الفاطمية ١٤٥

موضوع المحاضرة: أساليب التربية بالعقاب ١٤٧

يوم ١٠ ربيع الثاني: وفاة السيدة المعصومة عليها السلام ١٦٩

موضوع المحاضرة: الصاحب ساحب ١٧٠

يوم ١٣ ربيع الثاني: شهادة السيدة الزهراء عليها السلام ١٩٣

موضوع المحاضرة: احذروا هوس التجميل ١٩٥

يوم ١٤ ربيع الثاني: ثورة المختار الثقفي في الكوفة ٢١٧

موضوع المحاضرة: الخيانة الزوجية في المنظور الإسلامي ٢١٨

الهوامش ٢٣٦

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

تُعَدُّ مهمّة العمل التبليغي من أشرف الأعمال التي تقع على عاتق أهل العلم والإيمان كونها تتّحد في جوهرها وماهيتها مع مهام الأنبياء والرسل والأولياء.

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1] نجد في كل مناسبة دينية تُستنفَر همم الأخوات المبلّغات لأداء واجبهن في نشر العلم والحثّ على العمل الصالح أداءً لهذه المهمّة الرساليّة العالية، وبالأخص ونحن نعيش في زمن تزداد الحاجة فيه إلى التبليغ؛ لأنّ الإعلام المضاد للدين ــ والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية، وتُوظّف فيه أحدث الأساليب والطرق ــ قد بلغ أقصى مداه، خاصّة وأنّ الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجدّية، وفي المواجهة الراهنة سيحدّد إمّا البقاء بعزّ ورفعة الإسلام والمسلمين أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرّر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة الذلّ والانحطاط[2].

وفي إطار مواكبة المبلّغات في عملهن التبليغي الذي يمثل غاية الشرف، وبهدف تأمين مادة ثقافية تُمكّن المبلّغة من الاستفادة منها لإحياء المناسبات الدينية، وحرصاً على إرشاد الفرد والأسرة والمجتمع من النواحي التربوية والاجتماعية والإيمانية؛ عمد مركز الإرشاد الأسري في النجف الأشرف، التابع للعتبة الحسينية المقدسة، إلى تأليف كتاب (زاد المُبلِّغات) والذي يقع ضمن سلسلة (زاد المناسبات) في عشرة أجزاء، وكل جزء سنطرح فيه أبرز المناسبات الدينية لكل شهر وفق التاريخ الهجري، والتي سيتم بيانها بمحاضرة أو الإشارة إليها

بشكل موجز بعد ربطها بمحاضرة معينة، وعدد مناسبات كل جزء يتراوح ما بين(١٠-١٣) مناسبة دينية. علماً أن الأخوات غير مقيّدات بطرح المحاضرة لنفس المناسبة المطروحة في الكتاب، بل لهنّ الحرية في ربطها بأي مناسبة دينية أخرى.

ولقد حرصنا على أن تكون مواضيع المحاضرات منتخبة من الواقع الذي تعيشه الأمة (ومقسّمة ومنوّعة حتّى لا تُسبب الملل للمتلقّي، وتكون مناسبة لكافّة شرائح الحاضرات والمتلقّيات، ففي اغلب المجالس تحضر الفتاة الشابّة والمرأة المسنّة، وهناك مَن تحمل شهادة ولديها مستوى ثقافي متوسّط أو عال، وهناك مَن لا تحمل شهادة، ولربما تكون أُميّة، فيتوجّب مراعاة الفوارق الفردية بين صفوف الحاضرات، وهذا ما يُشير إليه النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله: إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم)[٣]، فمن ذكاء المبلّغة أو الداعية أن تعرف ما تحتاج إليه المتلقّية من أمور دينية وتربوية وغيرها، فلا تنتظر أن تأتي النساء إليها، بل هي التي تقتحم الميادين)[٤]، فالمبلّغ كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واصفاً النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه.. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى، وآذان صم، وألسنة بكم.. متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة)[٥].

أي ان المبلّغة كالطبيب الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية مناسبة لنوع المرض، فعلى سبيل المثال لو كانت اغلب امراض النساء هي التبرج والسفور، أو التأثر بالفساد الإعلامي فوجب التركيز على تلك المواضيع أكثر من غيرها. وأيضاً الطبيب الماهر هو الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية كافية تفي بالغرض دون زيادة أو نقصان، فإذا زادت المحاضرة ربما تسبّب نفوراً وملالاً، وإذا نقصت فسوف تسبّب سوء فهم، أو عدم اكتمال الصورة المطلوبة في ذهن السامعة، ولقد ارتأينا

ان نطـــرح الحـــد الأعلـــى، فكانـــت مُـــدَّة طـــرح المحاضـــرة فـــي هـــذا الكتـــاب مـــا بيـــن (٣٥-٤٥) دقيقـــة، وللمبلّغـــة الحريـــة فـــي ايجازهـــا وانتخـــاب مـــا تـــراه مناســـباً.

وختامًـــا أســـأل اللّه تعالـــى أن يتقبّـــل هـــذا العمـــل بأحســـن قبـــول وأن ينـــال رضـــا قلـــب صاحـــب العصـــر والزمـــان عـــج.

اربعین الثانی

شهادة الإمام الباقر عليه السلام
(على رواية)

المناسبة

شهادة الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (على رواية)

القصيدة: للسيد صالح القزويني النجفي

يـــا إمامـــا آياتُـــه كرزايـــا ... هُ جســـامٌ لا تنتهـــي بعِـــدادِ

وفقيـــدا أجـــرى العيـــونَ وأورى ... أبـــدا فـــي القلـــوب قـــدحُ زِنـــاد

عجبـــا للـــردى عليـــك تعـــدَّى ... بعدمـــا كان مُلقـــى الانقيـــاد

عجبـــا للبـــلادِ بعـــدك قـــرَّت ... وبهـــا انهـــدَّ شـــامخُ الأطـــواد

عجبـــا للـــورى وقـــد غِبْـــتَ عنها ... للهـــدى تهتـــدي وأنـــت الهـــادي

عجبـــا للوجـــودِ بعـــدك بـــاقٍ ... ولـــه كنـــتَ علـــةَ الإيجـــاد

هـــل درى هاشـــمٌ بأبنـــاه أودت ... بِحَســـا الســـمِّ غيلـــةً والحـــداد

أم درى أحمـــدُ تُـــذادُ ذراريـــه ... وتُدنـــى منـــه ذراري الـــمُذاد

أم درى حيـــدرٌ مـــن الآلِ قـــادت ... آلُ مـــروان كلَّ صعـــبِ القيـــاد

بأبـــي مَن عليـــه أعولـــتِ الأملاكُ ... حزنـــا فـــوق الطبـــاقِ الشـــداد

بأبي من تـــردَّتِ الشِـــرعةُ البيضاءُ ... شـــجواً لـــه ثيـــابَ الحـــداد

مِن عـــوادي الزمـــانِ كنـــتَ مجيرا ... كيف جارت عليك منـــه العوادي[1]

(نصاري)

ركـــن الديـــن عالباقـــر تهـــدم لمن ســـمه هشـــام او مات بالسم

تحمل مـــن زغـــر ســـنه النوايب او شـــاف ابكربله ابعينه المصايب

للشـــامات راح اويـــه الغرايـــب او مـــن ذل اليســـر كبـــده تولـــم

ظل مـــن عگب هظـــم الغاضريه مكظـــم علصبر مـــن جـــور اميه

لمـــن جرعـــوه كاســـات المنيـــه اوكبده ذاب واتگطّع امن الســـم[٧]

المحاضرة الأولى

الغناء سعادةٌ أم شقاء؟!

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٨)

لو ألقينا نظرة إلى المجتمعات البائدة لرأينا أنَّ أحَدَ أسباب انهيارها الغنَاءُ وتوابعه.. ولو فتَّشْنا عن أصول الفسادَ في المجتمعات المنحلَّة خُلُقياً في هذا الزمن لوجدنا من بينها الغناءَ، والرقصَ، والموسيقى، والمجون، وشرب الخمور...

ومَنْ أُريدَ التجسُّسُ عليه، أو إفسادُه، أو إضلالُه، أو تحويلُه عن أهدافه الأساسية فأحد المداخِلِ إلَى ذلك الغناء والموسيقى.

وإذا تعلَّق الشباب بهما، وما يستلزمانه فلا مجال بعد للكلام عن التضحية، والوطن والاستقلال، والشجاعة وشؤون الأمَّة، والدفاع والعمل... وهذا يرجع إلى أجوائهما التي تنمو بين الخمور، والنساء، والرقصَ، والابتذال، والحركات الرخيصة، والكلمات الساقطة، والأجواء الموبوءة، والتهاون بأعراض الناس ومقدَّساتهم، ومعاشرة أهل السوء والمنكر.(٩)

ولو ألقينا نظرة إلى مجتمعاتنا الحاضرة التي انتشر فيها الفساد سنجد أن أغلبها يسمع الأغاني، وصار لديهم -وبالأخص الشباب- هوس بسماعها... حيث نجد الواحد منهم عندمّا يستيقظ من النوم يستمع للأغاني، وأثناء أكله يستمع

للأغاني، بل حتى أثناء مشيه، وجلوسه، واستحمامه، ودراسته، وأدائه للرياضة، وفي أوقات فراغه، وفي السهرات والأعراس والحفلات العامة... وبعضهم لا يستطيع أن ينام حتى يستمع للأغاني... فالاستخدام المفرط لها أوصلهم لدرجة الإدمان عليها، يقول الدكتور «لوثر»: (إنّ مفعول الغناء والموسيقى في تخدير الأعصاب أقوى من مفعول المخدرات). فمن المتعارف أنّ الموادّ المخدّرة ترد البدن عن طريق الفمّ كشرب الخمر، وأحياناً عن طريق الشمّ كالهيروين، وأحياناً عن طريق الزرق كالمورفين، وأحياناً عن طريق حاسّة السمع كالغناء.

ولهذا فإنّ الغناء والموسيقى المطربة قد تجعل الأفراد كالسكارى، أو يصلون لدرجة النشوة وهي السكر الخفيف، فتضعف إرادتهم، ولذا فإنّ كثيراً من مفاسد المخدّرات موجودة في الغناء، سواءً كان تخديره خفيفاً أم قويّاً. (١٠)

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: ما معنى ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾؟

ذكر السيد الطباطبائي طاب ثراه في كتابة الميزان معقباً على هذه الآية الكريمة ما نصه: (اللهو ما يشغلك عما يهمك، (و لهو الحديث): الحديث الذي يلهي عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافية، و القصص الداعية إلى الفساد و الفجور، أو بما يقارنه كالتغني بالشعر أو بالملاهي و المزامير، والمعازف فكل ذلك يشمله لهو الحديث.

والتعبير بـ لهو الحديث بدلاً من (حديث اللهو) ربما كان إشارة إلى أن الهدف الأساسي لهؤلاء هو اللهو والعبث، والكلام والحديث وسيلة للوصول إليه. (١١)

وذهب أكثر المفسرين على أن المراد بـ ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ الغناء، ولذا تُعَدُّ هذه الآية من الأدلة الشرعية التي تثبت حرمة الغناء فقد روي عن الوشّاء قال : « سمعت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: سُئل أبو عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الغناء؟ فقال : هو قول اللّه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ..﴾الآية». (١٢)

وروي عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: سمعته يقول: الغناء ممّا وعد اللّه عليه النار»، وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾». (١٣)

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على سماع الأغاني

يترتب على سماع الأغاني آثار دنيوية وأُخروية وخيمة، فأما الآثار الدنيوية فهي عديدة ونقتصر على بعض ما روته روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهي كالآتي:

١. الغناء يُنبت النفاق في القلب: روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:«استماعُ اللّهو و الغناء يُنبِتُ النفاقَ كما يُنبت الماءُ الزَّرع ». (١٤)

٢. الغناء يورث قسوة القلب: روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «ثلاث يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان». (١٥)

٣. الغناء يورث الفقر: روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « عشرون خصلة تورث الفقر: ... وكثرة الاستماع إلى الغناء.. ». (١٦)

٤. الغناء يمنع استجابة الدعاء: فقد روي عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة ولا تجاب فيه الدعوة .. ». (١٧)

٥. الغناء سبب لرحيل الملائكة: روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « لا تَدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه خَمرٌ، أو دفٌّ، أو طَنبُور أو نَردٌ.. ». [١٨]

٦. الغناء ينزع البركة: روي عن أنه قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « لا تَدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه خَمرٌ، أو دفٌّ، أو طَنبُور، أو نَردٌ، ولا يُستجابُ دعاءُ هُم، وتَرتفِع عَنهم البركةُ». [١٩]

٧. الغناء يستلزم اللعن: روي عن الإمام الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اَلمُغَنّيةُ ملعونةٌ، ملعونٌ مَن أكَلَ مِن كَسبِها». [٢٠]

٨. الغناء يجلب الفجيعة: روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « بيت الغناء لا تُؤمن فيه الفجيعة ». [٢١]

٩. المُغَنّي لا صلاة له: روي عن ابن مسعود أنه قال: «إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يغني بالليل فقال: لا صلاة له، لا صلاة له ، لا صلاة له ». [٢٢] والمقصود بـ (لا صلاة له) أنها غير مقبولة ولا يؤجر عليها .

١٠. الغناء يحث على الزنا: فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « الغناءُ رُقْيَةُ الزّنا». [٢٣] أي أنه طريق يؤدي إلى الزنا.

وأما الآثار الأخروية فيترتّب عليها عذاب أليم، حيث سيعاقب بدخول النار، فقد روي عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ:« الغِناءُ مِمّا وَعَدَ اللّه عليه النارَ». [٢٤]

وأما العذاب الذي سيناله في النار يذكره لنا رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، حيث قال: « مَن استمعَ إلي اللّهو يُذابُ في اُذُنِه الآنُك ». [٢٥]

نعم قد يسأل بعضكم عن تفسير لهذه الآثار العديدة، وهذا سنجيب عليه في محاضرة منفصلة ضمن سلسلة كتاب (زاد المبلغات) بإذن اللّه تعالى.

المبحث الثالث: خطورة متابعة المُغنّين

من الآثار الوخيمة المترتبة على متابعة المغنين -في الواقع الميداني كحضور احتفالاتهم، أو متابعتهم عن طريق العالم الافتراضي كالقنوات الفضائية، أو مواقع التواصل الاجتماعي- هو تقليدهم بأفكارهم وسلوكهم وأخلاقهم، كتقليدهم في الغناء والرقص والتخنيث، وممارسة الشذوذ الجنسي، وفي التبرج والسفور.. بل إن بعضهم قلّدهم حتى في اللباس الذي لا يُتوقع من الشخص أن يرتديه، من أجل لونه أو كيفية خياطته، كأن يكون خَلقاً كارتداء البنطال الممزق، أو تقليدهم في قصّات وألوان الشَعر أو ارتداء ما يشبه أكسسواراتهم.. أو شراء الأشياء التي تحمل رموزهم المطبوعة على الحقائب على أغلفة الكتب والدفاتر وغيرها... كما رأينا ذلك في تقليد الصبايا لبعض الفرق الكورية المنحرفة.

وكما هو معلوم أن المغنين، والفاسدين والمفسدين هم أعداء اللّه، انتبهوا ماذا قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « مَنْ كَانَ لِلَّه مُطِيعاً فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِياً فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ». (٢٦)

وهذا الاتباع والتقليد يعني أنهم صاروا موالين لأعداء اللّه، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا تَلْبَسُوا لِبَاسَ أَعْدَائِي، وَلَا تَطْعَمُوا طَعَامَ أَعْدَائِي، وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ أَعْدَائِي فَتَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي». (٢٧)

قد يسأل أحدكم: ما المقصود بأننا موالون لجهة معينة؟

التولي والولاء: هو الارتباط المنهجي بين المُوالي والموالي له، أي بعد أن يحدد شخصاً يسعى لاتباعه والاقتداء به، واللّه تعالى أوجب على المسلمين تولي اللّه ورسوله وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (٢٨)

بينما حرّم علينا موالاة الكافرين والفاسقين على مستوى العقائد والأخلاق والسلوك والعادات.. ولذا ترتّب على التعلّق بالمغنين ضياع الهُوية الإسلامية واستبدالها بالهُوية الجاهلية... في حين وجب على المسلم الافتخار بالهُوية الإسلامية التي ليس لها مثيل بالكون؛ لأن اللّه تعالى صرّح في القرآن بأن أمّة محمّد ﷺ هي خير أمّة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.[٢٩]

أي نحن خيرُ أمة لأننا آمنا بدين اللّه الإسلامي وهو دينه الوحيد، قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ[٣٠]، وقال أيضاً:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣١]... ولكن أفضليتنا على الأمم الأخرى مشروطة بالمحافظة على هُويتنا الإسلامية واتباع كل أحكامها وإحيائها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نحن خير أمة؛ لأن لدينا قادة ربانيين نصّبهم اللّه تعالى أسوة وقدوة للبشر لا مثيل لهم بكل الكون منذ أن خلق آدم وإلى قيام الساعة، وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والتسعة المعصومون من ذرية الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والواجب علينا أن نتمسك بهذه الهُوية الإسلامية للموت، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣٢]

فهل يعقل أن استبدل هُويتي الإسلامية بهُوية كافرة ضائعة؟، هل يعقل أن أترك حجج اللّه الطاهرين، وأهرول خلف مغنين فسقة وكفرة ملحدين.. أحدهم اسمه جونق (Jung)، والآخر جيون (Jeon)، كيم (Kim)، مين (Min) وأسماء أخرى لم ينزل اللّه بها من سلطان.

قد يعترض بعضهم قائلاً: أنا لّما أستمع للأغاني وأتابع الأفلام والمسلسلات التي تتضمن لقطات محرّمة وفاسدة..لا أقصد أن أترك محمد وآل ﷺ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟

الجواب: لزم أن نعرف أن اللّه وأئمة الهدى في جانب، بينما أعداؤهم الذين يخالفون أوامرهم -أئمة الضلال- بالجانب

الثاني المقابل..... فالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عاشوراء كان في جانب والأعداء في جانب آخر... فأنت لو كنت حاضراً في صبيحة يوم عاشوراء، فأي جانب ستختار؟

على الأغلب ستقول: (أختار أن أكون بجانب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ولكن الذي يكون مع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لزم عليه اتباع أوامر قائده.. والإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرنا بطاعة اللّه وبطاعة رسوله وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنها حرمة سماع الأغاني وحرمة اتباع المفسدين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[٣٣]، ولكن الذي يسمع الأغاني معنى ذلك أنه اتبع يزيد وأعوانه في سماع الأغاني، وفعل المحرمات.. لذا السامع للأغاني بالعمل صار مع أعداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ونحن في زماننا هذا إما نكون مع الإمام الحجة عج أو مع أعدائه.... والذي يحدد ذلك هو اتجاه بوصلة سلوكنا وأعمالنا، فإن كانت متجهة للفسق والفجور -كسماع الأغاني- فهذا يعني أننا مع الجهة المعادية للإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإذا كانت بوصلة سلوكنا وأعمالنا متجهة للتقوى والانقياد لأوامر اللّه تعالى ورسوله وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهذا يعني أننا مع جهة إمامنا المهدي عجل اللّه تعالى فرجه.

إذاً تبين من خلال ما تم طرحه أن الغناء شقاء وليس بسعادة؛ لأنه يترتب عليه خسارة الدنيا والآخرة، وهذا ما صرّح به تعالى في ذيل الآية الكريمة -محل البحث- بأن عاقبة من يسمع الأغاني هو العذاب المهين بقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[٣٤]

يقول صاحب كتاب الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل: أما وصف العذاب بـ (المهين) فلأن العقوبة متناغمة مع الذنب، فإن هؤلاء قد استهزؤوا بآيات اللّه وأهانوها، ولذلك فإن اللّه سبحانه قد أعد لهم عذاباً مهيناً، إضافة إلى كونه أليماً. (٣٥)

المبحث الرابع: مُبرِرات وهمية لسماع الأغاني

ذات يوم إحدى المُدرّسات سألتْ طالبات المدرسة عن الأسباب التي دفعتهن للاستماع إلى الأغاني، ووزعت عليهن أوراقاً ليتم تدوين الأسباب فيها، وبعد الاطلاع عليها تبين أن أعلاها نسبة هما المبرران الآتيان:

المُبرر الأول: أن سماع الأغاني ينفعنا في أمور نفتقرها في ديننا الإسلامي، ومنها أنها تعطينا الأمل والرجاء وتشجعنا على النجاح وتمنحنا التحفيز، من خلال كلماتهم التي يطرحونها !!!

الجواب: نرد عليه بهاتين النقطتين:

أولاً: إن عدم اطلاع الفرد على مبادي ء الأمل والرجاء في ديننا الإسلامي لا يدل على عدم وجودها فيه، فالقاعدة تقول: (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود)، فلو نفترض أن لدى إحداكن مكتبة متنوعة ومن ضمنها كتب مختصة بالأمل والرجاء، ولما ألقت نظرة على المكتبة لم تنتبه لكتب الأمل والرجاء، فهل يحق لها أن تقول إن مكتبتها لا تهتم بما يتعلق بالأمل والرجاء؟

الجواب : لا يحق لها ذلك؛ لأنه اتهام باطل.. وهذا الأمر ينطبق على محل كلامنا، فأحدنا لو كان منصفاً، وراجع النصوص الشرعية من القرآن والسنّة سيجد أن أغلبها تدعو

للأمل والرجاء.. ابتداءً من اللّه تعالى الذي يتصف بصفات تبعث الأمل والرجاء في نفوسنا، فمن أسماء اللّه: الغفّار، الرحمن، الرحيم، التوّاب، الوهّاب، الكريم، القادر، الشافي، المعطي، المجيب وغيرها... وأيضاً قادتنا وأئمتنا الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يبعثون الأمل في نفوسنا لكونهم يتصفون بأخلاق اللّه، وعلى رأسها خُلق الرحمة، قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ .[٣٦]، وهم يحثوننا على التفاؤل وترك التشاؤم، روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « تفاءل بالخير تنجح». [٣٧] ألا يبعث ذلك الأمل والرجاء في نفوسنا؟

ونحن عندما نفتح القرآن نجد أن أغلب آياته تحث على الأمل والرجاء، والقصص المروية فيه أكبر دليل على ذلك، نذكر منها ما يلي:

- نبيّ اللّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذو الـ ١٢٠ سنة، وزوجته ذات الـ ٩٠ سنة حينما جاءته الملائكة ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ...﴾.[٣٨]، ألا تبعث هذه القصة على الأمل والرجاء؟

- نبيّ اللّه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو في الـ ٩٩ عاماً وامرأته في ٩٨ عاماً رزقه اللّه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ أليست هذه القصة تبعث الأمل والرجاء؟

- قصّة النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أمر اللّه أمّه بإلقائه في اليم، ورغم ذلك حفظه اللّه وتربى في حضن أعدائه ونصره اللّه تعالى، ألا تبعث هذه القصة على الأمل والرجاء؟

- قصة نبي اللّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أمره اللّه بذبح ابنه، ففداه اللّه بذبح عظيم... ألا تبعث هذه القصة على الأمل والرجاء؟

- قصة نبي اللّه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما رموه إخوته في البئر فإذا به يكون الأمين على خزائن الأرض، والتقى بأبيه يعقوب

بعد فراق أربعين سنة، ألا تبعث هذه القصة على الأمل والرجاء؟

نبيّ اللّه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث بقي مبتلىً ومريضاً لمُدَّة ثماني عشرة سنة، وبمجرد أن دعا اللّه تعالى رفع اللّه عنه كل الابتلاءات، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾.[٣٩] ألا تبعث هذه القصة على الأمل والرجاء؟، وغيرها من القصص القرآنية ...

وتارة يبعث اللّه فينا الأمل والرجاء بطرق أُخرى غير الأسلوب القصصي، كأن ينهانا عن اليأس، ويحذرنا منه حتى لو كنّا في أشد المحن، قال تعالى:﴿ وَلَا تَايْئَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.[٤٠]

وكي لا نيأس، ويكون في قلوبنا الأمل والرجاء قال لنا تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[٤١]

وكي لا نيأس أخبرنا بأن الدعاء سبب في رفع البلاء، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤٢]

وكي لا نيأس أخبرنا بأن نتوسل بأهل بيت النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [٤٣]

بل اللّه تعالى أعطانا الأمل حتى لو كانت ذنوبنا كثيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٤]

أليست كل هذه النصوص الشرعية تزرع الأمل والرجاء في نفوسنا؟؟﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾. [٤٥]

ولذا فالمشكلة فينا لا بالإسلام؛ لأن المربين كانت تربيتهم الإسلامية

للأجيال ناقصة، وأيضاً نحن مُقصّرون لأننا لم نُتعب على تربية أنفسنا وفق مبادي ء وقيّم الإسلام، بل اكتفينا بأن أدرّنا وجوهنا عن شريعة ﷺ وآله وتوجهنا إلى الملحدين والفاسقين والمغنين.

إن الذي يسمع الأغاني بحجة أنها تمنحه التحفيز الذي افتقدوه في الدين الإسلامي.. فهذه الحجة باطلة أيضاً؛ لأن ديننا الإسلامي الحنيف قائم على التحفيز... وما ذكرناه (بأن الدين الإسلامي هو دين الأمل والرجاء) فهذا بذاته يُعَدُّ تحفيزاً لنا، بالإضافة إلى أن الإسلام يحّفزنا لكل فضيلة، ولكل خلق وسلوك حسن، كالتحفيز على العمل، وعلى الدراسة، والتحفيز على التراحم بين الناس، ونشر العدل ورفض الظلم، والتحفيز على العفو والتسامح، على الصبر، على الكرم، على حسن الظن، وكظم الغيظ، وغيرها من الفضائل....

إن ديننا الإسلامي يحفزنا على تقويم أنفسنا وتنميتها كالروايات التي تحفزنا على ترك الخوف، كما روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « إذا هبت أمراً فقع فيه، فإنّ شدّة توقّيه أعظم مما تخاف منه». (٤٦)

وتحفزنا على اكتساب صفة الحلم، روي عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّه قَلَّ مَنْ تَشَبَّه بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ». (٤٧)

ومن الأساليب التي استعملتها النصوص الشرعية للتحفيز هي أنها رتبّت على من أطاع اللّه وعلى من تحلى بأحد الأخلاق الحسنة ثواباً عظيماً، فمثلاً روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « إذا قام المصلّي إلى الصلاة، نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى الأرض، وحفت به الملائكة، وناداه ملك، لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل . ألا يعد هذا تحفيزاً على الصلاة؟ ». (٤٨)

وروي أيضاً عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه اللّه، كتب اللّه عز وجل له ألف ألف حسنة ». (٤٩) ألا يعد هذا تحفيزاً على مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم؟

وعن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل اللّه». (٥٠) أليس هذا تحفيز على حفظ العائلة؟... بل حتى النصوص التي رتبت العقاب على ممارسة المعاصي فهي تحفيز لنا على الاستقامة وتطبيق العدل وترك الظلم.

ولكن حينما نأتي إلى التحفيز المطروح في الإعلام سواءً أكان الطارح للتحفيز مسلم أو كافر، فهي على قسمين، القسم الأول منه الذي يعرض مقاطع فيديو فيها مشاهد سليمة خالية من الإثارة والأغاني والموسيقى اللهوية، تتضمن عبارات جميلة محفزة، تبعث على النشاط وتقوي العزيمة، كأن تخبرك إذا فشلت فلا تيأس بل قُمْ وحاول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى تنجح.. فمتابعة المحفزات الخالية من الفساد وترويج الضلال لا إشكال فيه.

ولكن القسم الثاني من هذه المحفزات هو القسم الأكبر المروج في وسائل الإعلام، هو التحفيز على ممارسة الرذيلة والأخلاق المنحرفة؟، فهذه المحفزات بما أنها مقترنة بشيء من الفساد أو فيها ترويج للضلال لذا يحرم مشاهدتها أو سماعها.

مثال ذلك الذين يتابعون الأغاني سيجدون التحفيز الموجود فيها هو تحفيز محرم؛ لأنه مخصص لإثارة الشهوات واللذات المحرمة، فأنت حين تسمع الأغاني وتتابع الأفلام المنحلة ستجدهم يطرحون كلاماً قبيحاً يحث على ملامسة الحبيب ومعانقته.. وأنه صار معبوده؛ لأنه يفكر فيه في الليل

والنهار ولا يهدأ له بال إلا بممارسة محرمة، ويجعلونها هي الغاية التي لزم أن يسعوا لتحقيقها في الحياة... إلخ

هل هذا هو التحفيز الذي يعجبكم؟... إن تحفيزهم يحث على اتباع الشهوات والهوى.. يحث على تعري المرأة ويحث الفتى والفتاة والمتزوج والمتزوجة على الزنا والخيانة... تحفيزهم يحث على ممارسة الشذوذ الجنسي، وعلى التخنيث وغيرها من الرذائل... انتبهوا يا موالين هذا التحفيز يدفعكم إلى خسارة الدنيا والآخرة... تحفيز يدفعكم إلى الهاوية... إلى نار جهنم وبئس المصير.

لذا فاحذروا أن تنجذبوا خلف كل محفز إلا إذا كان طاهراً.... وسأعرض عليكم إحدى نتائج تحفيزهم المنحرف، حيث أثبتت الدراسات الحديثة بأن أعلى نسب الانتحار في العالم تصدّرتها الدول الكافرة، بينما أقل نسب انتحار في العالم هي في الدول الإسلامية، فحسب منظمة الصحة العالمية تم إصدار وثيقة تم الإفصاح عنها في ١٥ ديسمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين، مضمونها بأن كوريا الجنوبية -التي انخدع أغلب الصبيان بأغانيها- احتلت المرتبة الأولى في صدارة ٣٠ دولة من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، بمعدل انتحار ٤٢ شخص يومياً والمرتبة الثالثة عالمياً بأعلى معدل للانتحار، وأغلب نسب الانتحار ترجع إلى الاكتئاب وفقدان الأمل النفسي..[٥١]

أليس من باب أولى إذا كانت هذه الفرق الغنائية والراقصة، والأفلام والإنمي والتي تقولون أنها تمنح التحفيز والأمل أن تؤثر على سكان بلدهم قبل أن تؤثر على الآخرين؟، بل تبين أن بعض هؤلاء -من مغنين وممثلين ومشاهير- الذين تأخذون منهم الأمل انتحروا أيضاً.... إذاً هذه المحتويات الفاسدة تحفز على الانهيار، وستصل بالفرد المتابع لهم بالتدريج إلى الضياع واليأس والاكتئاب وفقدان الأمل النفسي والضياع، فلزم التفريق بين التحفيز السلبي والإيجابي، بين التحفيز الذي

يكامل الروح وبين الذي يسافلها.

المبرر الثاني: نحن نسمع الأغاني ونتابع الأفلام والمسلسلات والكارتون والإنمي رغم الانحراف الذي فيها؛ لأنها تعلّمنا كيف نتعامل مع الحياة، مع الناس، مع الحزن، مع غدر الآخرين، وهذا لم نجده في الشريعة الإسلامية!!

ونرد عليه في النقاط الآتية:

أولاً: نحن من باب الإنصاف لا ننكر أن في الأفلام والمسلسلات والكارتون والإنمي بعض الأمور التي تفيد الإنسان، ولكن المصيبة تكمن في الأمور الأخرى التي تضر وتؤذي الإنسان أكثر مما تنفعه وتفيده...

مثال ذلك: إن متابعتها مثلما تُعلّم على التحفيز والنشاط والنظافة والتنظيم وغيرها فإنها بالمقابل تُعلّم على التعري والاختلاط المحرم، وتحفز على التخنيث وعقد علاقات غير مشروعة كالنظر المتبادل بين الجنسين والملامسة والخيانة والميوعة وما يترتب عليها من انهدام للأسر وضياع المجتمع، بل هناك أغانٍ فيها عبارات تشكك سامعيها بوجود اللّه وتروج للكفر والإلحاد..فأي ضرر أعظم من هذا !!

إذاً لو عملنا مقارنة بين منافعها ومضارها سنجد حتماً أن ضررها أكبر بكثير من نفعها.... والعاقل يحكم بلزوم تركها... وهذا من قبيل تحريم اللّه للخمر والقمار؛ لأن في الخمر منافع ومضار، ولكن لكون ضرره أكثر من نفعه لذا حرمه اللّه تعالى قائلاً: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾(٥٢)

: من قال إن الدين الإسلامي لم يعلمنا كيف نتعامل مع الحياة؟

فالإسلام علمنا كيف نتعامل مع الإنسان ابتداءً من لحظة ولادته -بأن نؤذّن في أذنه اليمنى ونقيم في اليسرى-، وانتهاءً بموته -بأن نلقنه الشهادتين، والإقرار بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإمامة الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وما بين الولادة والممات -في مُدَّة حياته- علّمه الإسلام كيف يتعامل في كل جانب من جوانب حياته...

فكل الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تطرقوا لها وبالأخص الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فراجعوا نهج البلاغة ولو بالوقوف على الكلمات القصار، أو راجعوا رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ التي فيها خمسون حقاً، وهي تعلّم الإنسان كيف يتعامل مع الحياة... كيف يتعامل مع ربه، مع إمامه، مع والديه، مع أولاده، مع جيرانه، مع أقاربه، مع المعلم، مع الصديق، مع العدو، مع الحيوان، مع البيئة، بل حتى تعلّمنا كيف نتعامل مع جوارحنا من سمع وبصر وغيرها.. كيف نتعامل مع مشاعر الحزن والفرح والحب والبغض وغيرها.

وهكذا فالإسلام تدخّل بكل تفاصيل حياتنا الصغيرة والكبيرة لدرجة أنه طرح علينا عدة إرشادات تعلمنا كيف نتصرف عندما ندخل لبيت الخلاء لكي نقضي حاجتنا.

وسبب هذا التفصيل؛ لأن الإسلام دين فطري مُتكامل وشامل، يتخذه المسلمون كمنهج لحياتهم في جوانبها المختلفة، وبذلك لا يوجد في الكون دستور علّم الإنسان كيف يتعامل مع الحياة مثل الدستور الإسلامي.

إذاً من الأسباب التي دفعت الناس للانحراف وسماع الأغاني هو جهلهم للدين الإسلامي وهجرهم لكنوز مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واستبدالها بمياه آسنة نجسة.

ونحن نوجه عتبنا إلى وزارة التربية التي غيّبت هذا التراث العظيم عن أولادنا وشبابنا ولم يذكروه في المناهج

الدراسية والذي يفترض أن يتم تدريسه لهم بأسلوب يتناسب مع إدراكهم ابتداءً من الصف الأول الابتدائي وانتهاءً إلى آخر مرحلة من الجامعة....

ولكن نقول لهم كما قال تعالى:﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[٥٣]، وبالتأكيد فالمسؤولون سوف يتحملون إثم ضياع هذه الأجيال، ولكن بنفس الوقت يبقى المكلف مسؤولاً عن تربية نفسه ويُحاسب على تقصيره.

قد يسأل أحدكم: هل يجوز سماع الموسيقى الخالية من الغناء؟

الجواب: لقد ذكر الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بأن الموسيقى تارة تكون محلّلة وهي الموسيقى غير المناسبة لمجالس اللّه واللعب، وتارة تكون محرمة وهي الموسيقى المناسبة لمجالس اللّه واللعب.[٥٤]

حيث يُعَدُّ اللّه وبالآلات الموسيقية من الذنوب الكبيرة، فقد روي عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: « بأن الاشتغال بالملاهي من الكبائر».[٥٥] ويظهر من بعض الأحاديث أن أول من استخدم المعازف بغرض اللّه وهو إبليس (لعنه اللّه)، فقد رُوِيَ عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: « لَمَّا مَاتَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ شَمِتَ بِهِ إِبْلِيسُ وَ قَابِيلُ فَاجْتَمَعَا فِي الْأَرْضِ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ وَ قَابِيلُ الْمَعَازِفَ وَ الْمَلَاهِيَ شَمَاتَةً بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكُلُّ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي يَتَلَذَّذُ بِهِ النَّاسُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ ذَاكَ ».[٥٦]

وهذا الموقف يذكّرني بالمعازف والملاهي التي استخدمها أهل الشام شماتة بمقتل سيد شباب الجنة وأهل بيته وأصحابه وسبي نساءه... حيث يروى (كان دخول الركب الحسيني إلى دمشق نهاراً وأهلها قد علّقوا الستور والحجب والديباج، فرحين مستبشرين، ونساؤهم يلعبن بالدفوف، ويضربن على الطبول، كأنه العيد الأكبر عندهم. وروي عن سهل بن سعد الساعدي الصحابي أنه قال: «

خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلتُ في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن. فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك غريباً! فقلتُ: أنا سهل بن سعد قد رأيتُ رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحملتُ حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبكَ السماء لا تمطر دماً والأرض لا تخسف بأهلها. قلتُ: ولمَ ذلك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عترة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يهدى من أرض العراق إلى الشام وسيأتي الآن. قلت: وا عجباه! يهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟!» (٥٧)

نعم كل هذه الأحداث المروعة والرزايا قد شهدها صاحب الذكر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ والذي كان له من العمر ثلاث أو اربع سنوات، وحينما رجعوا إلى المدينة عاش بظل والده الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أن توفي فانتقلت الإمامة إلى ولده الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي استمر في أداء مهامه في هداية الناس ونشر علوم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ونصرة الإسلام والمسلمين بينما استمر أعداؤه في معاداته والسعي لقتله... ولقد فعلها الملعون الطاغية هشام بن عبد الملك الذي أمر بقتله فدُس إليه السم.

قال المؤرخون: إنه لما حان حينه عَلَيْهِ السَّلَامُ وتيقن وفاته أوصى إلى ابنه أبي عبد اللّه الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بجميع ما يحتاج إليه الناس وسلم إليه ما كان عنده من مواريث الأنبياء وسلاح رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : كنت عند أبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وكفنه وفي إدخال قبره، قلت: جعلت فداك واللّه يا أبتاه ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن هيئة من اليوم وما أرى عليك أثر الموت.

وفي بعض الكتب أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أوصى بثلاثمائة درهم لمأتمه وذلك لتستأجر له نوادب يندبنه في منى أيام منى. وكان

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يرى ذلك من السنة لأن رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال اتخذوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا.

وفي نور الأبصار: أوصى الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لولده جعفر: أوقف لي من مالي كذا وكذا للنوادب يندبنني عشر سنين بمنى أيام منى.[٥٨]

(أبوذية)

الباقر بالعرش مكتوب يسمه صدگ من مات سم مسموم يسمه
الكل الناس هالمنشور يسمه او خل تعلم ابموته الجعفريه

أقول: والإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمعته ابنته سكينة يوصي شيعته أن تندبه مدى الزمان.

شيعتي مهما شربتم عذبَ ماءٍ فاذكروني او سمعتم بغريب او شهيدٍ فاندبوني
فأنا السبطُ الذي من غيرِ جُرمٍ قتلوني وبجردِ الخيلِ بعد القتلِ عمدا سحقوني
ليتكم في يوم عاشورا جميعا تنظروني كيف استسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني
وسقوه سهمَ بغيٍ بدَلَ الماءِ المعين

(مجردات)

عيدي الوصيه الشيعتي هاي مياتم ينصبون العزاي
علمه غربتي او محنتي او بلواي او يذكرونّي عد شربة الماي
حر او عطش ذوّبن لحشاي[٥٩]

٨ ربيع الثاني

ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

المناسبة

ولادة الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر صادق درباش الخميس

تجلجل الرعدُ أنـــــواراً كما الشهبُ ... يومُ الربيع وحيث الكـــونُ يرتقبُ
فقد توهّـــج نـــورُ العسكري بـــهِ ... من بيتِ خيـــــر عبادِ اللّه ينتســـبُ
نورٌ تســـامى إلـــى العليـــاءِ مقتفيا ... فكرِ الإمامة في أنبـــائه العجـــبُ

من آل ياسينَ هـــلّ النـــورُ معتـــليا ... صـــرحَ الكوكبِ فيه العـــــزم يلتهـــبُ
ميـــلادُه قـــد دوى الأرجـــاءَ مرتجـــاً ... إلى الأنامِ بأن الغيثَ يقتربُ
المرتضـــى جـــدُّه يكفيـــه منزلـــةً ... والسبطُ والمجتبى والسادةُ النجبُ

آلُ النبي من العلـــيـــا مـــودّتـــهمْ ... هم خيرُ نسلِ الورى جاءت بها الكتبُ
أبا محمـــدِ في أكبـــادِنا ألـــمٌ ... حيث الخلافةُ في الأزمانِ تغتصبُ

فيكم سمت رايـــةُ الإسلام خـــافقـــةً ... أنتم مدادُ العلى والدينِ والطنـــــبُ
وأنت بالحـــــقِ والقـــرآنِ مقتضبٌ ... رغم البغاة وذو الأعداء تضطربُ

في صلبِكم أودع الرحمنُ قـــائمكمْ ... يا حجةَ اللّه يا تاريَخنا الرحـــبُ
أبا محمـــدِ فقت الصبرَ محتســـبا ... فمِن محمدِ فيك العزُّ مكتســـبُ

المحاضرة الثانية

الردُ الوجيز على مُنكري التقليد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهُم إِذا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ ﴾[٦٠]

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: ما هو التقليد، وما حكمه؟

المطلب الأول: ما هو التقليد؟

لقد شرع اللّه سبحانه في الشريعة الإسلامية أحكاماً تحتوي على واجبات ومحرمات ومستحبات ومكروهات، والعلم الذي يجمعها يُسمى بالفقه، فتطبيق الأحكام يهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا و الآخرة، فلو لم يلتزم بها الإنسان، لا يصل إلى السعادة المنشودة و لا يأمن من عذاب عصيانها.

ولأهمية الفقه البالغة، فلقد أمرتنا الشريعة بالتفقّه في الدين، وحذَّرت المقصّر في ذلك بالعقوبة والعذاب الإلهي، روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو أُتيت بشابٍّ من شباب الشيعة لا يتفقه لأدّبته».[٦١]

ولذا فإن طريق السعادة والنجاة يتمثل بتطبيق كل الأحكام الشرعية، ولكن يا ترى بماذا أمرنا اللّه، وعن ماذا نهانا؟

(نعم، بعض ما أمرنا به واضح في الشريعة نستطيع من خلال ما تربَّينا عليه أن نشخّصه كوجوب الصلاة والصيام والحج، وبعض ما

نهانا عنه واضح كحرمة الكذب والقتل والسرقة، والكثير الكثير ما بين هذه وتلك من الواجبات والمحرمات، ستبقى مجهولة للكثيرين.

نحن نعرف أن الشريعة الإسلامية قد ألمَّت بجميع جوانب حياتنا المختلفة، فوضعت لكل واقعة منها حكماً، فكيف سنعرف حكمنا الشرعي ونحن نمارس نشاطاتنا الحياتية المختلفة من الانشغال بالدراسة والعمل والتربية والمهن..إلخ كيف سنعرف أن هذا الفعل يحله الشارع المقدس فنباشره، وأن هذا العمل يحرمه الشارع المقدس فننأى عنه ونجانبه؟!

إذاً الحل يكون بالرجوع إلى المتخصصين في هذا العلم أي: (الفقهاء)، فنأخذ أحكامنا منهم.. (أي: نقلدهم).

فمعنى التقليد هو: أن نرجع إلى فقيه لنطبق فتواه، فنفعل ما انتهى رأيه إلى فعله، ونترك ما انتهى رأيه إلى تركه، من دون تفكير، وإعادة نظر، وتمحيص، فكأننا وضعنا عملنا في رقبته (كالقلادة) محملين إياه مسؤولية عملنا أمام اللّه)[٦٢]

وقد أشارت جملة من الروايات إلى هذا المعنى، نذكر منها: معتبرة عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: « كان أبو عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قاعداً في حلقة ربيعةَ الرأي، فجاء الأعرابي فسأل ربيعة الرأي عن مسألة فأجابه، فلمَّا سكت، قال له الأعرابي: أهو في عنقك؟ فسكت عنه ربيعة ولم يردّ عليه شيئاً، فأعاد المسألة عليه، فأجابه بمثل ذلك، فقال له الأعرابي: أهو في عنقك؟ فسكت ربيعة، فقال له أبو عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: هو في عنقه قال أو لم يقل، وكلّ مفتٍ ضامن ».[٦٣]

(وقد احتاطت الشريعة للتقليد احتياطاً كبيراً ففرضت على المكلف أن يقلّد أعلم المتخصصين في حالة اختلاف آرائهم وأن لا يقلّد إلا من كان عادلاً لا يميل عن الشرع إلى هواه خطوة في كبيرة أو صغيرة؛ لكي يضمن المقلد بذلك أكبر درجة ممكنة من الصواب في

رأي مرجعه الديني، وأمرته في اللحظة التي يجد فيها الأكفأ والأعلم من مقلده السابق أن يعدل إليه، كل ذلك للابتعاد بالتقليد من معنى المتابعة العمياء والتعصب المذموم) [٦٤]

المطلب الثاني: الحكم الشرعي للتقليد

إن الحكم الشرعي للتقليد هو: أنه واجب على كلِّ مكلّف غير مجتهدٍ ولا محتاط. والمقصود بالاجتهاد: استنباط الحكم الشرعي من مداركه المقرّرة. [٦٥]

والمقصود بالاحتياط العمل الذي يتيقَّن معه ببراءة الذمّة من الواقع المجهول، وهذا هو الاحتياط المطلق، ويقابله الاحتياط النسبي، كالاحتياط بين فتاوى مجتهدين يُعلم إجمالاً بأعلميَّة أحدهم. [٦٦]

ويترتب على ترك الطرق الثلاثة بطلان أعماله، يقول الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني(دام ظله) في كتابه منهاج الصالحين في مسألة(٢) ما نصه: (عمل غير المجتهد بلا تقليد ولا احتياط باطل، ....)[٦٧]

فقوله: (عمل غير المجتهد بلا تقليد ولا احتياط باطل) بمعنى أن المكلّف غير المجتهد -أي لم يصل لدرجة الاجتهاد- وغير العامل بالاحتياط، وغير العامل بالتقليد عمله باطل... وليس المقصود بالبطلان هو بطلان كل أعمال المكلف ولو كانت موافقة لأحكام الشريعة ووجوب إعادتها كلها، بل المعنى ذكره سماحة السيد السيستاني دام ظله في نفس المسألة بقوله: (... بمعنى أنّه لا يجوز له الاجتزاء به ما لم يعلم بمطابقته للواقع، إلّا أن يحصل له العلم بموافقته لفتوى من يجب عليه تقليده فعلاً..)[٦٨]

وللتوضيح نذكر المثال الآتي: مكلّف لمُدَّة سنوات كان

يصلي ويصوم وينفق بدون تقليد، فهل أعماله صحيحة أم باطلة؟

الجواب: حتى يعرف المكلف ذلك وجب عليه أن يقارنها مع فتاوى أعلم مراجع التقليد في حياته، فإذا تبين أنها موافقة لفتاواه فهي صحيحة، ولكن المشكلة تكمُن فيما لو كانت أعماله مخالفة للشرع، فتارة الخلاف يكون في نقطة يعذر فيها الجاهل القاصر كمن كان لا يصوم لأنه لا يعرف أن الصوم واجب شرعاً، وأخرى لا يعذر فيها الجاهل فيترتب عليها البطلان ووجوب إصلاحها كقضائها.. فلو كان يصلي لمُدَّة سنوات ولم يعرف أن (تكبيرة الإحرام) واجبة فلم يأتِ بها فهنا صلاته باطلة ووجب قضاؤها سواءً أكان جاهلاً أو عامداً، وإذا أصرّ على أداء أعماله بدون تقليد فيوم القيامة لن يعذره اللّه تعالى فيما لو تبين أن بعض أعماله باطلة، روي أنه سُئل جعفر بن محمد عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ عن قوله تعالى:﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾فقال: « إن اللّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنتُ جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتى نعمل؟ فيخصم فتلك الحجة البالغة ».[٦٩]

المبحث الثاني: الرد على مُبرِّرات منكري التقليد

في هذا المبحث سنتكلم عن المبررات أي: المسوغات والأعذار التي يحتجّ بها أشخاص من أجل إقناع الناس وحثهم على ترك التقليد، والذي يترتب عليه ضياع الدين وخسران الدنيا والآخرة.

المُبرِّر الأول: لا توجد أدلة تثبت وجوب التقليد، فلذا لا داعي لتقليد مراجع الدين!!

ذكرنا لا بدّ للمكلّف -إذا لم يكن أهلاً للاجتهاد أو الاحتياط- من التقليد لمعرفة الحكم الشرعي والوظيفة العملية، بمعنى رجوع المكلَّف الجاهل بالأحكام إلى العالم بها، ويستدلّ على ذلك بعدّة أدلّة، منها:

أولاً: الدليل العقلي على وجوب التقليد

إن رجوع الجاهل للعالم من الأحكام الفطريّة و العقليّة، وعلى الإنسان أن يرجع إلى أهَل الفنّ في كلّ أمر ليس له فيه تخصّص أو بصيرة، فيتّبع إرشاداتهم الواعية، فيرفع بها جهله و يمهّد بها سبيله، فإن قال: (إنّني لا أرجع إلى أهل الفنّ حتّى أفهم دليل ذلك) فإنّه سيكون قد ألقى بنفسه في ألف مخاطرة و تهلكة.

لقد أوتينا قليلًا من العلم، فكيف سيمكن للإنسان أن يقف بشكل كامل على كلّ علم من علوم الدنيا ومن العلوم الإلهيّة والعلوم المجرَّدة لعالم الملكوت، ثمَّ يكون في صدد العمل و الفعل؟!

ذاك أمر محال، لأنّ وجود الإنسان محدود، و لن يمكنه من الإحاطة بالعلوم غير المحدودة.

إنّ المريض الذي يُراجع الطبيب لا يمكنه أن يقول له: إنَّني لن أستعمل الدواء الذي تريد إعطاءه حتّى أعلم ما هو، و ما هي تركيباته، وممَّ استُخلصتْ موادّه، وما الفعل والانفعالات التي سيؤثرها في بدني؟ ولو قال ذلك، فلن يكون أمام الطبيب من سبيل إلّا أن يقول له: لا تستعمل الدواء، و اذهب لتموت!

الطبيب يقول: لقد درستُ و طالعتُ سنين طويلة حتّى حصلت على الخبرة، و لقد أنفقت عمري حتّى فهمتُ و أدركت؛ و عليك أنت أيضاً وفق هذا المنوال أن تقضي العمر في المطالعة و التجربة لتفهم دليل ذلك!

لكنّك لم تفعل شيئاً من هذا، وها أنت مريض قد راجعتني بعد ثقتك بإخلاصي وخبرتي، وعليك بحكم الفطرة والعقل أن تُسلّم أمرك لي وتقلّدني دون مناقشة، فليس هنا مكان لـ(لِمَ و بِمَ و لعلّ و لكنّ)!

فإن أصغى المريض لكلام الطبيب هذا، فسينقذ حياته ويحصل على حياة جديدة، وإلّا فإنّه سيسلك طريق الهلاك ويحفر قبره بيده.

وفي موسم الحجّ تتوجّه القوافل إلى بيت اللّه الحرام، فإن جلس أحد المسافرين في زاوية من المطار قائلًا: إنّني لن أصعد إلى الطائرة حتّى أعلم كيف تتحرّك، و أعلم أي خاصيّة للتحريك يوجدها البنزين في محرّكها، و كيف يتمّ تبديل البنزين إلى الغاز، أبواسطة المراوح أم بالامتصاص؟ و أعلم أساساً كيف تقوم المكابس فيها بتحشيد الهواء و ضغطه، و كيف تقوم بإخراجه؟ و كيف يتمّ نقل حركة المكبس إلى محور التدوير في محرّك الطائرة؟ و أسئلة أخرى عن آلاف التفاصيل الدقيقة الكهربائيّة والميكانيكيّة ولفيزيائيّة والكيميائيّة وغيرها، التي صرف في كلٍّ منها آلاف الأشخاص سنين طويلة من عمرهم فحصلوا على الخبرة والعلم فيها.

فسيُقال في جوابه: لعلك مُختبط قد اضطربت حواسك! تعالَ و اركب، فالطائرة ستتحرّك الآن، بينما ستبقى جالساً في زاوية الجهل هذه، حسناً، فلتجلس و تفكر ثمّ اركب بعد ذلك! ثم تتحرّك الطائرة بالحجّاج فيقومون بأداء مناسك بيت اللّه الحرام، و يتشرّفون بزيارة المدينة المنوّرة ثمّ يعودون، بينما هذا السيّد لا يزال جالساً في زاوية المطار مشغولاً في التفكير وفي الحصول على برهان ودليل، و كفى به جهلاً يؤدّي إلى البؤس والتخلّف عن قافلة عالم الوجود، وإلى الحرمان من آلاف العبادات السمعيّة والبصريّة واللسانيّة، و من مشاهدة الآيات الإلهيّة التي وجدت طوال هذا السفر.

إذاً فعلى من يريد بناء عمارة ما، أن يذهب إلى المهندس المختصّ، و على من يريد خياطة لباس ما أن يراجع الخيّاط. أفيمكنك ترى أن تقول للمهندس و للخياط: ليس لكما الحقّ في الشروع في عملي هذا ما لم تعلّماني تفاصيله و أسراره وتقوما بشرحها لي؟

وعلى ضوء ذلك لا يمكن لأيّ إنسان يريد العيش في هذه الدنيا بهذا العمر القصير وبهذه الفرص الضئيلة والحدود والقيود التي لا تُحصى، أن يُجيز لنفسه الاجتهاد والتخصّص في جميع الفنون، و عليه حتماً أن يقلّد في كثير من الفنون، بل في معظمها، فيرجع فيها إلى المختصّ في ذلك الفنّ و يتبعه، وإذا ما كان الإنسان أخصائيّاً في أحد الفنون، فإنّه مقلّد في الباقي.[٧٠]

وهذا الأمر ينطبق على من يريد معرفة الأحكام الشرعية، فهذه المعرفة تحتاج للرجوع إلى المتخصص المجتهد وأخذ الأحكام منه، والتي تسمى بالتقليد.

ثانياً: دليل الحصر والترديد على وجوب التقليد

ومضمون هذا الدليل أنه ليس هناك أي بديل محتمل شرعاً -لأغلب الناس- في طريق معرفة الحكم الشرعي غير طريق تقليد الفقهاء المجتهدين، وإذا أردنا أن نفترض وجود بدائل فيمكن حصرها في عدة نقاط وهي:

البديل الأول: الرجوع للإمام المعصوم مباشرة وأخذ الأحكام منه دون وسيط، وهذا الأمر لم يكن متحققاً في عصر الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأن لا يستطيع كل الناس السكن بجنب الإمام ليسألوه عن ما يبتلون له، فكيف ونحن نعيش زمن غيبة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

البديل الثاني: أن يكون جميع الناس مجتهدين ويستطيعوا استنباط الحكم الشرعي من مصادر التشريع، وهذا

تكليف بما لا يُطاق، وحاشا للّه أن يوجب على جميع البشر ما يفوق وسعهم، قال تعالى:﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٧١)

فبلوغ درجة الاجتهاد من أصعب التخصصات العلمية ويحتاج الوصول إليه التفرغ لسنوات طوال قد تستغرق أربعين سنة أو أكثر، فإذا كان كذلك فكيف سيتمكن الناس من التفرغ لتخصصات أخرى كالطب والهندسة وغيرها؟!، وهذا يعني توقف عجلة الحياة.

ولذا فإن اللّه تعالى طلب أن يتخصص بعض الأفراد للاجتهاد دون بعضهم الآخر، قال تعالى: ﴿ فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ ﴾(٧٢)

البديل الثالث: الاحتياط بين آراء الفقهاء وهو حبل النجاة إلا أنه متعسر على عامة الناس فضلاً عن كثير من طلبة الحوزة العلمية، فهو أصعب من العمل بالتقليد الذي يستلزم منه الرجوع إلى مجتهد واحد، بينما الاحتياط يحتاج إلى الإطلاع على رسائل عدة مجتهدين والمقارنة بين آرائهم في كل حكم والاحتياط في حال الاختلاف، مثال ذلك: لنفترض أن المسافة الشرعية التي تقصر فيها الصلاة على رأي بعض الفقهاء هي ٤٤ كم، بينما يرى بعضهم الآخر من الفقهاء أنها ٤٠ كم ولذا إذا أراد الصلاة في المسافة المحصورة ما بين (٤٠-٤٤) كم فإن الإحتياط يقتضي أن يأتي بها مرة قَصْراً ومرة تماماً.

ومن خلال الإطلاع على البدائل الثلاثة نجد أن بعضها غير متحقق والآخر عسيراً، فلذا لا مفر من التقليد لغير المجتهد والمحتاط.

ثالثاً: الدليل القرآني على وجوب التقليد

ونذكر منها هاتين الآيتين:

١. قوله تعالى: ﴿ فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ ﴾[٧٣]؛ فهذه الآية الكريمة دلّت على وجوب الاجتهاد ـ الذي هو التفقُّه في الدّين ـ وأنّ هذا الوجوب على نحو الوجوب الكفائيّ لا العينيّ؛ لأنّها قالت بأنّ هذا الأمر إنّما يجب على طائفة من كلّ فرقة، فهو وجوبٌ كفائيّ لا عينيّ.

إنّ قوله تعالى:﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ يفيد وجوب الإنذار على المتفقّهين، بمعنى: إنّ على الّذين هاجروا وسافروا إلى طلب العلم والتفقُّه في الدّين يجب عليهم أن يقوموا بمهمّة تحذير قومهم وإنذارهم من عدم الالتزام بالشّريعة إذا رجعوا إليهم، وهذا الإيجاب للإنذار على المتفقّهين يلزم منه إيجاب قبول إنذارهم من الطّرف الآخر، وإلا كان إيجاب الإنذار بدون إيجاب القبول لغواً وبلا فائدة.[٧٤]

٢. قوله تعالى:﴿ فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمُونَ ﴾[٧٥]؛ فانّه ظاهر في أنّ وظيفة الجاهل السؤال من العالم، والمنصرف إرادة السؤال للعمل، فيكشف عن حجّيّة الجواب.[٧٦]

رابعاً: الدليل الروائي على وجوب التقليد

الرّوايات الشّريفة الواردة في جواز التّقليد، بل وجوبه على غير المجتهد والمحتاط كثيرةٌ جداً، نذكر منها:

١. عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أما ما سألت عنه -أرشدك اللّه وثبتك- إلى أن قال: (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة اللّه عليهم». [٧٧]

وأمَّا المقصودُ برُواةِ الحديثِ الواردِ ذكرُهُم في مَتنِ

الحديث فهم العُلماء والفُقهاء الذينَ يَستنبطونَ الأحكامَ من أحاديثهم (عليهمُ السّلامُ) وليسَ مُطلقَ الرّواة ، قالَ المُحقّقُ النّراقيُّ في «مُستند الشّيعة» : (الظّاهرُ المُتبادَرُ منهُ: الرّاوي للحديث، المُستنبَطُ المُستخرجُ منهُ الأحكامَ على الطّريقِ الذي ارتضاه الشّارعُ وأمرَ بهِ، لا مُطلقاً)[٧٨]

وفي تعليقٍ للسّيّد الخوئيّ (قُدّسَ سرّهُ) على التّوقيع المذكور، قالَ : (.. وأمّا التّعبيرُ فيهَا برواة الحديث دونَ العلماء أو الفقهاء، فلعلَّ السّرَّ فيه أنَّ عُلماءَ الشّيعة ليسَ لهُم رأيٌ من عند أنفسهم في قبال الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فإنّهُم لا يَستندونَ إلى القياس والاستحسان والاستقراء النّاقص وغير ذلك ممَّا يَعتمدُ عليه المخالفونَ، وإنّمَا يُفتونَ بالرّواياتِ المأثورةِ عنهُم (عليهمُ السّلامُ) فهُم في الحقيقةِ ليسُوا إلّا رواةَ حديثهم)[٧٩]

٢. رُوِيَ عن الإمام الحسن بن علي العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهُ قالَ: «... فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِناً لِنَفْسِهِ حَافِظاً لِدِينِهِ مُخَالِفاً عَلَى هَوَاهُ مُطِيعاً لأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْضُ فُقَهَاءِ الشِّيعَةِ لَا كُلُّهُمْ». [٨٠]

٣. الروايات التي يُرجع فيها الأئمة عوام الناس إلى بعض خواصهم، كقول الإمام الرِّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لعبد العزيز المهتدي عندما سأله: « إنّي لا ألقاك في كل وقت، فممّن آخذ معالم ديني؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : خُذْ عن يونس بن عبد الرّحمن» [٨١]

وكقول الرِّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لعليّ بن المسيّب الهمدانيّ عندما سأله: « شقّتي بعيدةٌ، ولستُ أصلُ إليك في كلّ وقت، فممّن آخذ معالم ديني؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: من زكريا بن آدم القمّيّ المأمون على الدّين والدُّنيا» [٨٢]

المُبرِّر الثاني: المتمثل بقول المدّعين لعوام الناس: أنت تأخذ قول المعصوم وتتبعه أم تأخذ قول المرجع وتتبعه وهو إنسان عادي يصيب ويخطأ؟

لاحظوا المغالطة، يجعلون قول المعصوم في قبال قول المرجع وللأسف تنطلي هذه الشبهة على الكثير من البسطاء، فهو يريد أن يلمّح بأن المعصوم يقول شيء والمرجع يقول شيء آخر في قبال ما قاله المعصوم!

فهنا الإنسان البسيط مباشرة يقول: لا، فأنا لا آخذ إلا قول المعصوم وهذا هو الصحيح... ولكن السؤال المطروح هو: هل أن قول المرجع قولٌ لا علاقة له بالمعصوم؟، أم هو ناقل لأقوال المعصوم بعد أن استنبط الأحكام الشرعية منها؟

بعبارة أخرى: إنَّ هؤلاء يرفضون الاجتهاد، ويرفضون أن يكون هناك مراجع دين، ويرفضون أن يقلدهم الناس، ومن أسباب رفضهم لأنهم يعدّون الاجتهاد باطل..

ولكي يتضح المطلب فأننا إذا رجعنا إلى الوقائع التاريخية التي حدثت في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سنجد إن للصحابة فيها اجتهاد وإن اجتهادهم كان على نوعين:

أولاً: اجتهاد الرأي (اجتهاد باطل): وهو أن يتعرف الصحابي المصلحة في الفعل أو المفسدة فيُفتي وفق ما يرى، وهذا النوع من الاجتهاد لم يتفق عليه بين المسلمين حيث نفاه أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وشيعتهم.

والوقائع عديدة منها لما مرض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل موته قال: « أئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي) فقال عمر: إن رسول اللّه قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب اللّه، وكثر اللغط، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

قومـــوا عنـــي، لا ينبغـــي عنـــدي التنـــازع»

تخيلـــوا أن عمـــر يعـــارض قـــول الرســـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الـــذي قـــال عنـــه تعالـــى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٨٣]، وهـــذا النـــوع مـــن الاجتهـــاد مرفـــوض حتمـــاً جزمـــاً، فأصحـــاب الـــرأي هـــم الذيـــن يقولـــون: قـــال اللّه ورســـوله وأنـــا أقـــول، أي: أنهـــم يفتـــون فـــي ديـــن اللّه بآرائهـــم وبحســـب مـــا تمليـــه عليهـــم عقولهـــم، وأهواؤهـــم، مـــن دون الرجـــوع إلـــى كتـــاب اللّه وســـنة رســـوله صلـــى اللّه عليـــه وآلـــه.

وأيضـــاً مـــن أنـــواع الاجتهـــاد الباطـــل هـــو القيـــاس الـــذي يســـتعمله بعضهـــم فـــي حـــال عـــدم وجـــود نـــص شـــرعي، وهـــذا مرفـــوض فـــي مذهبنـــا، روي أن الإمـــام الصـــادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قـــال لأبـــي حنيفـــة: « أيهمـــا أعظـــم قتـــل النفـــس أو الزنـــا؟ قـــال: قتل النفـــس، قـــال الإمـــام عَلَيْهِ السَّلَامُ : فـــإن اللّه عـــزوجـــل قبـــل فـــي قتل النفـــس شـــاهدين، ولـــم يقبـــل فـــي الزنـــا إلا أربعـــة. ثـــم قـــال: أيهمـــا أعظـــم الصـــلاة أم الصـــوم؟ قـــال: الصـــلاة. قـــال عَلَيْهِ السَّلَامُ : فمـــا بـــال الحائـــض تقضـــي الصـــوم ولا تقضـــي الصـــلاة؟ فكيـــف ويحـــك يقـــوم لـــك قياســـك؟ اتـــقِ اللّه ولا تقـــس الديـــن برأيـــك» [٨٤]

(وهـــذا النـــوع مـــن الاجتهـــاد هـــو الـــذي يريـــد أن يبينـــه المنكر للتقليـــد أو هـــو يظـــن أن الاجتهـــاد فـــي مدرســـة أهـــلِ البيـــت يعتمـــدِ علـــى مثـــل هـــذا النـــوع مـــن الاجتهـــاد جهـــلاً منـــه أو تجاهـــلاً ليضـــل بـــه النـــاس)[٨٥] بينمـــا علماؤنـــا لا يعملـــون بهـــذا النـــوع مـــن الاجتهـــاد ويرفضونـــه، بـــل الاجتهـــاد الـــذي يقـــول بـــه علمـــاء الشـــيعة هـــو اجتهـــاد النـــص.

ثانيـاً: اجتهـاد النـص (اجتهـاد جائـز): وهـــو الاجتهـــاد فـــي النـــص، أي: بـــذل الجهـــد فـــي فهـــم النـــص -النـــص القرآنـــي أو الروائـــي- فهـــو اجتهـــاد ضمـــن النـــص لا خارجـــاً عنـــه، فيُفتـــي وفـــق مـــا يفهـــم، وقـــد اتفقـــت كلمـــة المســـلمين علـــى مشـــروعيته وشـــرعيته.

ومن الأمثلة لهذا ما ذكره الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه (تاريخ الفقه الإسلامي) وهو في معرض حديثه عن اجتهاد الصحابة: (واجتهدوا في فهم النص، فقد أمرهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالتوجه إلى بني قريظة بعد معركة الخندق، وقال: (من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلا يصلينَّ العصر إلاّ في بني قريظة)، فلما كانوا في الطريق حضر وقت العصر. فقال بعضهم: يجب أن نصليها في وقتها، لأن الذي أراده منّا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سرعة النهوض إلى بني قريظة، ولم يرد منا تأخير الصلاة.

وقال فريق آخر: لا نصليها إلا عندما نصل إلى بني قريظة، لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرنا بذلك.

ففريق نظر إلى المعنى، وفريق نظر إلى اللفظ، ولم يخطئ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واحداً من الفريقين)[٨٦]

إذاً الاجتهاد في النص هو بذل الجهد من أجل استخراج الحكم الشرعي من النص القرآني أو الروائي، بعد أن يقفوا عليها وعلى الروايات المعارضة لها، وتمييز الرواية الصحيحة عن غيرها، ومعرفة فيما إذا كانت تعارض القرآن أم لا؟، أفيها حكم كلي أم جزئي؟، أتدل على الاستحباب أم الوجوب؟، على الحرمة أم الكراهة؟ وهكذا.. وهذا العمل هو الذي يُسمى في مدرسة أهل البيت بالاجتهاد.

ومن هنا يتضح أن قول المرجع هو مكمل لقول المعصوم من النواحي التي بيناها، فقول المعصوم والمرجع واحد لا اثنان، فقول المرجع هو قول المعصوم ولكن بلغة معاصرة يفهمها عامة الناس)[٨٧]

ولذا فهذا الادعاء الذي يطرحه بعضهم مرفوض عقلاً وشرعاً.

المُبرِّر الثالث: لا حاجة لتقليد أحد مراجع الدين، فأنا استطيع أن أعرف الأحكام الشرعية من خلال الرجوع إلى كتاب اللّه وروايات أهل

البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ !!

ويرد عليه:

١.لو تنازل عوام الناس عن الفقهاء وتركوا تقليدهم، واحتاجوا لمعرفة بعض الأحكام الشرعية، فمن الذي سيذكر لهم الحكم؟ ، إذا أخذوه من مثير هذه الشبهة فهذا يعني أنهم قلدوه، إذاً كيف يطلب -المعارِض للتقليد- من الناس ترك التقليد ويجيزه لنفسه؟

وإذا قال هذا قول الإمام المعصوم، فنقول له: إن مرجع التقليد أيضاً يقول هذا قول الإمام والشرع.

٢.كيف يستطيع المدّعي من استخراج الحكم الشرعي من القرآن والسنة؟، فهذا يحتاج إلى الاطلاع بكل ما في القرآن وإلى الآف الروايات المروية عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الموجودة في كتب الأحاديث ومنها الكتب الأربعة (الكافي، والاستبصار، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه)، وهنا تنبع لنا عدة أسئلة:

إلى أي الكتب سيرجع؟، هل يرجع للكتب جميعاً؟، هل يرجع للقرآن فقط أم للكتب؟، إذا تعارض القرآن مع الرواية ماذا يقدِّم؟، وإذا تعارضت الروايات ماذا يفعل؟، وإذا لم يجد الحكم في القرآن ماذا يفعل؟، وإذا لم يجد الحكم لا في القرآن ولا في الكتب فما الحل؟، وإذا قال أرجع للكتاب الفلاني فقط فهذا اجتهاد والاجتهاد يحتاج لدليل؟، وكيف تتم الإجابة عن المسائل المستحدثة؟...إلخ[٨٨]

فعوام الناس يصعب عليهم استخراج الحكم الشرعي من النص الشرعي لأن (بعدت الشقة ما بين عصرنا وعصر التشريع، وقد أضفى هذا البعد، مع ضياع كثير من النصوص الشرعية، وتغير لغة وأساليب وأنماط التعبير، ووجود الوضَّاعين الذين اختلقوا أحاديث كثيرة وسربوها مع أحاديثنا المعتبرة

صعوبات ومعوقات عسرت عملية استخراج الحكم الشرعي، ثم أضافت مشكلة وثاقة ناقلي الروايات لذلك عقدة أخرى في طريق الساعين لذلك) وغيرها من الأمور.[٨٩]

لذا إن الوقوف عليها يحتاج إلى تخصص واجتهاد، ومن أجل ذلك اشترط الفقهاء في الفقيه توفُّر أمور حتّى يصحّ الرجوع إليه؛ (ففي (الذكرى) للشهيد الأوّل[٩٠]، قال: (يعتبر في الفقيه أمور ثلاثة عشر قد نبّه عليها في مقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حَكَماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً؛ فإذا حكم بحكمنا ولم يقبله منه، فإنّما بحكم اللّه استخفّ، وعلينا ردّ وهو رادّ على اللّه، وهو على حدّ الشرك باللّه، فإذا اختلفا فالحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ».

الأمر الأوّل: الإيمان، لقوله: (منكم)، لأنّ غير المؤمن يجب التثبت عند خبره، وهو ينافي التقليد.

الثاني: العدالة، -لذلك أيضاً- وعليه نبّه بقوله: (أعدلهما).

الثالث: العلم بالكتاب.

الرابع: العلم بالسُنّة، ويكفي منهما ما يحتاج إليه، ولو بمراجعة أصل صحيح.

الخامس: العلم بالإجماع والخلاف لئلا يفتي بما يخالفه.

السادس: العلم بالكلام.

السابع: العلم بالأُصول.

الثامن: العلم باللغة والنحو والصرف، وكيفية الاستدلال، وعلى ذلك دلّ

بقولـه: (وعـرف أحكامنا)؛ فـإنّ معرفتها بـدون ذلك محال.

التاسـع: العلـم بالناسـخ والمنسـوخ، والمحكـم والمتشـابه، والظاهر والمـؤوَّل، ونحوهـا ممّـا يتوقّـف عليـه فهـم المعنـى والعمـل بموجبـه، كالمجمـل والمبيّـن، والعـامّ والخـاصّ.

العاشـر: العلـم بالجُـرح والتعديـل، ويكفـي الاعتمـاد علـى شـهادة الأوليـن بـه، كمـا اشـتملت عليـه كتـب الرجـال، إذ يتعـذّر ضبـط الجميـع مـع تطـاول الأزمنـة.... وإلـى ذلـك أشـار بقولـه: (وروى حديثنـا).

الحادي عشر: العلم بمقتضى اللفظ لغة وعرفاً وشرعاً.

الثانـي عشـر: أن يعلـم مـن المخاطـب إرادة المقتضـى إن تجـرّد عـن القرينـة، وإرادة مـا دلّـت عليـه القرينـة إن وجـدت، ليثـق بخطابـه، وهـو موقـوف علـى ثبـوت الحكمـة.

الثالـث عشـر: أن يكـون حافظـاً، بمعنـى أنّـه أغلـب عليـه مـن النسـيان؛ لتعـذّر درك الأحـكام مـن دونـه..)[٩١]

ولـذا لا يحـق لغيـر المجتهـد شـرعاً أن يسـتنبط الأحـكام الفرعيـة ويفتـي بهـا؛ لأن هـذا يدخـل فـي بـاب القـول بغيـر علـم المنهـي عنـه شـرعاً، قـال تعالـى:﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٩٢]، وهـذا الأمـر سـيقوده إلـى نتائـج وخيمـة، روي عـن أبـي جعفـر عَلَيْهِ السَّلَامُ: « مَـن أفتـى النّـاس بغيـر علـم ولا هـدىً مـن اللّه لعنتـه ملائكـة الرّحمـة وملائكـة العـذاب، ولحقَـه وزرُ مَـن عمـل بفتيـاه »[٩٣]

المُبـرِّر الرابـع: أن الاجتهـاد والتقليـد لـم يكـن موجـوداً فـي زمـن الرسـول وآلـه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لـذا كيـف جـاز لنـا أن نقلـد المراجـع؟

الجـواب: حينمـا نسـتقرئ كتـب السـيرة والتاريـخ وغيرهـا نجـد

أن التقليد كان موجوداً في زمن الرسول وآل الرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويمكن بيان ذلك بهاتين النقطتين:

أولاً: التقليد في زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

فقد بدأ التقليد الشرعي، بوصفه ظاهرة شرعية اجتماعية، في عهد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وبتخطيط منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم بتطبيقه من قِبَل المسلمين بمرأى ومسمع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتحت إشرافه و بإرشاده.

وتمثل هذا في الأشخاص الذين كان ينتدبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للقيام بمهمة تعليم الأحكام الشرعية في البلدان والأماكن التي أسلم أهلها في عصره.

ومن هذا بَعْثِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة، و معاذ بن جبل إلى اليمن.

فقد كان المسلمون في هذه ألاماكن النائية عن مقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، يتعلمون الأحكام من هؤلاء الصحابة المنتدبين لهم و المبعوثين إليهم، ويعملون وفق ما يتعلمون منهم.

وكان المسلمون عندما يحتاجون إلى معرفة حكم شرعي للعمل به يسألون هؤلاء ويجيبونهم ويعملون وفق ما يفتونهم به.

(سُئِل أستاذنا السيد الخوئي السؤال الآتي: متى وجب التقليد على المسلمين؟

وهل كان المسلمون أيام الأئمة مقلدين، خصوصاً أولئك الذين كانوا في مناطق بعيدة عن الأئمة؟

فأجاب: التقليد كان موجوداً في زمان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وزمان الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأن معنى التقليد هو: أخذ الجاهل بفهم العالم، ومن الواضح

أن كل أحد في ذلك الزمان لم يتمكن من الوصول إلى الرسول الأكرم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أو أحد الأئمة عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ وأخذ معالم دينه منه مباشرة) [٩٤]

ثانياً: التقليد في زمن الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ

أما الأئمة عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ فقد أرجعوا شيعتهم إلى المتخصصين في معالم الدين، وهناك جملة من الروايات استدل بها على حجية الفقيه، ومنها روايات الأمر بالإفتاء والإرجاع إلى آحاد الفقهاء والعلماء، ونذكر منها ما يلي:

١. قول الإمام الصّادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لأبان بن تغلب: « اجلس في مسجد المدينة وأفتِ النّاس، فإنّي أحبُّ أن أرى في شيعتي مثلك ». [٩٥]، ومن الواضح: أنّ جواز الإفتاء يلازم جواز العمل به.

٢. عن سليمان بن خالد الأقطع، قال: سمعت أبا عبد اللّه عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ يقول: «ما أحد أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ ، إلّا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء، ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين، وأمناء أبي عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ على حلال اللّه وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الآخرة». [٩٦]

٣. عن عبد اللّه بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد اللّه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ : « إنّه ليس كلّ ساعة ألقاك، ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من أصحابنا، فيسألني، وليس عندي كلّما يسألني عنه، قال: فما يمنعك من محمّد بن مسلم الثقفي؛ فإنّه قد سمع من أبي، وكان عنده وجيهاً ». [٩٧]

٤. روي عن أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ قال سألته وقلت: من أعامل؟ وعمّن آخذ؟ وقول من أقبل؟، فقال: «العمري ثقتي، فما أدّى إليك عنّي، فعنّي يؤدّي، وما قال لك عنّي، فعنّي

يقول. فاسمع له! وأطِع! فإنّه الثقة المأمون». قال: وسألت أبا محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن مثل ذلك، فقال: العمري وابنه ثقتان» (٩٨)

نفهم من الروايات إن أئمتنا الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد أحالوا الناس إلى بعض الرجال الثقات الراوين لأحاديث أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كوسطاء ليأخذوا منهم معالم الدين، لذا تارة ذكروا الفقيه بالأسم كما ذكرنا ذلك في الروايات السابقة، وأخرى لم يذكروا اسم الفقيه بل أمروا الناس بتقليد الفقيه الذي تتوفر فيه جملة من الشروط، تمهيداً للغيبة الكبرى، فقد روي عن الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «.. فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِناً لِنَفْسِهِ حَافِظاً لِدِينِهِ مُخَالِفاً عَلَى هَوَاهُ مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ». (٩٩)

ولولا هذه النصوص التي رواها الإمام العسكري لشيعته لضاعوا كلهم في زمن الغيبة، ولكن شاء اللّه أن يولد هذا الإمام في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ٢٣٢هـ، في المدينة المنورة ليكون مناراً للأمة، صاحب الألقاب العديدة ومنها: الناصح، والمفتاح، والنقيّ، والمرتضى، والمتوكّل، وكان يخفي ذلك ويأمر أصحابه أن يُعرضوا عنه؛ لأنّ لقب الخليفة آنذاك كان النقيّ والزكيّ.

نشأ وتربّى الإمام في ظلّ أبيه الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي عُرف بغزارة علمه وزهده وجهاده. حيث عاش معه ثلاثاً وعشرين سنة وأشهراً، فكان كآبائه في العلم والعمل والجهاد والدعوة إلى الإصلاح في أمّة جدّه محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويربّي أصحابه على مكارم الأخلاق، وقيم الإسلام.

هذا الإمام المعروف بسمو منزلته ومقاماته وعبادته المخلصة للّه تعالى، أثارت-هذه الكمالات- الحقد والحسد في قلوب

الطواغيت الجبابرة لذا أراد العباسيون التضييق على الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في السجن فأمروا آمر السجن بذلك فأجابهم: «ما أصنع به، وقد وكلت به رجلين شرَّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة إلى أمر عظيم»، ثمّ أمر بإحضار الموكلين به فقال لهما: «ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل» ؟ فقالا له: «ما نقول في رجل يصوم نهاره، ويقوم ليله كلّه، لا يتكلّم، ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا، وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا»[١٠٠]

ولذا نبارك لصاحب العصر والزمان عجل اللّه تعالى فرجه الشريف ولجميع مراجعنا الكرام وللأمة الإسلامية جمعاء ذكرى ولادة الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ

فسلام اللّه عليك يا أبا محمّد الحسن بن علي يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا

قال الشاعر:

غسلَ النورُ للأنام دجاها ... يوم نجل الهادي أنار فِناها
كبَّر المسجدُ العتيق وطوبى ... فرحا بالذي أقام لواها
لا تلمني بفرحتي لإمام ... والدٌ للذي يُقيم علاها
لاتلمني فالعسكري شفيعٌ ... مثلُ موسى والسيدين وطه
مثلُ كفِ الجواد مثلُ علي ... مثلُ من يبقر الهدى بضياها
مثلُ جد الرضا يكون صدوقاً ... وخصالَ السجاد كان حواها
كيف لا أنتشي بحب إمام ... فيضه عم سهلَها ورباها
إن خير النفوس نفس أذاعت ... لحبيب من جمرها ولضاها
غير إني أبيح سري لبيت ... ونفوسٍ صاغ الإله نداها
قبل خلق الأكوان كانوا وجودا ... نور حق للعالمين براها

ياعلـــيٌّ يافـــــاطمٌ ياحســـينٌ يايـــــدَ اللّه يانجـــوم سماهـــــا
عبدكم جاء والصحائف ســـــودٌ خجـــلٌ أن يـــرى الكـــرام تراهـــا

شعر شعبي للشاعر ابو احمد الحداد المسعودي:

على ابساط الفرح طاير وأغني ابشوك
والمولـود كـرب ساعتـه بفجّـه
وبكلـوب الموالـي مراكـص الجلمـات
والنسـوان بهلاهل محبه وشـوك تنتظرّه
نعيّـد الـوادم ابسـمات هـذا وذاك
ابهوسـات الضميـر جـذورّه المخضـرّه
بنفحـات المسـك وعطـر طيـب الـكاع
والعنبـر نسـيم ايغـازل الحّـه
ببشـارة ولينـه الهـادي للخـلاّن
يخبرهـم حبيبـه الجـاي وبسـرّه
يخـط نـورّه الـولادة العسـكري بيمنـاه
وبصلبـه الحنيـن اويـاه للعتـره
يشـيله ويحضنـه بجفه ويناغـي الـروح
أبوه ايمايزه بجده النبي المختار ويبـشرّه
ويختـم بالعهـد للشـيعه تتلـكاه
وتنصـره بزمـن وتواكـب ابنصـرّه
هـذا بـن الفحـول وجـده داحـي البـاب
معروف النسل موصول بالأصلاب للزهره
مـا تخفـه الحقيقـه أسـراره بميـلاد
سـامره بدهـره سنيـن لـو تطـّه
يتمايـز حسـن وبوجـه نـور حسـين
شـاراته الكـرم وعمامتـه الخـضرّه

شـاله اعلـه المتـن يـتلابس بجلبـاب
هيبـة طـول بعيونـه صبـر فجـرّه
بسـنونه البيـاض يلالـي بالوجـنات
تسـجدله النجـوم إيدنـه الكمّـه
يبشـر الـوادم ابطيبـه ويفيـض أنـوار
بعيونـه التـلاوه اتسـبح وتقـّه
يلـه ويـه الـولاده كلوبكـم ختفيـض
إيمـان وبذرّهـــــا يكبّـر الشـجره
لا تبكـه بزمـن منشـاره حـد وسـيف
والذبـاح ويانـه يصـف كتـرّه
اذن واوينـه بعيونـه طـبع للذيـب
يغـدر عشـرّته ويشـرمخ بظفـرّه
اذا هدمـوّ جـدار منـارته الأرجـاس
ماهدموّ ركنه ويانه وبتاريخ بالحضرّه
روح الكبتـــــــه وأقـره الملامـح
زيـن تلـكاه برسـمه الشـيعي يتـذرّه
وميخـاف المنايـه ايسـابك برجلـيه
يـدري وياكـم اشـما صـار وشيجـرّه
يحـط روحـه نـذر ميسـلّم الأرهـاب
وبهـاي الرسـاله ايثبـت ابحـبرّه

٨ ربيع الثاني

شهادة السيدة الزهراء (عليها السلام)
على رواية الأربعين يومًا

المناسبة

شهادة السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ على رواية الأربعين يومًا

القصيدة للشاعر السيد صالح الحلي

لمصائبِ الزهرا هجــرتُ المضجعا ... وأذلــتُ قلبيَ مــن جفونــي أدمُعا
أفكان من حكــمِ النبيِّ و شــرعِه ... أنَ تُضــرَبَ الزهــراءُ ضربــا موجِعا
أوصــى الإلــهُ بوصل عتــرةِ أحمدٍ ... فكأنمــا أوصــى بهــا أنْ تُقطَعــا
اللّهُ مــا فعلــوا بــآلِ نبيِّهــم ... فعــلا لــه عــرشُ الإلــهِ تضعضعا
أبــدوا عداوتَهــم لها وعَــدَوا على ... ميراثِهــا فابتُــزَّ منهــا أجمعــا
قــادوا عليــا بعــده بنِجــادِه ... ومن البتــولِ الطهرِ رضُّــوا الأضلعا
وضعــت وراءَ البابِ حمــلا لم يكن ... قــد آن لــولا عصرُهــا أن يوضَعــا
ومضــوا بكافلِهــا يُهــرولُ طَيِّعا ... لــولا الوصيــةُ لــم يُهــرولْ طيِّعا
خرجــت تَعثَّــرُ خلفهــم تدعوهمُ ... خلــوا ابنَ عمــي او لأكشــفُ للدعا
رجعــوا إليها بالســياط فســودوا ... بالضــرب منهــا متنَها كــي ترجعا
كــم أضمرت مــن علَّــةٍ وتجرعت ... ياللهــدى من غُصَّــةٍ لن تُجرعــا[١٠١]

(مجردات)

آمـــر علـــى عبـــده ضربنـــي او مـــن ضربتـــه للـــكاع ذبنـــي
اولا انكســـر گلبه اولا رحمنـــي امـــن النـــاس مـــا واحـــد حشـــمني

ويـــن انتـــه رحـــت يابويـــه عني ماتشـــــوف گوم المرمرتنـــــي
الكســـرت اضلوعـــي او سگطتني وامـــن البچـــه اعليـــك امنعتنـــي[١٠٢]

المحاضرة الثالثة

فاطمة وليلة القدر

روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر»[٣٠١]

في هذا الوجود الرحب ظاهر وباطن، أي هنالك شيء آخر غير ظاهر الحياة الدنيا الذي نعيشه، بل حتى الفضاء مليء بالأمواج الصوتية والكهربائية، والأشعة الضارة والنافعة فنحن نعتقد بها رغم أننا لا نراها، وأيضاً هذا الوجود ظاهره الحياة الدنيا، وباطنه الآخرة ولكننا غافلون عنها، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾[١٠٤]

وهذا الباطن يخبرنا عنه اللّه تعالى في القرآن وعلى لسان أنبيائه ورسله، فالسلوك الذي نمارسه له ظاهر وباطن كالغيبة ظاهرها مجرد كلام، ولكن باطنها يتجسد بأكل لحم المستغاب، قال تعالى:﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١٠٥]

والموجودات كالقرآن له ظاهر وباطن، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « إن للقرآن ظهراً وبطناً ولباطنه بطناً إلى سبعة أبطن»[١٠٦]، وقد فسّر الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الباطن بقوله: « فالظاهر التلاوة والباطن الفهم »[١٠٧].

بل حتى للأمكنة والأزمنة ظاهر وباطن، فليلة القدر ظاهرها ظرف زماني مختص بإحدى ليالي شهر رمضان تبدأ بغروب الشمس وتنتهي بطلوع الفجر، ولكن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكر لنا باطن هذه الليلة بقوله: « إنا أنزلناه في ليلة القدر، الليلة فاطمة »[١٠٨].

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: المعرفة، ومراتبها

هناك روايات عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تذكر بأن هناك علاقة بين ليلة القدر والسيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، منها الرواية محل البحث، وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه العلاقة لنقف على بعض المفردات الغامضة ومنها مفردة (المعرفة) التي ذكرها الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في بداية الحديث بقوله: (من عَرَفَ فاطمة حقَ معرفتها..)، فقوله: (حق معرفتها) ذلك معناه إنّ للمعرفة مرتبة هي (حق المعرفة)، وان هناك مراتب دون هذه المرتبة، فمَا المقصود بِالمعرفة، وما هي مراتبها؟

الجواب: قد يعتقد بعضهم أن المعرفة تعني تحصيل العلم المختص بفاطمة وسيرتها ومقاماتها، ولكن المعرفة لا تعني العلم، لكون العلم ما هو إلا مقدمة لتحصيل المعرفة، فالعلم لا يرتقي لرتبة المعرفة إلا بالاعتقاد والتصديق القلبي المستلزم للعمل، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يقبل اللّه عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له ...». (١٠٩)

فما الفائدة من أن تكون لدينا علوم كثيرة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولكننا غير معتقدين بها ولا نعمل بها؟ لذا فالمعرفة مرتبة أعلى من العلم لأنه يضاف إليها الاعتقاد والتصديق الذي يستلزم منه العمل.

وأما ما يتعلق بمراتب المعرفة فهي على ثلاثة أنحاء: جلالية وجمالية وكمالية.

١. **المعرفة الجلالية**، وَهِيْ معرفة أبعاد الشيء وَرسمه وَهيكله، مثال ذلك المنبر بأن تعرف أبعاد المنبر من طول وَ عرض

وَ شكل... بينما لما نريد أن نعرف الزَّهراء عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ بالمعرفة الجلالية فعلينا أن نعرف حسبها ونسبها، بنت مَنْ؟، وحليلة مَنْ؟، وأمّ مَنْ؟، تاريخ ولادتها وشهادتها، نعرف سيرتها والأحداث التي عاشتها، وما يتعلق بجوانب حياتها....إلخ، وَ هذه أدنى المعرفة.

٢. **المعرفة الجمالية**، وهيْ المعرفة بفضل الشيء وَ مقامه، فلو نطبّق هذه المعرفة على نفس مثال المنبر فسوف نتعرّف على فضل المنبر وَمقامه وأهميته، فلو سألت أحداً: مَا هو المنبر؟، سيقول: (كرسي عالٍ يُرتقى إليه بسلّم، مصنوع من الخشب المزخرف بشكل جميل)، أما لو سألت الموالي عن المنبر سيعده شيئاً مُقدساً؛ لأن العلماء يرتقونه ويذكرون لنا النصوص الشرعية المقدسة.

ولو طبقّنا على السيدة الزهراء عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ المعرفة الجمالية فهي تتحقق بمعرفة فضائلها وكراماتها ومقاماتها ومنزلتها عند اللّه عَزَّوَجَلَّ والرسول والأئمة الأطهار عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ ..إلخ

٣. **المعرفة الكمالية**، وَهيْ أرقى أنواع المعرفة، وَهيْ: أن تعرف وتُدرك هدف الشيء وَ الغاية منه، والسر من وجوده، كأن أقول في مثال (المنبر): المنبر لولاه لما عُبد اللّه؛ لأن المنبر هو الذي ارتقى عليه ال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وآل الرسول عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ وارتقى عليه أتباعهم من العلماء المخلصين فوضحوا للناس معالم ديننا، فأخرجونا من الظلمات إلى النور، وعلى هذا لولاهم لما حققنا الهدف الذي خلقنا من أجله وهو العبادة.

وأما المعرفة الكمالية للزهراء عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ فهو أن نعرف الغاية والهدف من وجودها المقدّس، وَلِمَ خلقها اللّه عَزَّوَجَلَّ، وما هو سر بركتها بيننا..إلخ، فالمعرفة الكمالية تبيّن العلّة والغاية من وجود الشيء.

بعد أن عرفنا مراتب المعرفة، نسأل: بأي مرتبة من المعرفة الفاطمية يستطيع الإنسان أن يدرك ليلة القدر؟

الجواب: المعرفة الكمالية، لقول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ (حق معرفتها) أي: بأعلى مراتبها، بينما المعرفة الجلالية والجمالية تعد مقدمة للمعرفة الكمالية لتكامل الإنسان وإدراكه لليلة القدر وحقيقتها وَ أسرارها.

المبحث الثاني: علاقة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بليلة القدر

السؤال المهم في هذه المحاضرة هو: أن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر»، فيه دلالة على وجود علاقة بين فاطمة وليلة القدر، فما علاقة فاطمة بليلة القدر؟

الجواب: هناك رأيان يذكرهما العلماء وهما:

الرأي الأول: وجود علاقة تشابه بين فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وليلة القدر

إن الرأي الأول الذي يذكره العلماء هو أن العلاقة بين فاطمة وليلة القدر هي علاقة المشبّه بالمشبّه به، وللتوضيح نقول:

في البلاغة أحياناً نستخدم أسلوب التشبيه بأن نعقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، في حال اشتراكهما في صفة أو أكثر، مثال ذلك: رأيت رجلاً شجاعاً يقاتل قتال الأبطال، فهنا جاز لي أن أشبهه بالأسد لاشتراكهما في صفة الشجاعة، كأن أقول: (إنه كالأسد) أو أحذف أداة التشبيه -حرف الكاف- وأقول: (إنه أسد).

ولما نأتي إلى ليلة القدر وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ نجد أنهما

يشتركان في بعض الخصائص والصفات، فلذا صح تشبيه ليلة القدر بفاطمة، كما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « إنا أنزلناه في ليلة القدر، الليلة -أي ليلة القدر- فاطمة »[١١٠]

سؤال: ما هي أوجه التشابه بين ليلة القدر وفاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟

الجواب: لقد ذكر العلماء عدة أوجه للتشابه نذكر منها ما يلي:

أولاً: في كليهما ـ ليلة القدر وفاطمة ع ـ سرٌّ مستودع: فلما نأتي إلى فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ نجد أن لها سراً مستودعاً، فحينما ندعو بهذا الذكر (اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها ...) فهو إشارة إلى ذلك السر المودع عندها.

وأيضاً (في ليلة القدر سر عظيم لا يعرفه إلاّ المقربون الذين امتحن اللّه قلوبهم للإيمان والتقوى، فليلة القدر رفعها الباري عز وجل وجعلها خيراً من ألف شهر وفيها تشويق لذيذ لمعرفة ذلك السر المكنون في أعماقها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[١١١].

إن معرفة ليلة القدر تفوق الإدراك البشري العادي أي أنها تفوق إدراك سائر الناس من السواد الأعظم فانه لا بد أن يكون فيها سر عظيم، والسر يقتضي معرفته استيعاباً كاملاً لمعنى ليلة القدر والغاية التي نزلت ليلة القدر من أجلها ومن أجل تحقيقها في الأرض)[١١٢]

فعبارة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ تستخدم لكل أمر عظيم فيه أسرار مخفية مجهولة لا يمكن إدراكها، كما هو الحال مع يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[١١٣]، وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[١١٥]. فالجنين الذي في بطن أمه لو أخبرته بأن

هناك دنيا ستخرج إليها أوسع من مكانك، وفيها نور، وأناس كثر وطبيعة خلّابة، فعقله لن يدرك ما تقول، وكذلك الحال مع عدم إدراكنا لأسرار ليلة القدر.

إذاً لكون فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ اشتركت مع ليلة القدر في أن لكل منهما أسراراً، لذا صحّ أن نشبه ليلة القدر بفاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ .

رُبّ تساؤل يرد: ما معنى السر المستودع عند فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ؟

الجواب: (لم نر رواية عن الأئمة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ تشرح هذا السر (السر المستودع فيها) نعم، يمكن أن يقال في معنى (السر المستودع فيها) عدة احتمالات :

١ ــ (السر المستودع فيها) إشارة إلى الأئمة من ولدها عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ .

٢ ــ (السر المستودع فيها) إشارة إلى ولدها المحسن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

٣ ــ (السر المستودع فيها) إشارة إلى المهدي المنتظر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنه من ذريتها.

٤ ــ (السر المستودع فيها) إشارة إلى مظلوميتها .

٥ ــ (السر المستودع فيها) إشارة إلى كونها حلقة وصل بين النبوة والإمامة)[١١٥]

ثانياً: كلاهما وعاء وظرف زماني لنزول كل القرآن الكريم: من المعلوم أن القرآن نزل على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في ليلة القدر، قال تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١١٦]. وكذلك الحوراء الإنسية فاطمة الزكية، فإن قلبها ظرف مكاني وروحاني، وصدرها وعاء إلهي للقرآن الكريم والمصحف الشريف، وأنها كانت مُحدّثة تحدثها الملائكة، فهي وعاء للإمامة وللمصحف الشريف.[١١٧]

وللتوضيح: فلقد ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «إن فاطمة بضعة مني».[١١٨]

ما معنى بضعة مني؟، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «حسين مني وأنا من حسين».[١١٩]، وقال: «إن عليا مني وأنا منه».[١٢٠]، ولكن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ عبّر عنها بتعبير آخر: «إن فاطمة بضعة مني».[١٢١]

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يقل: (فاطمة مني) مثلما قاله في الإمام الحسين والإمام علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بل الزهراء خصها بتعبير «فاطمة بضعة مني».

البضعة هي: القلب، يعني فاطمة قلبي... قلبي يتمثل في فاطمة، بما أن فاطمة قلبه «صلوات اللّه وسلامه عليه وآله» فهذا يعني ما أودع في قلبه أودع في فاطمة، وقد أودع اللّه في قلب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [١٢٢]

كيف أودع في القلب؟، لم يودع مجرد ألفاظ وسور وآيات، فكل شخص يحفظ القرآن أصبح القرآن في قلبه مجموعة ألفاظ وآيات وسور، وهذه الميزة يشترك فيها المؤمنون والأئمة، وليست مختصة بالزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟!

ولذا كي نفهم بماذا اُختصت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ يجب أن نعرف أن القرآن له وجودان، الأول هو (الوجود المُلْكي المادي)، أي: مجرد ألفاظ وسور وآيات، ولكن الوجود الثاني هو (الوجود المَلَكوتي النوري)، وهو غير الوجود اللفظي، قال عنه تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾ [١٢٣]

هذا الوجود النوري هو الذي تحدّث عنه اللّه تبارك وتعالى

عندما قال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[١٢٤]، إن القرآن بوجوده النوري الملكوتي اختص اللّه به شخصين «محمد وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» ففي قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[١٢٥]، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[١٢٦]، إشارة إلى استيداع قلبه لنور القرآن، وفي قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١٢٧]، إشارة إلى استيداع قلب فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لهذا الوجود النوري للقرآن الكريم.[١٢٨]

إذا فهمتم ذلك ستفهمون أن فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ اشتركت مع ليلة القدر بكونها وعاءً وظرفاً زمانياً لنزول كل القرآن الكريم، ولذا صحّ أن نشبهها بليلة القدر.

ثالثاً: كلاهما الفاروق: فليلة القدر يُفرَقُ كل أمر أحكمه اللّه خلال السنة، قال تعالى:﴿أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[١٢٩]، أي: يفرق ما يحدث فيها من الأمور الحتمية وغيرها، وينزل بها روح القدس على إمام الزمان وحجة اللّه على الخلق، وأن الإيمان بليلة القدر فارق بين المؤمن والكافر، كذلك بفاطمة الزهراء الطيبة الطاهرة المطهرة يفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، والمؤمن والكافر.[١٣٠]

لكون اللّه يرضى لرضاها ويغضب لغضبها فصار كل من تولاها وأطاعها مؤمن، وكل من تبرأ منها وعاداها كافر، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ : إن اللّه ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك.[١٣١]

ورغم أن هذا الحديث مروي في كتب الفريقين، إلا أن بعضهم يستكثره على فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وإليكم الرد الذي رواه الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « يا فاطمة إن اللّه تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك

» قال: فجاء صندل فقال لجعفر بن محمد عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ يا أبا عبد اللّه إن هؤلاء الشباب يجيئونا عنك بأحاديث منكرة فقال له جعفر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ : وما ذاك يا صندل، قال: جاؤونا عنك أنك حدثتهم أن اللّه ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها؟ قال: فقال جعفر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ : يا صندل ألستم رويتم فيما تروون أن اللّه تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاه؟ قال: بلى، قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ مؤمنة يغضب اللّه لغضبها ويرضى لرضاها، قال: فقال له: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته » (١٣٢)

وبالتأكيد أن اللّه يرضى لرضى المؤمن ويغضب لغضبه إذا كان على حق، ولكنه لا يرضى عنه إذا كان على باطل، وبما أن فاطمة الزهراء عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ معصومة ومطهّرة من قبل اللّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١٣٣)، لذا فاللّه يرضى لرضاها ويغضب لغضبها بشكل مطلق.

رابعاً: كلاهما مباركان: إن البركة بمعنى النماء والزيادة والخير المستمر والمستقر الدائم والثابت وما يأتي من قبله الخير الكثير(١٣٤)، فليلة القدر ليلة مباركة، قال تعالى: ﴿ إنا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾(١٣٥) لكونها خيراً من ألف شهر، ويضاعف فيها العمل والثواب كل واحد بألف أو أكثر، ويضاعف فيها عدد العتقاء من النار، والدعاء فيها مستجاب أكثر من غيرها من الليالي والأيام، وغيرها من مصاديق البركة.

ولما نأتي إلى فاطمة عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ فإن من ألقابها (المباركة) ففيها كل بركات السماوات والأرض، فهي الكوثر في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾(١٣٦)، فمن أبرز مصاديق البركة أن نسل الرسول الأكرم منحصرٌ بها وبإنجابها لسبطي شباب أهل الجنة، وتسعة معصومين من ذرية الإمام الحسين، آخرهم المهدي الذي سيملأ اللّه به قسطاً وعدلاً

كما ملئت ظلماً وجوراً، هذا عدا ذراريهم الذين سيستمر نسلهم إلى يوم القيامة، وأيضاً من مصاديق البركة الأجر والثواب العظيم عند القيام بعمل يرتبط بها كتسبيحة الزهراء (٣٤ مرة اللّه اكبر، و٣٣ مرة الحمد اللّه، و٣٣ مرة سبحان اللّه)، فقد روي عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ»[١٣٧]

خامساً: كلاهما فيه تأويل: أغلبنا سمع ما ورد عن الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نحنُ حُجَجُ اللّهِ على خلقِه، وجدّتُنا فاطمة حجّةُ اللّهِ علينا»[١٣٨]

ولكن كيف تكون فاطمة حجّة عليهم؟

الجواب: لأن السيدة فاطمة أودع اللّه عندها تأويل القرآن في مصحف فاطمة، وأن مصحف فاطمة ليس قرآناً ولكنه تأويل القرآن -كما في بعض الروايات-، حيث نزل ملك يحدثها ويسليها بعد وفاة أبيها المصطفى، كما نزل ملك على مريم وتحدّث معها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[١٣٩]، وما نزل على الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من قبل الملائكة تأويل القرآن، فتأويل القرآن وصل إليها عَلَيْهَا السَّلَامُ ومنها وصل إلى علي وإلى بقية الأئمة المعصومين.

إن علم تأويل القرآن نزل عليها تشريفاً لها، وشاءت حكمته أن يجعل أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ محتاج إلى البعض الآخر، الزهراء تحتاج إلى علي لأن علياً إمامها، إمام زمانها، وحجة عليها، وعلي يحتاج إلى فاطمة فإن فاطمة معدن لعلم التأويل الذي تلقاه علي وأهل البيت من فم فاطمة عليها وعَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

إذاً بما أن القرآن له تأويل وله تنزيل، تنزيله نزل على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتأويله نزل على فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لذلك صح أن يقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وأن ليلة القدر فاطمة. (١٤٠)

سادساً: كلاهما فيه تقدير: كما هو معلوم أن ليلة القدر هي ليلة التقدير، قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (١٤١)، بمعنى في ليلة القدر يتم تقدير كل شيء للإنسان من رزق، وسعادة أو شقاء، حياة أو موت..إلخ.

وأيضاً لمّا نرجع إلى مسألة مصحف فاطمة فهو -على بعض الروايات الأخرى- مصحف تقدير، يعني: أن اللّه تبارك وتعالى أنزل ملك يُحدّث فاطمة بما يجري على أبنائها من بلايا، ومن منايا ووقائع وحوادث منذُ الإمام علي وحتى المهدي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أي: فيه تاريخ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، بعبارة أخرى أنزل على فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ التقدير الخاص بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذي تم تدوينه في مصحف فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بما يتضمن من تقدير أرزاقهم، وحياتهم وموتهم، ومصائبهم، ووقائعهم.. إلخ

وبما أن ليلة القدر هي ليلة التقدير، وتقدير أهل البيت نزل على فاطمة، بمعنى أنها مستودع التقدير، لذا صحّ أن يطلق على ليلة القدر بأنها فاطمة. (١٤٠)

سابعاً: كلاهما فيه خفاء: فليلة القدر مخفية في ثلاث ليال، التاسعة عشر والحادية عشر والثالثة والعشرين، وكذلك فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فوفاتها مخفية في أيام متعددة، أشهرها بين ثلاث أيام، إما بعد أربعين يوماً من وفاة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وإما بعد شهرين ونصف، وإما بعد ثلاثة أشهر من وفاة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، بالإضافة إلى خفاء قبرها، فلذا صحّ أن نطلق على ليلة القدر بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ.

ثامناً: كلاهما لهما السيادة: فليلة القدر سيدة الليالي، وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

ونضيف لما ذكرناه رأي العلّامة المجلسي في بيان الخبر ما نصه: وأمّا تأويله-الصادق- عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة القدر بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فهذا بطن من بطون الآية، وتشبيهها بالليلة إمّا لسترها وعفافها، أو لما يغشاها من ظلمات الظلم والجور.[١٤٢]

الرأي الثاني: العلاقة بين فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وليلة القدر علاقة العلّة والمعلول

الرأي الثاني في تفسير الرواية -محل البحث- هو أن العلاقة بين فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وليلة القدر هي علاقة العلّة ومعلولها.. ونقصد بمبدأ العلّية: "إن لكل معلول علّة، أو أن لكل مسبب سببًا" ، مثال ذلك: النار سبب في الإحراق وشرب الماء سبب لرفع العطش، وهو من المبادئ العقلية الضرورية، ومن البديهيات الأولية المستغنية عن الدليل والبرهان.

ولقد ذكرنا في بداية البحث بأن المعرفة المقصودة في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (حق معرفتها)، هي (المعرفة الكمالية) التي ذكرنا أن مضمونها يدور حول هدف الشيء وَالغاية منه.

وكأنما المعنى هو: من عرف العلّة والغاية من وجود فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ سيعرف أنها السبب لوجود ليلة القدر، بعبارة أخرى أن وجود ليلة القدر مرهون بوجود فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ .

وهذا من قبيل الحديث القدسي الذي يرويه لنا جابر بن عبداللّه الأنصاري عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[١٤٣]

رُبّ تساؤل يرد: ألا يدلّ هذا الحديث على تفضيل فاطمة على أبيها الرسول وبعلها علي عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ؟، وأيضاً تفضيل علي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ على الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، رغم أننا نعلم يقيناً أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هو خير خلق اللّه؟

الجواب: ربما يعتقد السامع لهذا الحديث لأول وهلة أن الأمر كذلك، ولكن يذكر العلماء بأن الحديث فيه (إشارة إلى الأدوار التي أنيطت إلى كل واحد منهم، وأن دور اللاحق مكمّل لدور السابق، وحافظ له، فلولا اللاحق لما تحقق الغرض من السابق، فهي كالسلسلة مرتبطة ومترابطة فيما بينها)[١٤٤]

وللتوضيح نضرب لكم مثالاً -علماً أن الأمثلة تضرب ولا تقاس-:

لنفترض أن هدفي هو إنشاء بناية وأحتاج لإنشائها إلى عناصر أساسية أهمها: المهندس (وهو المصمم والمشرف)، وإلى الحدّاد (الذي ينفذ تسليح البناء)، وأحتاج إلى النجّار (الذي يدق القوالب لصب الكونكريت **Concrete**).

فهنا يمكنني أن أقول: (لولا المهندس ما اشتريت مواد البناء، ولولا الحدّاد لما استدعيت المهندس، ولولا النجّار لما استدعيت المهندس والحدّاد)؛ لأن الهدف لن يتحقق إلا بوجود هؤلاء الثلاثة، فكل منهم وجوده ضروري لتحقيق الهدف، وأيضاً يعتمد وجود كل منهم على وجود الآخر، وإلا لن يتحقق الهدف في إنشاء البناية).

وأيضاً لما نأتي إلى حجج اللّه على البرايا سنجد أنهم العلة الغائية وأن الكون قد خلق من أجلهم، انتبهوا للحديث القدسي في حديث الكساء ماذا قال؟ (...فَقَالَ اللّه عَزَّوَجَلَّ: يا مَلائكَتي وَيا سُكَّانَ سَماواتي إنّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنّيةً وَلا أرضاً مَدحيَّةً وَلا قَمَراً مُنيراً وَلا شَمساً مُضيئةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحراً يَجري وَلا فُلكاً يَسري إلاّ في مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمسَةِ

الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الكِسَاءِ، فَقَالَ الأَمِينُ جبرائيلُ: يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الكِسَاءِ؟ فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ هُمْ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا، وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا...)

(إذاً يظهر من هذا الحديث ومن خلال عدة أحاديث مأثورة أن الأفلاك والموجودات ما خُلقت لولا رسول اللّه: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك)، وهذه العبارة مطابقة لمضمون كثير من الأحاديث الولائية سواءً كانت من كتب الخاصة أو العامة. ولتوضيح المطلب سنطرحه بالنقاط الآتية:

أولاً: حينما نسأل، لماذا خلق اللّه الكون والأفلاك؟ فإن الجواب يأتي من القرآن الكريم وهو أن اللّه خلق الكون والحياة من أجل الإنسان، لأنه قال:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[١٤٥]، وقال :﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾[١٤٦]، وسخر كل شيئ في السماوات، وكل شيئ في الأرض، وسخرها في خدمة الإنسان؛ لأنه حينما يقول: (سَخَّرَ) فإن ذلك يعني أنه جعلها في خدمة الإنسان مسخرة له يتصرف بها كيف يشاء، مثل تسخير القمر والبحر للإنسان، فمن القمر ننتفع بالضوء ومن البحر ننتفع بالماء، وكما أن القمر يحمل السفن الفضائية على ظهره، كذلك البحر يحمل السفن الشراعية على ظهره أيضاً.

إذاً : فالجواب على السؤال المتقدِّم: لماذا خلق اللّه الأفلاك والكون، والحياة؟ أقول: الجواب، خلقها من أجل الإنسان كما صرح بذلك القرآن الكريم في أكثر من مائة آية كلها تؤكد المعنى وتصب اهتماماً في هذا الجانب بكلمة: سخر، وجعل...الخ.

ً: نسأل، لماذا خلق اللّه الإنسان؟ ويأتي الجواب من القرآن أيضاً: إنه للعبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [١٤٧]. والعبادة لا تتحقق إلا بشروط، ومن أهم تلك الشروط: معرفة الطريق،

وكشف الوسيلة، ووجود القائد، لأنه من دون القائد لا يمكن الانطلاق في اتجاه صحيح، ولذلك صار القائد الإمام المعصوم، ومعنى ذلك: إن فقدان القائد يعني فقدان العبادة، وإذا فقدت العبادة انتفت الحكمة من وجود الإنسان، وإذا انتفت الحكمة من وجود الإنسان لم يعد لوجود الأفلاك معنى؛ لأن الأفلاك إنما وجدت بوجود الإنسان الذي يعبد اللّه ولذلك عندما تقوم الساعة وينتهي دور الإنسان في الحياة فإن الكواكب والنجوم والأفلاك كلها تتمزق شذر مذر وينتهي دورها: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[١٤٨]، ويقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[١٤٩]، ويقول القرآن الكريم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[١٥٠]، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾[١٥١].

وعليه فمن كل ما تقدم نخرج بالنتيجة الآتية:

إن اللّه سبحانه -لولا الحبيب المصطفى- لم يخلق الكون ولا الأفلاك، ولأن هذه الحكمة لا تسقط بموت النبي وإنما تستمر الحكمة من خلال الأئمة الطاهرين أجمعين)[١٥٢]

ثالثاً: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنى سفينة النجاة -الدين الإسلامي- طوال ٢٣ سنة، فهل يعقل أن يترك السفينة بلا قائد أو قبطان يقودها بعد رحيله؟

نعم، إن اللّه تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[١٥٣]، ولكنه قالها بعد أن عيّن ونصّب في يوم غدير خم القائد والقبطان المؤهل الذي سيتولى أمر قيادة الأمة من بعد رحيله.

قد يقال: ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ترك لنا القرآن الذي هو تبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[١٥٤]!!

ويرد عليه بأن القرآن له ظاهر وباطن، ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: لا يدركه ويفهمه إلا من أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يبيّن للأمة كل ما تحتاج إليه إلى قيام الساعة، بل أعطاها ما تحتاج إليه وأودع ما تحتاج إليه بقية الأمة عند الإمام علي باب مدينة علم رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى أن مصادر أهل السنّة تذكر عن ابن عباس بأنه روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب». وقد رواه في المستدرك ومصادر أخرى.

فنحن لمّا نأتي إلى القرآن سنجد أن فيه ما يقارب من ٥٠٠ حكماً، والسنّة التي تركها الرسول بالطبع لا تكفي لتضع منهاجاً كاملاً يسد حاجة البشرية إلى قيام الساعة، لذا فوجود أوصياء وأئمة من بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منصّبين من قبل اللّه تعالى يتوارثون علوم رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمر ضروري لتحقيق الغاية من خلق الإنسان.

رابعاً: رُبّ تساؤل يرد: ولكن كلامكم يعني أنه لولا علي لما خلق اللّه الرسول، ولولا حجج اللّه على البرايا من الحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين لَمَا خلق اللّه الرسول وعلي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولذا فالأمر لا يختص بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ؟

الجواب باختصار: لكون السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي قطب الرحى والمحور، هي حلقة الوصل بين النبوة والإمامة، انتبهوا ماذا قال جبرائيل في حديث الكساء (فَقَالَ الأَمِينُ جبرائيل: يَا رَبِّ وَمَنْ تَحتَ الكِسَاءِ؟ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُم أَهلُ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَعدِنُ الرِّسَالَةِ هُم فاطِمَةُ وَأَبُوهَا، وَبَعلُهَا وَبَنُوهَا..)،

فجبرائيل من عباد اللّه الذين لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، فأول اسم ذكره هو (فاطمة) وربط من تبقى تحت الكساء بها -بالضمير المتصل(حرف الهاء)- أي: جعل فاطمة قطب الرحى.

ولتوضيح ذلك نقول:

إن الأئمة المعصومين من ذرية الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى ينتقل إليهم إرث النبوة وإرث الإمامة فهذا الأمر يحتاج إلى وعاء طاهر مطهّر يسع هذا الإرث ويتحمله، ولم تكن في الدنيا امرأة أكمل ولا أطهر من السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، فهي الحوراء الأنسية، لذا فقد نقلت إلى الحسنين إرث النبوة لكونها ابنة المصطفى، ونقلت إليهما إرث الإمامة لكونها زوج علي، لذا نقرأ في زيارة وارث: (السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ آدَمَ صَفْوةِ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ نُوحٍ نَبيِّ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ إبراهيمَ خَليلِ اللّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ موسى كَليمِ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ عيسى رُوحِ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ مُحَمَّدٍ حَبيبِ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ اَميرِ المُؤمِنينَ وَلِيِّ اللّهِ..)، والمقصود بإرث النبوة والإمامة إرثهم للكمالات من علوم ربانية ومقامات وكرامات وغيرها.

لذا فعدم وجود السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يعني عدم وجود أئمة معصومين وارثين لإرث النبوة والإمامة من بعد الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا يعني أن الأرض ستخلو من حجة بعد الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعلى هذا سينتفي الغرض من خلق الإنسان.

: السؤال المطروح هو: فَهِمْنا أن للسيدة فاطمة علاقة بوجود الأئمة المعصومين، ولكن ما علاقة فاطمة بليلة القدر؟

الجواب: ما ذكرناه له علاقة بليلة القدر لكون ليلة القدر مرهونة بوجود الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لكون الملائكة تتنزّل في

ليلة القدر، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[١٥٥]، ولكن على مَنْ تتنزّل الملائكة؟

الجواب: تتنزّل في ليلة القدر على الحجّة المنصب من قبل اللّه تعالى في ذلك الزمان، كما كانت تتنزل على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في زمانه، ومعلوم أن ليلة القدر مستمرة إلى قيام الساعة، فإذاً لا بد من وجود أئمة معصومين من بعد رسول اللّه تتنزل الملائكة على كل واحد منهم ليتم تقدير الأمور.

إذاً نفهم من ذلك لولا وجود فاطمة لما وجد الأئمة ولن يبقى لليلة القدر معنى لكونها قائمة بنزول الملائكة على الأئمة إلى قيام الساعة.

ما طرحناه في هذا البحث هو مقام واحد من مقاماتها العديدة... ولذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يكنُّ لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ محبة كبيرة وكان يوصي بها خيراً.

ولكن هل راعت الأمة الأمانة وحفظت الوصية؟

كلا، بل إنها غدرت بالرسول وبوصيته بعد وفاته مباشرة وخانت الأمانة حينما غصبوا الخلافة من أهلها، وغصبوا من فاطمة أرض فدك ولم يكتفوا بذلك حتى حرقوا دارها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها ولطموا خدّها...وفوق كل ذلك قيّدوا زوجها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخرجوه ليجبروه على بيعة الأول.

حيث تذكر لنا كتب السيرة والتاريخ: أنه لما أسقطت فاطمة جنينها أغمي عليها ودخل القوم فاقتادوا علياً إلى المسجد من أجل البيعة فلما أفاقت عَلَيْهَا السَّلَامُ التفتت إلى ابنتها زينب وقالت بنية أين أبوك عليّ؟ قالت: أماه لقد أخرجوه من الدار فقامت فاطمة وخرجت خلف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ تقع تارة وتقوم أخرى. أقول: بأية حالة

قادوا أمير المؤمنين؟ يقول المؤرخون وضعوا حبالا في عنقه وأخرجوه إلى المسجد قهرا وعندما تراءى له قبر النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم صاح: (يابن أم إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني).

هذا وفاطمة من خلفه ومعها الحسنان ونساء بني هاشم وهي تنادي، والذي بعث محمدا بالحق نبيا لئن لم تخلوا عن ابن عمي لأنشرن شعري وأضعن قميص رسول اللّه على رأسي وأصرخن إلى اللّه فما صالح بأكرم على اللّه من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم من ولدي.

(بحر طويل)

تاليها الشجاني اوزادهمّي اوهيَّجه الغمِّي وارخص غالي ادموعي واجره امن الجفن دمِّي
يوم الصاحت الزهره خلوا عن ابن عمى صاح افلان يا قنفذ ولك بالسوط ردليها
رد ليها اولوعها او روعها وهي اتنادي لفرع واشتكي للّه ابكل اللي عَلَي ساد
يو خلوا علي الكرار لا اتيتمون ويلادي تصرخ والعصه ويلاه تتلوه على ايديها

(أبوذية)

انشد عن مصابيها وسلها كتلها ابعصرته الظالم وسلها
يشيعي ابچي اعله عملتها وسلها او صب ادموع علزهره الزچيه

نعم لقد أخذوا أمير المؤمنين إلى مجلس الرجل والقوم يقولون له يا علي بايع وإلا ضربت عنقك، فلما سمع الحسنان قول القائل يا علي بايع أو نضرب عنقك رفعا أصواتهما بالبكاء فلما سمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلك قال لهما: لا تبكيا إنهما لن يقدرا على قتل أبيكما.[١٥٦]

(نصاري)

لحســـن وحســـين دمعتهم جريه ... يريـــت ايشـــوفهم ســـيد البرية
وابوهـــم علـــي حامـــي الحميه ... راســـه امكشّـــف او بالحبل ينجر

(أبوذية)

اشـــلون الخصـــم للزهـــره تجره ... دفعهـــا او من صدرهـــا الدم تجره
ألـــف مـــا تگدر الحيـــدر تجـــره ... وخذوه مكتوف حمّاي الحميه[١٥٧]

ربيع الثاني

عن الأيام الفاطمية

عظم الله أجوركم

الشرفاوي

المناسبة

الأيام الفاطمية الأولى

(على رواية شهادتها في شهر ربيع الثاني)

القصيدة: للسيد علي الترك الموسوي النجفي

لا صبرَ يابنَ العسكري فِشرعةُ الـ ... هادي النبيِّ استنصرت أنصارَها

هُدِمتْ قواعدُها وطاح منارُها ... فأقِمْ بسيفك ذي الفقار منارها

فإلامَ تُغضي والطغاةُ تحكّمت ... في المسلمين وحكّمت أشرارها

مولايَ ما سنَّ الضَلالَ سِوى الأُلى ... هجموا على الطهرِ البتولةِ دارَها

منعوا البتولَ عن النياحةِ إذ غدت ... تَبكي أباها ليلَها ونهارَها

قالوا لها قَرِّي فقد آذيتِنا ... أنّى وقد سلب المصابُ قرارَها

قطعوا أراكتَها ومن أَبنائها ... قطعت أُمَيُّ يمينَها ويسارَها

جمعوا على بيتِ النبيِّ محمدٍ ... حَطباً و أوقدتِ الظغائنُ نارَها

رضَّوا سليلةَ أحمدٍ بالباب حتى ... أنبتوا في صدرها مِسمارَها

عصروا ابنةَ الهادي الأمين وأسقطوا ... منها الجنينَ وأخرجوا كرارَها

قادوه والزهراءُ تعدو خلفهم ... عبرى فليتك تنظر استعبارَها

والعبدُ سوَّد متنَها فاستنصرت ... أسفا فليتك تسمع استنصارَها

فقضت وآثارُ السياطِ بمتنِها ... يا ليت عينَك عاينت آثارَها

(مجردات)

يابـــن الحســـن يـــا مـــدرك الثـــار تصبـــر او عنـــدك كل الاخبـــار

ابگوم العـــده وگفـــوا علـــى الدار او رادوا حريـــج البـــاب بالنـــار

او حيـــدر جليـــس الـــدار محتـــار الزهـــره اطلعـــت مذهولـــه الأفكار

تتســـتر اولا فوگهـــا ايـــزار عصرهـــا النـــذل وابعصرتـــه جـــار

او تكسَّـــر ضلـــع بضعـــة المختار او بالصـــدر ويلـــي نبـــت مســـمار

او جنيـــن اسگطت والدمـــع دم فار او بالحبـــل جـــرّوا حامـــي الجـــار

او وراه اطلعـــت بـــت نـــور الأنـــوار تنخـــه او تنـــادي اجمـــوع الأنصار

اولا شـــافت امـــن الگوم نغّـــار رد العبـــد بالســـوط وانـــدار[١٥٨]

المحاضرة الرابعة

هل يمكن رؤية اللّه بالبصر؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١٥٩]

نحن نعيش في زمان كثرت فيه الفتن، ومن أخطر هذه الفتن ظهور طائفة في الدول الإسلامية يشككون في وجود اللّه تعالى؛ لأنهم لا يرونه، ويسندون ما يحدث في هذا الكون إلى الطبيعة، أو إلى الصدفة، ويجهرون بذكر أدلتهم الواهية الباطلة على إنكار وجود الخالق العظيم في محيطهم وفي وسائل الإعلام، مستغلّين ضعف عقيدة توحيد اللّه تعالى عند بعض المسلمين.[١٦٠]

لقد ذكرنا في الجزء الثاني من كتاب (زاد المبلغات) بعض البراهين التي تثبت وجود اللّه تعالى، وذكرنا في الجزء الثالث الأدلة التي تنفي بأن الصدفة والطبيعة هي التي خلقت العالم والكون، ونريد أن نَردّ في هذه المحاضرة على من ينكر وجود اللّه لأنه لا يراه...لأنه صار من المألوف للإنسان أن يرى الشيء أو يلمسه، أو يحسبه بأي طريق معتبر لديه.

لذا فالسؤال المطروح: إذا كان اللّه موجوداً فلماذا لا نراه؟

بعبارة أخرى: كيف نؤمن بإله لا نراه؟

وقبل أن نجيب على السؤال، لنقف على معنى الرؤية البصرية.

الرؤية البصرية عبارة عن: انعكاس صورة المرئي على العين عن طريق وصول النور النابع أو المنعكس من الأشياء إلى العين، ثمّ انتقال هذا النور على شكل أمواج عصبية إلى الدماغ من أجل تحليله وتفسيره وتعقّل شكل وصورة المرئي.

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: الرد على منكري وجود الله لعدم رؤيته

يحتج بعضهم بعدم وجود اللّه لعدم إمكانية رؤيته!!

ونرد عليه بأن الرؤية ليست ملاكاً للوجود وعدم الرؤية ملاكاً للعدم، قال العقلاء (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود)، فهناك أشياء كثيرة موجودة ولا تُرى بالعين، فليس كلّ غير محسوس معدوم. وإليكم الأمثلة الآتية:

١- الألم في الجسم لو لم تدل عليه علّة ظاهرية، فهو غير محسوس للآخرين في حين أنه موجود.

٢- في المساء يحكم الإنسان بوجود النهار في الجانب الآخر من الكرة الأرضية، في حين أنه غير محسوس.

٣- الأرض كروية ولكن الإنسان يحسها مسطحة.

٤ -أمواج الراديو، وذبذبات الهواتف النقّالة موجودة في الفضاء، ولكنها ليست محسوسة.

٥- إن الأمواج الصوتية التي تكون درجة ذبذبتها بين ٢٠ و٢٠٠٠٠ مرة في الثانية هي التي يمكننا إدراكها، وأما الأمواج التي تكون درجة الذبذبة فيها دون هذا الحد أو فوقه فهي غير قابلة للسماع لنا.

٦- ما ندركه من الأمواج الضوئية هي التي يكون درجة اهتزازها بين ٤٥٨ مليون مليون، و٧٢٧ مليون مليون في الثانية، أما الأمواج الضوئية التي دون ذلك أو فوقه في الفضاء فهي لا ترى.

٧- الطاقة موجودة ولكنها لا تُحس، ولا يعرف أحد حقيقتها.

٨- الجاذبية موجودة في جميع الأجسام بينما لا تخضع للحس.

هذه جملة من الحقائق العلمية المتفق عليها، مع أنها لا تخضع للحس.

وأيضاً إن الحس (إما عن طريق الرؤية، أو السمع، أو اللمس) لا يعطينا الكشف الصحيح عن الواقع لوحده، فهناك أشياء تُرى في حين أنها لا واقع لها.

وإليك شواهد أخرى على ذلك:

١- الصورة تشاهد في المرآة في حين أنه لا وجود خارجي لها.

٢- حينما يسير القطار يشاهد الإنسان الأشجار والجبال تمرّ من أمامه بسرعة، والواقع يكذب ذلك.

٣- تبدو سكتا الحديد ملتقيتين من بعيد، في حين أنهما متوازيتان، والمتوازيان لا يلتقيان مهما مددناهما.

٤- يبدو السراب للمشاهد ماءً في حين أنه لا يوجد ماء.

٥- يقال: أن للفضاء بعداً رابعاً ولكنه غير محسوس.

٦- في الشتاء حيث الباب الخشبي وباب الحديد يكونان في درجة حرارة واحدة، يحس اللامس أن باب الحديد أكثر برودة.

٧- في جميع التجارب العلمية لو لم تساعدنا الأدوات والآلات فإن حواسنا الظاهرية عاجزة عن إدراك كثير من الأشياء.

هذه جملة من الأمور التي يستنتجها الإنسان نتيجة إدراكه لها بالحواس، ولكن العقل لا يعتقد بوجودها، ولذلك

فلا يصح مطلقاً أن نجعل الحس ملاكاً لتشخيص الواقع.[١٦١]

إذاً نفهم مما ذكرناه: (إن إيماننا بوجود الأشياء من خلال الحواس الخمس، إنما هو لأن العقل يقول بوجودها، والحواس ليست إلا وسيلة لذلك.

فأساس الإيمان بالأشياء التي نراها هو العقل، والبصر ليس إلا وسيلة من وسائل العقل، وكذلك الحال مع ما نسمعه، أو نلمسه، أو نشمّه، أو نتذوقه.

فإذا كان هنالك شيء يحكم العقل بوجوده، بوسيلة العقل مباشرة، دون واسطة هذه الحواس، فلابد من الإيمان به بطريقة أولى.

يروى أنه جرى حوار بين هشام بن الحكم تلميذ الإمام جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين شيخ المعتزلة عمرو بن عبيد البصري ... حيث قال هشام له: « أيها العالم اني رجل غريب أتأذن لي مسألة»

فقال: « نعم »

فقال: « ألك عين ؟»

قال: « نعم»

قال:« فما تصنع بها؟ »

قال :« أرى بها الألوان والأشخاص »

قال : « فلك انف ؟»

قال : « نعم »

قال: « فما تصنع به ؟»

فقال: « أشم به الرائحة »

قال :« ألك فم؟ »

فقال :« نعم »

قال :« فما تصنع به ؟»

قال: « أذوق به الطعام »

قال :« ألك أذن؟ »

فقال :«نعم »

قال :« فما تصنع بها ؟»

قال:» أسمع بها »

قال :« ألك قلب ؟»

قال :« نعم »

قال:» فما تصنع به ؟»

قال :« أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس»

قال :« أو ليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب ؟ »

فقال :« لا»

فقال :« فكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟»

فقال :« يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب فيستيقن ويبطل الشك »

فقال هشام :« فإنما أقام اللّه القلب لشك الجوارح (أي لضبطها) ؟»

قال :«نعم »

قال :« لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح ؟ »

قال :« نعم »...[١٦٢]

والمقصود بالقلب العقل، إذن فنحن نتعامل مع هذه الأمور من خلال العقل، حيث إن للعقل أحكاماً تسمى بالقواعد العقلية، وهي أمور تحكم بها عقولنا مباشرة.

ومن أهم تلك القواعد: ما يحكم به العقل من أن كل مصنوع له صانع، وكل ترتيب له مدّبر، وكل مربوب له ربّ.. فعندما ترى سيارة في الشارع وفيها آثار(الصنعة)، أو حينما ترى بيتاً جميلاً فيه غرفة نوم مرتّبة، وستائر معلّقة، ومسبحاً جميلاً، وحديقة غنّاء، وطيوراً في أقفاص، ومطبخاً قد وضع كل شيء في مكانه، فإن عقلك يقول: أن شخصاً حكيماً قادراً، صنع كلّ ذلك بتصميم مسبق، وخطّة محكمة، وقد وضحنا هذه القاعدة في برهان النظام في الجزء الثاني من كتاب زاد المبلغات[١٦٣]

ولا يمكن أن تنكر وجود (مصمم ذكي) للسيارة، أو للبيت لأنك لم تره، ولم تسمع له صوتاً، ولم تشم له رائحة، أو لم تلمس جسمه) .[١٦٤]

ولا يمكن أن نقول أنها الصدفة أو الطبيعة العمياء الجاهلة التي أثبتنا بطلانها في الجزء الثالث من كتاب زاد المبلغات [١٦٥]

ولذا وجب على المؤمن أن يتسلّح بمثل هذه القواعد العقلية، ليحصّن بها نفسه، وليكون سبباً في هداية

الآخرين، لا أقل من باب إتمام الحجة عليهم.

روي أنه سَمِعَ بهلول أبا حنيفة يقول: أنّ جعفر بن محمّد يقول بثلاثة أشياء لا أرتضيها، يقول: الشيطان يعذّب بالنار، كيف وهو من النار؟ ويقول: أنّ اللّه لا يُرى ولا تصحّ عليه الرؤية، وكيف لا تصحّ الرؤية على موجود؟ ويقول: أنّ العبد هو الفاعل لفعله، والنصوص بخلافه.

فأخذ البهلول حجراً وضربه به، فأوجعه، فذهب أبو حنيفة إلى هارون واستحضروا البهلول ووبّخوه على ذلك.

فقال لأبي حنيفة: أرني الوجع الّذي تدّعيه وإلّا فأنت كاذب، وأيضاً فأنت من تراب كيف تألّمت من تراب؟ ثمّ ما الّذي أذنبته إليك، والفاعل ليس هو العبد، بل اللّه؟ فسكت أبو حنيفة وقام خجلاً.[١٦٦]

ولقد ذكر العلماء عدة حوارات ترد على من ينكر وجود اللّه لأن العيون لا تراه، اذكر منها الحوار الآتي:

ذهب جماعة من الطلاب إلى مدرسة إلحادية.. وفي اليوم الأول من الدوام، حضروا الصف، وكان في الصف منضدة عليها تصوير أحد زعماء الملحدين.

فجاء المعلم، وقال للطلاب: هل لكم عين؟ وأين هي؟

وهل لكم أذن؟ وأين هي؟

وهل لكم أيدٍ وأرجل؟ وأين هي؟

قال الطلاب: نعم.. لنا أعين وأذن وأيد وأرجل.. وهي هذه، وأشاروا إلى هذه الأعضاء.

قال المعلم: وهل ترون هذا الأعضاء وتحسون بها؟

قال الطلاب: نعم.. نراها ونلمسها.

قال المعلم: وهل ترون هذا التصوير على المنضدة.

قالوا: نعم.. نراها.

قال المعلم: وهل ترون المنضدة وسائر ما في الغرفة؟

قالوا: نعم.. نراها.

وهنا انبرى المعلم قائلاً: وهل ترون اللّه؟ وهل تحسون به؟

قالوا: لا... لا نرى اللّه ولا نلمسه.

قال المعلم: فهو إذاً خرافة تقليدية..

إن كل شيء في الكون نحس به ونراه، أما ما لا نراه ولا نحس به، فهو خطأ، يلزم علينا أن لا نعترف به.. وإلا كنا معتقدين بالخرافة..

وهنا قام أحد التلاميذ، وقال: اسمح أيها الأستاذ بكلمة؟

المعلم: تفضل.

التلميذ: أيها الزملاء أجيبوا على أسئلتي.

الزملاء: سل.

التلميذ: أيها الزملاء..

هل ترون المعلم؟

هل ترون الصورة الموضوعة على المنضدة؟

هل ترون المنضدة؟

هل ترون الرحلات؟

الزملاء: نعم.. نرى كل ذلك..

التلميذ: أيها الزملاء..

هل ترون عين المعلم؟

هل ترون أذن المعلم؟

هل ترون وجهه؟

هل ترون يده ورجله؟

الزملاء: نعم نرى كل ذلك..

التلميذ: أيها الزملاء.. هل ترون عقل المعلم؟

الزملاء: كلا! لا نرى عقله..

التلميذ: فالمعلم إذاً لا عقل له، فهو مجنون.. حسب مقالته، لأنه قال: كلما لا يراه الإنسان، فهو خرافة، يجب على الإنسان أن لا يعترف به.. وإنا لا نرى عقل المعلم.. فهو إذاً لا عقل له، ومن لا عقل له يكون مجنوناً.

وهنا ألقم المعلم حجراً، واصفر وجهه خجلاً، ولم ينبس ببنت شفة، وضحك الطلاب. [١٦٧]

المبحث الثاني: رؤية اللّه تعالى في المنظور الإسلامي

المطلب الأول: عقيدة المسلمين حول رؤية اللّه

١. **عقيدة الشيعة:** يعتقد أتباع مذهب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تبعاً للرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والأئمّة الأطهار بأنّ رؤية اللّه عزوجل سواءً في الدنيا أو الآخرة، وبالعين المجرّدة تعدّ من الأمور المستحيلة؛ لأنّ اللّه عزوجل أجلّ وأكبر من أن يكون كالأجسام المادية، مثل الشمس والقمر التي تدرك بالانعكاسات الضوئية.[١٦٨]

بمعنى أن هذه العيون والأبصار التي نرى فيها الجبال والأنهار والطبيعة يستحيل أن نرى فيها اللّه تعالى، بل حتى في الآخرة لا يمكن رؤية اللّه تعالى أيضاً.

قال الشيخ المفيد: «لا يصح رؤية الباري سبحانه بالأبصار، وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى من آل محمّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعليه جمهور أهل الإمامة وعامّة متكلّميهم، والمعتزلة بأسرها توافق أهل الإمامة في ذلك»[١٦٩]

٢. **عقيدة أهل السُنّة:** قال أبو الحسن الأشعري: «وندين بأنّ اللّه يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر»[١٧٠]

مع ملاحظة أنّ الرؤية التي وقع الاختلاف حول إمكانها، أو استحالتها هي الرؤية بمعنى إدراكه تعالى عن طريق حاسّة البصر، أمّا تفسير رؤية اللّه بالإدراك المعرفي، أو الكشف الشهودي (الرؤية القلبية) أو العلم الحضوري فهو مما لم يقع الاختلاف حول إمكانه، ولا خلاف في جوازه، وسنقف عليه في نهاية المحاضرة.

المطلب الثاني: الأدلة القرآنية على نفي رؤية الله بالبصر

ونذكر منها الآيتين الآتيتين:

١ــ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٧١)

و «الإدراك» المضاف إلى «البصر» يفيد «الرؤية»، وقد بيّنت هذه الآية بأنّه تعالى منزّه عن الرؤية البصرية. (١٧٢)

٢ــ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ (١٧٣)

و «لن» تفيد النفي الأبدي، فيثبت من قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿... لَنْ تَرَانِي ...﴾ (١٧٤) أنّه تعالى لن يُرى بالبصر أبداً. (١٧٥)

ولو كان الله ممكن الرؤية بحاسّة البصر لكان النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى الناس برؤيته(١٧٦). (١٧٧)

المطلب الثالث: الأدلة الروائية حول نفي رؤية الله بالبصر

توجد العديد من روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي تنفي رؤية الله بالبصر، ونذكر منها الروايات الآتية:

١ــ قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « انحسرت الأبصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفاً ». (١٧٨)

٢ــ وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ حول الله تعالى: «... ولا بمحدث فيبصر... ». (١٧٩)

٣ــ وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: « الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر». (١٨٠)

٤ــ سُئل الإمام الصادق(عَلَيْهِ السَّلَامُ: « أنّ رجلاً رأى ربّه عزّوجلّ في منامه، فما يكون ذلك؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذلك رجل لا

دين له، إنّ اللّه تبارك وتعالى لا يُرى في اليقظة، ولا في المنام، ولا في الدنيا، ولا في الآخرة ». (١٨١)

٥ـ سُئل الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « إنّا روينا أنّ اللّه قسّم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسّم الكلام لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولمحمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الرؤية. قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «... كيف يجئ رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللّه، وأنّه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه، فيقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ...﴾ (١٨٢) و ﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١٨٣) و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (١٨٤)، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني...؟! » (١٨٥)

المطلب الرابع: الأدلة العقلية على استحالة رؤية اللّه بالبصر

ذكر العلماء أدلة عقلية عديدة تثبت استحالة رؤية اللّه بالبصر، ولكن بيانها يحتاج إلى مقدمات عقائدية يصعب توضيح تفاصيلها للعوام، ولكن سنذكر بإيجاز ما يمكننا توضيحه.

يقول صاحب كتاب الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل معقباً على قوله تعالى:﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار .. ﴾ ما نصه: تثبت الأدلة العقلية أن اللّه لا يمكن أن يُرى بالعين؛ لأن العين لا تستطيع أن ترى إلا الأجسام، أو على الأصح بعضاً من كيفيات الأجسام، فإذا لم يكن للشيء جسمٌ ولا كيفية من كيفيات الجسم، لا يمكن أن تراه العين، وبتعبير آخر، إذا أمكنت رؤية شئ بالعين، فلأن لهذا الشيء حيزاً واتجاهاً وكتلةً، في حين أن اللّه أرفع من أن يتصف بهذه الصفات، فهو وجود غير محدود وهو أسمى من عالم المادة المحدود في كل شئ. (١٨٦)

إن ما تدركه الحواس -من سمع وبصر وشم ولمس وتذوق- لا يكون إلا جسماً، كإدراك حواسنا للإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، والطبيعة، وغيرها.

هـذا الجسـم محـدود فـي المـكان والزمـان لا محالـة؛ لأنـه محصـور بالطـول والعـرض والارتفـاع، ومحـدود بالزمـان... بعبـارة أخـرى أن الجسـم يحتـاج وجـوده إلـى الزمـان والمـكان، كمـا لـو قلنـا (فـلان عـاش مـن سـنة كـذا إلـى سـنة كـذا، ويسـكن فـي العـراق)، فـكل جسـم هـو مربـوط بالزمـان والمـكان، وكمـا هـو معلـوم أن الزمـان والمـكان مخلوقـان، وللتوضيـح حينمـا خلـق اللّه الكواكـب وخلقنـا علـى كوكـب الأرض صـار لدينـا مـكان... ولمـا خلـق الشـمس والقمـر وجعـل الأرض تـدور حـول نفسـها، وبنفـس الوقـت تـدور حـول الشـمس حينها تحقق الزمـان...

والجسـم حينمـا خلقـه اللّه خلقـه فـي مـكان معيـن وزمـان محـدد، بمعنـى أن الجسـم محتـاج إلـى المـكان والزمـان، فـلا يوجـد مخلـوق فـي الحيـاة الدنيـا إلا وهـو محصـور بالزمـان والمـكان، وهـذا الاحتيـاج ينسـب فقـط إلـى المخلـوق ولا ينسـب إلـى الخالـق الغنـي بذاتـه غيـر المحتـاج إلـى غيـره، قـال تعالـى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِي الْحَمِيدُ﴾ (١٨٧)، فلـذا لـو قلنـا أن اللّه يمكـن رؤيتـه بالبصـر معنـى ذلـك أننـا جعلنـاه جسـماً محتاجـاً للزمـان والمـكان وعلـى هـذا صـار فقيـراً، وليـس غنيـاً، وكل فقيـر محتـاج لغيـره هـو ليـس بإلـه، بالإضافـة إلـى أن القـول بتجسـيم اللّه يسـتلزم منـه إشـكالات عديـدة ذكرهـا العلمـاء فـي كتبهـم العقائديـة.

يقـول الشـيخ علـي الكورانـي: (إن مـا تـراه العيـن لا بـد أن يكـون موجـوداً داخـل المـكان والزمـان ، واللّه تعالـى وجـود متعـال علـى الزمـان والمـكان؛ لأنـه خلقهمـا وبـدأ شـريطهما مـن الصفـر والعـدم، فـلا يصـح أن نفترضـه محـدوداً بهمـا خاضعـاً لقوانينهمـا! لقـد تعـودت أذهاننـا أن تعمـل داخـل الزمـان والمـكان حتـى ليصعـب عليهـا أن تتصـور موجـوداً خـارج قوانينهمـا، وحتـى أننـا نتصـور خـارج الفضـاء، والكـون بأنـه فضـاء! وهـذه هـي طبيعـة الإنسـان قبـل أن يكبـر ويطلـع ، وقـد ورد أن النملـة تتصـور أن لربهـا

قرنين كقرنيها، لكن عقل الإنسان يدرك أن الوجود لا يجب أن يكون محصوراً بالمكان والزمان، ويرتقي في إدراكه إلى ما هو أعلى من الزمان والمكان ويؤمن به وإن عرف أنه غير قابل للرؤية بالعين .

وهذا الارتقاء الذهني هو المطلوب منا في فهم وجود اللّه تعالى، لا أن نجره إلى محيط وجودنا، ومألوف أذهاننا، كما فعل اليهود عندما شبهوه بخلقه وادعوا تجسده في عزير وغيره، وكما فعل النصارى فشبهوه بخلقه وادعوا تجسده بالمسيح وغيره) (١٨٨)

(من الأمور الواضحة والبديهية، أن لكل شيء مقياسه، وللوصول إلى كل شيء أدواته وأسبابه المناسبة له. ليس هناك من يسمح بأن يقال لعالم الفلك: اكتشف لنا الميكروب الفلاني بمحاسباتك الفلكية، وليس من المتوقع من المتخصص في معرفة الميكروبات أن يكتشف لنا أقمار (المشتري) بأدواته الخاصة... وانطلاقاً من ذلك لا يصح مطلقاً أن نصل إلى (ما وراء الطبيعة) بالوسائل الطبيعية، ومن الخطأ أن نتوقع رؤية الخالق من وراء المجهر، أو التلسكوب، أو تحت سكاكين التشريح.

للمسافات مقياس هو الكيلومتر، وللأوزان مقياس هو الكيلوغرام، ولدرجة الحرارة مقياس هو الثرمومتر، وللضغط مقياس هو البارومتر... وهكذا.((١٨٩)

وكما هو معلوم أن الجسم محدود، واللّه لا حدّ له، فكيف يستطيع المحدود-كالإنسان- من رؤية اللامحدود؟

يروى أنه تحاكم جماعة من الماديين إلى (آينشتاين) ليروا رأيه بالنسبة إلى اللّه تعالى؟

فأجاز لهم أن يمكثوا عنده (١٥) دقيقة، معتذراً بكثرة أشغاله،

فلا يتمكن أن يسمح لهم بأكثر من هذا الوقت.

فعرضوا عليه سؤالهم، قائلين: ما رأيك في اللّه؟

فأجاب قائلاً: «ولو وفقت أن أكتشف آلة، تمكنني من التكلم مع الميكروبات، فتكلمت مع ميكروب صغير، واقف على رأس شعرة من شعرات رأس إنسان، وسألته: أين تجد نفسك؟ لقال لي: أني أرى نفسي على شجرة رأس شاهقة! أصلها ثابت وفرعها في السماء.

عند ذلك أقول له: أن هذه الشعرة التي أنت على رأسها، إنما هي شعرة من شعرات رأس إنسان.. وإن الرأس عضو من أعضاء هذا الإنسان ..... ماذا تنظرون؟

هل لهذا الميكروب المتناهي في الصغر: أن يتصور جسامة الإنسان وكبره؟

كلا!

إني بالنسبة إلى اللّه تعالى، لأقل وأحط من ذلك الميكروب، بمقدار لا يتناهى فأنى لي أن أحيط باللّه الذي أحاط بكل شيء، بقوى لا تتنامى، وعظمة لا تحد؟».

فقام المتشاجرون من عند (آينشتاين)، وأذعنوا للقائلين بوجود اللّه عزوجل.[١٩٠]

المطلب الخامس: رؤية اللّه محصورة بالقلوب لا بالعيون

إن عدم تمكّن الإنسان من رؤية اللّه تعالى بعينيه لا يعني أنه عاجز عن رؤية اللّه بشكل مطلق، بل هناك رؤية من نوع آخر تسمى بـ (الرؤية القلبية) يذكرها لنا أئمتنا الأطهار، نذكر منها الروايات الآتية:

١ــ سُئل الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ : « هل رأى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ربّه عزّ وجلّ؟، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «نعم، بقلبه رآه، أما سمعت اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [١٩١]، أي: لم يره بالبصر، ولكن رآه بالفؤاد» [١٩٢]

٢. روي عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)،قَالَ: « سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقِيلَ لَهُ: يَا أَخَا رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَعْبُدُ مَنْ لَمْ أَرَهُ؟ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ » [١٩٣]

نفهم من خلال المحاضرة أن الرؤية على قسمين :

١- رؤية مادية حسية بصرية.

٢- رؤية معنوية قلبية (عقلية).

أما بالنسبة إلى القسم الأول، فاللّه سبحانه وتعالى منزه عن الرؤية المادية الحسية البصرية لقوله تعالى:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[١٩٤]، ولقوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ :﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾[١٩٥]، ولقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لذعلب اليماني : :﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ يعني أن رؤيته ليست بالعين، وبمشاهدة القوة البصرية الجسمانية فإن هذه غير جائزة على اللّه تعالى لما يستلزمه من الجسمية، والمكانية والجهتية، وغيرها واللّه سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[١٩٦]

وأما بالنسبة إلى القسم الثاني، وهو الرؤية المعنوية القلبية (العقلية)، وهي أن ينتقل بنا العقل من شاهد محسوس إلى شاهد غائب كما انتقل عقل (نيوتن) من مشاهدة التفاحة تسقط من الشجرة على الأرض -شاهد محسوس- انتقل من ذلك إلى حقيقة قانون الجاذبية -شاهد غائب- وامتلأ قلبه إيماناً بهذه الحقيقة وقلّده كلّ العلماء.

فلقد رأت العيون الخلق وحكم العقل، وجزم بوجود الخالق، واعتقد القلب وآمن، كما ذكرنا ذلك في برهان النظام والحركة في الجزء الثاني لكتاب زاد المبلغات.

بعبارة أخرى (إنّ الحواس عاجزة عن إثبات وجود اللّه تعالى بصورة مباشرة، ولكن يمكن الاستعانة في هذا المجال بصورة غير مباشرة، وذلك عن طريق معرفة النظام المهيمن على هذا العالم عن طريق الحواس، ومن ثمّ الاستنتاج عن طريق العقل بوجود منظّم حكيم وراء هذا النظام الدقيق) [١٩٧]

وهذا ما عناه الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله لذعلب: « تدركه القلوب بحقائق الإيمان » أي آمن القلب حقاً وواقعاً؛ لأنه رأى بعين الحس والعقل.

والخلاصة: إن الإنسان المؤمن إذا وصل إلى أعلى مراتب الإيمان، بحيث حصل له القطع، واليقين، والعلم المتين، بوجود الخالق العظيم من خلال الآثار والحقائق والآيات الدالة عليه... فحينها سيرى اللّه تعالى -بقلبه ووجدانه وعقله المذعن، الخالي عن الماديات، الصافي من الشكوك والأوهام- رؤية نورانية معنوية [١٩٨].

المطلب السادس: هل يمكن رؤية اللّه في الآخرة؟

لقد ذكرنا إن كثيراً من أهل السنة يعتقدون أن اللّه سيُرى يوم القيامة، في حين أننا نخالفهم في ذلك استناداً للأدلة العقلية والنصوص الشرعية، وللاختصار سنذكر دليلين مع ردود علمائنا عليها:

١. احتجاج أهل السنّة بدليلهم العقلي بأن ملاك الرؤية هو «الوجود»، وكلّ موجود يصح رؤيته، وبما أنّه تعالى موجود فيمكن رؤيته [١٩٩].

ويرد عليه: بأن ملاك الرؤية ليس «الوجود» بما هو وجود، بل هو الوجود المقيّد بقيود، منها كونه جسماً ماديّاً واقعاً في إطار ظروف خاصّة، لتصح رؤيته.

ولهذا توجد أُمور من قبيل: العلم، الإرادة، العقل، النفس، اللذة، والألم موجودة، ولكنّها لا ترى بالعين [٢٠٠].

٢. احتجاج أهل السنة بقوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢٠١] فهم يفسرون الآية بأن المؤمن يستطيع رؤية اللّه بعينه في الجنة.

يرد عليه:

١. «النظر» لا يفيد «الرؤية» دائماً؛ لأنّ حقيقة «النظر» في اللغة هو تقليب حدقة العين نحو الشيء طلباً لرؤيته [٢٠٢]، وقد يقلّب الإنسان نظره طلباً للعثور على شيء، ولكنّه لا يراه، ولذلك يقال: «نظرت إلى الهلال فلم أره» [٢٠٣]

٢. البراهين العقلية والقرآنية، على استحالة رؤية اللّه بالبصر، والتي أشرنا إليها سابقاً، تلزمُنا اتّباع تفسير يجنّبنا الوقوع في محاذير القول برؤية اللّه بالبصر.

وقد فسّر لنا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هذه الآية، فقد روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ حول تفسير قوله تعالى:﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة﴾: «يعني مشرقة تنتظر ثواب ربّها» [٢٠٤]

واللافت للنظر أن الأحاديث والروايات الواردة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تستنكر هذه العقيدة الخرافية أشد استنكار، وتنتقد القائلين بها أشد انتقاد، من ذلك أن أحد أصحاب الإمام الصَّادِق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال له: « يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ

اللّه(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) رَأَى رَبَّهُ، عَلَى أَيِّ صُورَةٍ رَآهُ؟ وَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَوْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، عَلَى أَيِّ صُورَةٍ يَرَوْنَهُ؟فَتَبَسَّمَ(عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثُمَّ قَالَ:«يَا مُعَاوِيَةُ، مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ يَأْتِي عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً أَوْ ثَمَانُونَ سَنَةً يَعِيشُ فِي مُلْكِ اللَّهِ وَ يَأْكُلُ مِنْ نِعَمِهِ،ثُمَّ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؟»... ثُمَّ قَالَ(عَلَيْهِ السَّلَامُ):«يَا مُعَاوِيَةُ،إِنَّ مُحَمَّداً(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لَمْ يَرَ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَ إِنَّ الرُّؤْيَةَ عَلَى وَجْهَيْنِ: رُؤْيَةُ الْقَلْبِ وَ رُؤْيَةُ الْبَصَرِ، فَمَنْ عَنَى بِرُؤْيَةِ الْقَلْبِ فَهُوَ مُصِيبٌ، وَ مَنْ عَنَى بِرُؤْيَةِ الْبَصَرِ فَقَدْ كَذَبَ وَ كَفَرَ بِاللَّهِ وَ بِآيَاتِهِ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ»[٢٠٥]

أقول: وكيف يستطيع المحدود من رؤية اللامحدود؟

قيل للإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يزعم بعض الناس أنه يمكن أن يُرى اللّه، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب»[٢٠٦].

بمعنى إذا كان الإنسان عاجزاً عن النظر إلى الشمس مباشرة دون حجاب، فكيف يستطيع النظر إلى اللّه تعالى الذي لا حدّ له ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟

بل إن الخلق عندما يحشرون يوم القيامة لا يقدرون على النظر إلى نور بعض مخلوقات اللّه المقدّسة كنور فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، فلقد روي عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري أنه قال لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ : « جعلت فداك يا بن رسول اللّه،

حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ : حدثني أبي، عن جدي، عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، قال: إذا كان يوم القيامة، إلى أن قال، فيقول اللّه تعالى: يا أهل الجمع، إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع، طأطئوا الرؤوس، وغضوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة.. »[٢٠٧]

رُبّ تساؤل يرد: لماذا النداء يأمرنا أن نطأطئ رؤوسنا ونغض أبصارنا عند مرور فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ونحن نعلم أنها محتشمة، بالإضافة إلى أن يوم القيامة ليس دار تكليف فما الضرر لو وقع النظر عليها عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟

الجواب: هناك عدة احتمالات ولكن سأكتفي بذكر ما يتعلق بمحل الشاهد وهو أن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ سيكون لها نور متميز في يوم القيامة بحيث لا يقوى البشر على النظر إليها مباشرة ،كامتناعنا عن النظر المباشر لعين الشمس في الدنيا...لذا طُلب منا أن نغض أبصارنا ، بل ونطأطئ رؤوسنا لعظمة نورها الذي ربما يخطف الأبصار.

فكما هو معلوم أن المؤمن يتجسد إيمانه وعمله الصالح يوم القيامة على هيئة نور يتلألأ ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[٢٠٨] فكيف بمن بلغت الدرجات العلى في الإيمان والعمل الصالح !! فبالتأكيد سوف يشغل مساحة أكبر وسيكون نورها أشد ....

فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ واحدة من أهم أسمائها وألقابها «الزهراء » ، روي عن أبي هاشم العسكري قال : « سألت صاحب العسكر عَلَيْهِ السَّلَامُ : لم سمّيت فاطمة « الزهراء » عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ فقال : « كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من

أوّل النهار كالشمس الضاحية ، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّيّ »[٢٠٩]

بل حتى عوام الناس قد لاحظوا هذا النور، حتى تذكر بعض الروايات بأن عائشة قالت: « كنا نخيط ونغزل وننظم الإبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة » [٢١٠]

فمن باب أولى أن يكون لها نور ساطع لا يتحمل أحد النظر إليه إلا من أقدره الرحمن كأبيها وبعلها وبنيها صلوات ربي عليهم أجمعين.

هذه الصديّقة الطاهرة حاول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تعريفها للناس كي يطيعوها ولا يؤذوها، ولا يُحرمون من بركاتها، فروي عن مجاهد: خرج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو آخذ بيد فاطمة فقال:«من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه»[٢١١]

يا ترى هل عرفت الأمة المحمدية السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فاحترموها وقدسوها أم جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فخانوا الرسول وغدروا ببضعته وظلموها وآذوها؟

عشرات الأدلة الروائية تثبت أنهم آذوها وظلموها بعد وفاة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بغصب الخلافة من الخليفة الشرعي المنصّب من قبل اللّه تعالى وهو بعلها أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وغصب أرض فدك، وبحرق دارها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وضربها...وهكذا بقيت مظلومة مهضومة.

يقول السيد المقرم[٢١٢]: رأت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أباها في المنام فشكت إليه ما نالها من بعده، فقال لها: انك قادمة عن قريب. وما زالت تقول في تلك الأيام والليالي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثني، اللهم زحزحني عن النار وأدخلني الجنة وألحقني بأبي محمد. فإذا قال لها أمير المؤمنين عافاك اللّه وأبقاك. تقول: يا أبا الحسن ما أسرع اللحاق برسول اللّه.

ولما كان اليوم الذي توفيت فيه أتاها جبرئيل ومعه الملائكة فسلم عليها فأخبرت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك وبعد هنيئة سمعها تقول: عليكم السلام يا رسل ربي فسألها أمير المؤمنين عمن سلم عليها فأخبرته بأن ميكائيل سلم عليها وهو يقول: إن اللّه تعالى يقرؤك السلام يا حبيبة حبيب اللّه وثمرة فؤاده اليوم تلحقين بالرفيق الأعلى وجنة المأوى.

وفي ذلك اليوم وقبيل المغرب قالت لأم سلمى زوجة أبي رافع التي كانت تمرضها أيام علتها: يا أماه اسكبي لي غسلا فاغتسلت ثم قالت: يا أماه أعطني ثيابي الجدد فلبستها وأمرتها أن تقدم فراشها وسط البيت ففعلت، ثم نامت مستقبلة القبلة وقالت: يا أماه إني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد. قالت أسماء بن عميس - وكانت تمرضها أيضا - فخرجتُ عنها وانتظرتها ساعة فناديتها بعد ذلك: يا بنت محمد المصطفى يا بنت أكرم من حملته النساء... يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى. فلم تجب فدخلتُ البيت وكشفتُ الرداء عنها فإذا بها قد قضت نحبها وفارقت روحها الدنيا. رحم اللّه من نادى: وا فاطمتاه، وا سيدتاه، وا مظلومتاه.

(فائزي)

بنت النبي ماتت ابعلتها خفيه وآجـــــــــرك اللّه يا علي في هالرزيه
ظلوا يتامه من بعدها حسن وحسين كلمن يگول امنه البتول خوي چا وين
نادى علي المرتضى والطم الخدين آجركـــــــــم اللّه يا أولادي بالزچيه
مكسورة الأضلاع واحزني عليها دهري فجعني بالنبي واليوم بيها
گوموا دعينوني او جيبوا النعش ليها او ظلت نواديها ابظلمه هالعشيه

قام الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بتغسيلها وكانت تساعده على ذلك أسماء بنت عميس ولما غسلها أخذ في تكفينها وقبل أن يعقد الرداء عليها صاح: يا حسن يا حسين يا زينب يا أم كلثوم ويا فضة هلموا وتزودوا من أمكم الزهراء فهذا الفراق واللقاء في الجنة فأقبل الحسنان يقولان: وا حسرتاه لا تنطفي من فقد جدنا المصطفى وأمنا الزهراء إذا لقيتِ جدنا فاقرئيه منا السلام وقولي له: إنا بقينا يتيمين غريبين في دار الدنيا.

(نصاري)

گضت وامصابها ما مر شبيهه بچوا سبطينها او شبگوا عليها
حنت آه شبگتهم بديها او هتف بالعرش نحيهم يبو احسين
يحيدر شيل سبطين الزكيه شيل احسين يا حيدر واخيه
ارضها والسمه حنّت سويه الفگد بضعة الهادي او ينحب الدين[٢١٣]

ربيع الثاني

عن الأيام الفاطمية

عظم الله أجوركم

الشرفاوي

المناسبة

الأيــام الفاطمية الأولى

القصيدة: للشيخ حبيب ابن الحاج مهدي النجفي

سقاكِ الحيا الهطالُ يا معهدَ الإلفِ ... ويا جنةَ الفردوسِ دانيةَ العِطفِ
فكم مرَّ لي عيشٌ حلا فيكِ طعمُه ... ليالِيَ أصفى الود فيها لمن يصفي
بسطنا أحاديثَ الهوى وانطوت لنا ... قلوبٌ على ما في المودَّةِ والعطف
فشتتنا صرفُ الزمانِ وإنَّه ... لمنتقدٌ شملَ الأحبةِ بالصَرف
كأنْ لم تَدُرْ ما بيننا أكؤسُ الهوى ... ونحن نَشاوى لا نَمُلُّ من الرَشْفِ
ولم نقضِ أيامَ الصِبا وبها الصَّبا ... تمرُّ علينا وهي طيِّبةُ العُرف
أيام منزلَ الأحبابِ مالَك موحشا ... بزَهرتِكَ الأرياحُ أودت بما تَسفي
تَعفَّيتَ يا ربعَ الأحبةِ بعدهم ... فذكرتَني قبرَ البتولةِ إذ عُفِّي
رمتْها سهامُ الدهرِ وهي صوائبٌ ... بشجوٍ إلى أن جُرِّعت غُصَصَ الحتف
شجاها فراقُ المصطفى واحتقارُها ... لدى كلِّ رجسٍ من صحابته جِلْفِ
لقد بالغوا في هظمها وتحالفوا ... عليها وخانوا اللّه في ذلك الحِلف
وما ورّثوها من أبيها وأثبتوا ... حديثا نفاه اللّهُ في محكَم الصُحف
فآبت وزندُ الغيظِ يَقدحُ في الحشا ... تَعثَّرُ بالأذيال مَثنيةَ العِطف
وجاءت إلى الكرار تشكو اهتظامَها ... ومدَّت إليه الطرفَ خاشعةَ الطَرف
أبا حسنٍ يا راسخَ الحلمِ والحِجى ... إذا فَرَّت الأبطالُ رعبا من الخسف
أراك تراني وابنُ تَيمٍ وصحبُه ... يسوموننني مالا أُطيقَ من الخسف
ويَلطِمُ وجهي نصبَ عينيكَ ناصبٌ ... العداوةِ لِيْ بالضرب منيَّ يستشفي
لمن أشتكي إلا إليك ومَن به ... ألوذ وهل لي بعد بيتك من كهف
وقد أضرموا النيران فيه وأسقطوا ... جنيني فوا ويلاه منهم ويا لَهف
وما برحت مهظومةً ذاتَ علةٍ ... تُؤرِّقُها البلوى وظالمُها مُغفي[٢١٤]

(مجردات)

تصيح ابصـــوت والدمعـــه جريه يحيـــدر گوم مـــا تلـــحگ عليـــه
تراني اصبحـــت باعظـــم رزيـــة او لمـــن وصـــل شـــاف الزكيـــه
ضلـــع مكســـور والونـــه خفيـــه او محســـن سگط والحاله شـــجيه
حـــن او بچـــه او گال اشـــبديه ابـــوچ ابصبـــر وصانـــي وصيـــه[٢١٥]

المحاضرة الخامسة

فاطمة أمُ أبيّها

روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **أنه قال:**

« **إن فاطمة** عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ **كانت تكنَّى: أمُ أبيّها** » (٦١٢)

من الأوسمة الرفيعة الخالدة التي لم تمنح لبنت نبيّ قط غير الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ما منحه أشرف الرسل والأنبياء لسيدة النساء وسام (أمُّ أبيّها) صلوات اللّه عليها.

إنّها كنية ما أجلَّها وأعظمها! فهي تعبر عن عمق الارتباط الروحي الضخم بين المانح العظيم المقدس وبين الممنوحة الطاهرة المطهرة بحكم التنزيه من كل رجس ودنس.

نعم، هذه الكنية جديرة بالتأمل والتدبر، فهي هتاف ملأ الكون بصداه، ونداء لكل جيل يتدبر معناه، وتنبيه للأُمّة بما ينبغي عليها من توقير البتول وحفظ مقامها الشامخ من قلب الرسول.

لقد تبوّأت الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هذا المقام العظيم من قلب أبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لا لكونها ابنته، وإنّما أراد اللّه عزَّ وجلّ لها ذلك المقام المحمود زيادة على مواقفها الفريدة.[٢١٧]

حيث يروى أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ حينما يدخل ويرى ابنته فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يقول لها: « مرحباً أمّ أبيّها ».[٢١٨]

وأحببت أن نقف وقفة قصيرة على هذه الكنّية لكي

تزيد معرفتنا في فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ولنتقرب من الأسرار الفاطمية، التي فيها كل الخير والبركة.

السؤال الذي نريد أن نطرحه في هذه المحاضرة هو:

لماذا كنّى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أبنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بأمّ أبيّها؟

الجواب: هناك عدة تفاسير وأسباب، سنشير إليها في المباحث الأربعة الآتية:

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: التميّز بمرتبة الأمومة والبنوة

السبب الأول الذي من أجله كُنّيت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بأم أبيها هو لأنها عَلَيْهَا السَّلَامُ قد تميّزت بكون تعاملها مع أبيها تعامل الأم المثالية مع ولدها، وبنفس الوقت تميّز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بكون تعامله مع ابنته تعامل الولد المثالي مع أمّه.

إن تشبّيه -الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ابنته كأمّه، أمر متعارف في البلاغة، فنحن حينما ننظر إلى وجه طفل جميل، يصح أن نقول: (لقد رأيت قمراً في السرير)، لوجود صفة مشتركة ما بين المشبه (الطفل)، والمشبه به (القمر) وهي: الجمال، فصح أن نشبه الطفل بالقمر، وكقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (الطواف بالبيت صلاة..)[٢١٩]، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أطلق على الطوف لفظ الصلاة لاشتراكهما في بعض الأحكام كالطهارة، رغم اختلافهما في أحكام أخرى.

وهذا الأمر ينطبق على تشبيه البنت بالأمّ لوجود خصائص مشتركة ما بين الأم والابن، هي بنفسها موجودة ما بين الرسول وفاطمة

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وللتوضيح فلنسلط الضوء على كل واحد منهما:

أولاً : لقد كان تعامل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ليس فقط كتعامل الأب لابنته، بل كتعامل الولد مع أمه، فكان يحترمها ويبرّها ويحبها كثيراً، يروى عن عائشة قالت: « ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وكانت إذا دَخَلَتْ عليه رحّب بها وقام إليها، فأخذ بيدها، فقبّلها وأجلسها في مجلسه »[٢٢٠]

يذكر العلماء سنة وشيعة بأن هذا الحديث صحيح الإسناد حتى على شرط الشيخين بخاري ومسلم...الآن تعالوا معنا لنقف على فقرات الحديث:

١. العبارة الأولى: (وكانت)، فهذه الكلمة دالة على الاستمرارية، بمعنى أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يقم بهذا السلوك مع فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ مرة أو مرتين أو ثلاث، بل كلما دخلت عليه فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ رحّب بها لقولها: (إذا دَخَلَتْ عليه رحّب بها)، إذاً الأمر الأول أنه كان يرحب بها.

٢. العبارة الثانية: (وقام إليها)، انتبهوا فعائشة لم تقل: (قام لها) بل قالت: (قام إليها)، في اللغة العربية (قام لها) غير مقام (قام إليها)، فمعنى (قام لها) أي: لما رآها وقف في مجلسه، بينما عبارة (قام إليها) تعني: قام من مقامه وتقدّم إليها ليستقبلها، فنحن عندما نحترم إنساناً نقف له، ولكن لا نقوم إليه إلا إذا كان ذو شأن كبير... التفتوا إلى أن الفاعل لذلك هو سيد الأنبياء والمرسلين.

٣. العبارة الثالثة: (فأخذ بيدها، فقبّلها)، فالسلوك الرابع والخامس الذي يدل على عِظَم محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لابنته فاطمة هو أنه يمسك يدها ويقبلها، وكأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعاملها معاملة الأم. فمن المتعارف أن الأب عادة يقبّل ابنته البالغة في وجهها كجبهتها

ولكن تقبيل الرجل ليد امرأة -على الأغلب- نجده محصوراً بتقبيل الولد ليد أمّه.

٤. العبارة الرابعة: (وأجلسها في مجلسه)، فعائشة لم تقل: (وأجلسها على يمينه أو يساره)، بل قالت: (وأجلسها في مجلسه)، بمعنى أنه قام من مكانه واستقبلها ثم جعلها تجلس في نفس المكان الذي كان يجلس فيه... فكل هذه الأفعال يمارسها الأب مع أمه، ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مارسها مع ابنته.

ويروى أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا أراد سفراً أو غزاة كان آخر الناس عهداً بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وإذا قدم كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أول الناس عهداً بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ [٢٢١] ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا ينام حتى يقبّل عرض وجهها، ... ويدعو لها. [٢٢٢]

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يكثر من زيارتها وتعهدها ويقول لها : «فداك أبي وأمّي» [٢٢٣] ويقبّل رأسها فيقول : «فداك أبوك»[٢٢٤]

فهذا التبجيل والتعظيم والتكريم الصادر من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بحق فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ من الترحيب بها، والقيام بحضرتها، وتقبيل يديها، وإجلاسها في مجلسه ومدحها في الكلام يشابه تبجيل الولد لأمه، لكونه يرى أن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ مثّلت دور الأم المثالية المؤمنة الحنون المخلصة، لذا استحقت أن يخْفِضْ لها جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وأن تكنّى بأم أبيها.

ثانياً: لقد كان تعامل السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ مع أبيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غير مقتصرٍ على تعامل البنت مع أبيها، بل تعامل الأم المثالية لولدها.

من المعلوم أن الوالدين يحملان محبة كبيرة لأولادهم، وبالذات الأم، قال تعالى:﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾[٢٢٥]، فالمرأة تكويناً أشد عاطفة من الرجل، لذا قال تعالى:﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾[٢٢٦]، أي: أن الشرع نهى الأب من انتزاع الوليد من أحضان أمه لشدة

تعلق الأم بطفلها، ولذا روي عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: جاء رجل إلى النبي صلى اللّه عليه وآله فقال: يا رسول اللّه من أبر؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك. (٢٢٧)

وأيضاً لما نستقرئ النصوص الشرعية نجدها بالعشرات تؤكد على ضرورة أن يبرّ الأولاد الوالدين، ولكن التأكيد أقل بكثير فيما يتعلق ببر الوالدين لأبنائهم، والسبب يرجع لأن محبة الوالدين لأبنائهم أكبر من محبة الأبناء لوالديهم؛ لأن الوالدين يشعرون أن امتدادهم بأبنائهم لا العكس، وهم قطعة منهم، ولذا فالشريعة لم تركز على وجوب محبة الوالدين لأبنائهم؛ لأن المحبة فطرية مُودَعَةً في قلوبهم، نعم أنها حثت على إظهار هذه المحبة لهم بالتقبيل والحضن والكلام الجميل...إلخ

ولكننا حين نأتي إلى السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ نجدها قد كسرت القاعدة؛ لأنها أحبّت أبيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حبّاً جمّاً، حباً يفوق محبة البنت لأبيها ويوازي حب الأم لولدها بأعلى درجاته.

فحينما نستقرئ كتب السيرة والتاريخ نجد أن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ (كانت تهتم به اهتمام الأُمّ بولدها (٢٢٨)، فمنذ أيام طفولتها كانت تدفع عنه أذى المشركين (٢٢٩)، وتخفّف آلامه وتضمد جروحه (٢٣٠)، وتمسح الدم عن وجهه في الحرب، وإذا عاد من سفر بادرت إلى استقباله واعتنقته وقبّلت بين عينيه، وكانت تتأثر لحاله وتحنو عليه).

أخرج الطبراني والحاكم وغيرهما عن أبي ثعلبة الخشني، قال: كان رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا قَدِمَ من سفر، صلّى في المسجد ركعتين، ثمّ أتى فاطمة فتلقته على باب البيت، فجعلت تلثم فاه وعينيه وتبكي، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما

يبكيك؟» فقالت: «أراك شعثاً نصباً، قد أخلولقت ثيابك» فقال لها: «لا تبكي، فإنّ اللّه قد بعث أباك بأمر لا يبقى على وجه الأرض بيت ولا مدر ولا حجر ولا وبر ولا شعر إلّاً أدخله اللّه به عزّاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل». (٢٣١)

وكانت عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ تؤثره بما عندها من طعام كالأُمّ المشفقة على ولدها، فعن أنس قال: جاءت فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بكسرة خبز لرسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «ما هذه الكسرة؟» قالت: «قرص خبزته ولم تطب نفسي حتىٰ أتيتك بهذه الكسرة..». (٢٣٢)

وعن عبد اللّه بن الحسن قال: دخل رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ فقدّمت إليه كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها، ثم قال: «يا بنيّة، هذا أول خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيام»، فجعلت فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ تبكي ورسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يمسح وجهها بيده). (٢٣٣) (٢٣٤)

وبلغت محبتها لدرجة أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لما أسرّها بكت، ولما أسرّها مرة أخرى ضحكت..قالت عائشة: إنها لما سئلت عن بكائها وضحكها قالت: أخبرني النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه مقبوض ثم أخبر أن بني سيصيبهم بعدي شدة فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقا به فضحكت. (٢٣٥)

في حين أن المتعارَف أن الأولاد لا يتمنون الموت للالتحاق بالأب بعد موته، ولكن من المتعارف أن نرى الأم تتمنى الموت بعد وفاة ولدها، وهذا الأمر قد انطبق مع الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بعد رحيل أبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بحيث أنها فرحت لما أخبرها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بأنها أول أهله لحوقا به، وكأنها أمّ لا تقوى على فراق ولدها... وفعلاً لقد حزنت على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حزناً شديداً حتى عدّت من البكائين الخمسة، ولحقت به سريعاً.

إذاً من أجل هذه الخصائص المشتركة استحقت الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ تلك الكنية الرفيعة : أمّ أبيها.

رُبّ تساؤل يرد: لا توجد خصوصية للزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ في محبتها لأبيها؛ لأن هناك بعض البنات قد فعلن مثل ما فعلت الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟!

الجواب: هناك فرق بين كون الأعمال متشابهة في الظاهر، وبين قيمة ومنزلة عاملها، فلو طرق الباب فقير، وكل واحد منّا تصدّق على الفقير بمبلغ ألف دينار عراقي، فهل هذا يدل على تساوي جميع المتصدقين في القدّر والمنزلة والأجر؟

الجواب تردّ عليه الآية الكريمة: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٣٦]، بمعنى تارة يترتب على الإنفاق أن لا ننال أجراً بسبب الرياء، وقد ينال أحدنا سبع حسنات، والآخر سبعمائة أو أضعاف ذلك، أو سينال آخر أجراً لا حدّ له ولا حصر، وهذا الاختلاف متوقف على مدى معرفتنا باللّه تعالى، هذه المعرفة القائمة على المحبة المخلصة المقرونة بالتصديق القلبي وعلامته الطاعة المطلقة.

ففاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لما أحبّت أباها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لا لكون العلاقة التي تربطها معه الأبوة فقط، بل لكونه نبيها، فهي تعرف أنه (صلى اللّه عليه وآله) قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من ذريته.[٢٣٧]

لذا فهي أحبّت الرسول أكثر من نفسها وكانت مستعدة أن تضحي بنفسها من أجله.

والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما نعلم أطلعه اللّه على أعمال

الناس، فهو يعلم أن ابنته وعلي وسبطيه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أكثر الناس حبّاً له، لذا منحها هذه الكنية لأنه علم أنها المرأة الوحيدة التي تستحقها.

المبحث الثاني: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ العلّة الغائية

السبب الثاني الذي من أجله كُنّيت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بأم أبيها هو لكون الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ علّة لوجود أبيها، كما أن أبيها علّة لوجودها.

فكما هو معلوم أن الوالدين هما العلّة لوجود الأبناء، وحين نأتي إلى السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فرغم أن وجودها مرهون بوجود أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأنها أبنته، إلا أن وجود الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرهون أيضاً بوجود الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فكما صارت فاطمة من النبي، فأيضاً النبي من فاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهذا من قبيل الحديث المذكور في مصادر الفريقين، وهو قول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ..)[٢٣٨]

(أي: إن الحسين ابني وامتدادي الطبيعي فهو قرة عيني وثمرة فؤادي وفي نفس الوقت أنا من حسين، وعليه فإن هذا الحديث يحدد المفهوم الذي أراده من هذا الحديث أي: بدقة متكاملة وبتمعن نرى أن هذا الأمر يعني استمرار الرسالة السماوية وإحياء معالم الدين والعقيدة إنما هو بوجود الحسين وذرية فاطمة من الأئمة المعصومين، لذلك قيل إن الدين الإسلامي محمدي الوجود حسيني البقاء وهذا ما نراه في التضحية التي قدمها الحسين يوم عاشوراء حيث أرخص الغالي والنفيس لإحياء شجرة الرسالة المحمدية في كل جوانبها فغذاها بدمه ودم عيالاته من الأطفال والشباب والشيوخ والنساء حتى الطفل الرضيع، وعلى هذا الأساس يكون معنى أم أبيها أن استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء

وحفظ القرآن الكريم وعقائده ومناهجه إنما يكون بواسطة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ومن خلال ذريتها، وهذا ما كان يراه الرسول في فاطمة من خلال تطلعه إلى آفاق المستقبل الذي سيكون لولد فاطمة، فكان يكرمها ويحترمها ويقول لها مرحبا بأم أبيها.[٢٣٩]

ولقد تم توضيح مطلب العلّة والمعلول في المحاضرة الثالثة المعنّونة بـ(فاطمة وليلة القدر) في هذا الكتاب، فنرجو مراجعته.

وكلنا يعلم أن الكنية تنسب لمن يكون سبباً للمسبب، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يكنّى بأبي الزهراء لكونه السبب لوجود الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، وبعد أن ثَبُتَ -بعد مراجعة المبحث في المحاضرة المذكورة- أن الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هي العلّة والسبب لوجود رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لذا صح أن تكنّى بأم أبيها.

المبحث الثالث: أفضلية الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ على نساء النبي

السبب الثالث الذي من أجله كُنّيت الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بأم أبيها هو لإظهار أفضلية الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ على نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن اللّه عَزَّوَجَلَّ حينما منح كنية (أمهات المؤمنين) لزوجات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، صار بعضهن منهن في معرض التفاخر والتباهي على ابنته السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، ويعتقدن بأن هذه الكنية تدل على أفضليتهن عليها، ودفعاً لهذا الوهم فلقد كنّى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ابنته فاطمة بأم أبيها صوناً لهذه الخواطر والوساوس، بمعنى: (يا نساء النبي إن كُنْتُنّ أمهات المؤمنين، ففاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ أُمٌّ لأفضل المؤمنين في الوجود، أُمُّ النبي، أُمُّ الرسول، أُمُّ المصطفى، أُمُّ أبيها).

ألا أنّ الذي ينبغي ملاحظته أن هذه الكنية التي منحها المولى سبحانه لزوجات النبي (صلى اللّه عليه وآله)، حينما قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[٢٤٠] فهي لا تعني سوى حرمة النكاح، كما يتضح للمتأمل في سبب نزول الآية الكريمة، حيث قال بعضهم: إذا مات محمد سوف ننكح أزواجه, فلذا نزل قوله تعالى بتحريم النكاح:﴿ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾[٢٤١]. فالتنزيل إنّما هو في بعض آثار الأمومة لا في جميع الآثار كالتوارث بينهنّ وبين المؤمنين, والنظر في وجوههنّ كالأمهات, وحرمة بناتهنّ على المؤمنين لصيرورتهنّ أخوات لهم, وكصيرورة آبائهنّ وأمهاتهنّ أجداداً وجدات, وأخوتهنّ وأخواتهنّ أخوالا وخالات للمؤمنين..[٢٤٢]

أمّا كون هذا اللقب يعطي مقاماً عظيماً لهنّ، فهو غير صحيح؛ لأنه مختص بالمحسنات منهنّ دون المسيئات، وقد أجابت الآية القرآنية عن ذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[٢٤٣]

وفي تفسير الميزان قال: (وختم الآية بقوله:﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾، للإشارة إلى أنّه لا مانع من ذلك من كرامة الزوجية ونحوها؛ إذ لا كرامة إلّا للتقوى، وزوجية النبيّ (صلى اللّه عليه وآله) إنّما تؤثر الأثر الجميل إذا قارن التقوى، وأمّا مع المعصية فلا تزيد إلّا بعداً ووبالاً)[٢٤٤]. [٢٤٥]

ولذا فلا داعي لتفاخر بعض نساء النبي بأنهن أمهات للمؤمنين، فقوله تعالى:﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[٢٤٦] لا دلالة فيها على التعظيم أو العصمة أو الضمان من عدم دخول النار أو الوعد بالجنة، وقد جاءت الآيات الكريمة في تحذير نساء

النبي (صلى اللّه عليه وآله) كقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [٢٤٧]، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [٢٤٨]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [٢٥٠]. [٢٥١]

بمعنى إن بعض زوجات النبي لا يملكن الإيمان الكافي، فلا يمكن أن يكن حجّة علينا في أقوالهن وأفعالهن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢٥٢] والتعبير واضح جداً، فحينما يقول تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾، فإن معنى ذلك أن رضى زوجات النبي لا قيمة له أمام رضا اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعالى؛ لأن رضا أزواج النبي خاضع للهوى، وليس لموازين الإيمان، وهذا ليس انتقاصاً لنساء النبي وإنما هو الواقع.

والحقيقة فنساء النبي لسن معصومات وما فيهن واحدة يمكن أنت تصل إلى مستوى فاطمة [٢٥٣] التي قال نبي الرحمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بحقها: « إن اللّه تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك ». [٢٥٤]

روى الحاكم في (المستدرك ج٣ ص١٥٤)، وعن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ : « إن اللّه ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك» ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد، ورواه أيضاً الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٩ ص ٢٠٣) وقال رواه الطبراني وأسناده حسن.

فالويل لمن غضبت عليه فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فغضبها يعني غضب اللّه، وإذا غضب اللّه على أحد أحلّ به نقمته،

وجنّبه رحمته، قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[٢٥٥].

المبحث الرابع: فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ الأم الروحية للعالم

السبب الرابع الذي من أجله كُنّيت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بأم أبيها هو لأن هذه الكنية فيها إشارة إلى لزوم طاعتها، باعتبار فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي الأم الروحية لنا جميعاً.

وللتوضيح نقول: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هو الأب الرحيم المعنوي لهذه الأمة، حيث روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[٢٥٦]، فمن الواجب على الأمة أن يبروا آباءهم، روي عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « إن رسول اللّه أحد الوالدين وعلي الآخر، فقلت: أين موضع ذلك في كتاب اللّه؟ قال: قرأ ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾. [٢٥٧]

فإذا كانت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي الأم لأب هذه الأمة -لكونها أم أبيها-، بالنتيجة ستكون عَلَيْهَا السَّلَامُ هي أمّنا الروحية، التي طهرها اللّه تعالى وعصمها من الرجس، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٢٥٨]، فلذا لزم علينا طاعتها طاعة مطلقة لعصمتها، فقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ولقد كانت (صلوات اللّه عليها) طاعتها مفروضة على جميع من خلق اللّه من الجن، والإنس، والطير، والبهائم، والأنبياء، والملائكة »[٢٥٩]

فواجبنا التكليفي هو أن نكون أبناءً بارّين بأمّنا فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بأن ننهج نهجها ونتبع أثرها في كل حرف وكلمة، ونجعلها قدوة لنا في كل جوانب حياتنا، ولا نكتفي بادعاء المحبة؛ لأن المحبة الحقيقية يستلزم منها الاتباع، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٢٦٠]

واتباعنا لمنهج الصديقة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يتمثل بتطبيق أحكام اللّه تعالى المستنتجة من القرآن والسنّة المتمثلة بمحمد وآله مُحَمَّد عَلَيْهِم ٱلسَّلَامُ ..

اتباعنا لمنهج الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يتمثل بمتابعتها في أدوارها التي مارستها في حياتها من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، عبر مجالات متنوعة، نذكر منها ما يلي:

١. تعظيم حرمات اللّه، بالفرح لفرح أهل البيت عَلَيْهِم ٱلسَّلَامُ والحزن لحزنهم، وقد تمثّل ذلك في بكاء الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ على أبيها رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وفي الوقت الذي تزامنت فيه الأحداث الجسام من غصب الخلافة وغصب الإرث وكشف البيت الطاهر والاستخفاف بحرمة الدين وأهله.. كان بكاءً على الرسالة، والدين القويم، والحقوق المضيّعة، بل هو بكاء على الملايين من المسلمين الذين سيكونون ضحايا هذه المظالم وتبعات هذه الأحداث، والزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ تعلم بتلك الأمور وما ستؤول إليه لذا كان البكاء عند الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يتجاوز معناه العاطفي المحدود إلى معان أخرى من الاستنهاض والثورة على الظالمين وبعث رسالةً إلى أعماق التاريخ أن لا يغفلوا عن أحداث هذه المُدَّة التي غيّرت وجه الدنيا بانجرافها وميلها عن الحق[٢٦١].

٢. نشر علوم أهل البيت عَلَيْهِم ٱلسَّلَامُ، روي عن أبي محمد العسكري عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ عن ذلك، فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عشرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول اللّه، قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا،

فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل عليَّ، سمعت أبي صلى اللّه عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد اللّه حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد -صلى اللّه عليه وآله-، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم[٢٦٢] فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم يعني -في الأيتام- لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن اللّه تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم، وتضعفوها لهم فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم. وقالت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: يا أمة اللّه إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»[٢٦٣]

٣. الدفاع عن الحق وإحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما ورد في العديد من مواقف حياتها، ومنها موقف دفاعها عن أمير المؤمنين حينما غصبوا منه الخلافة، وحينما أخذوه مقيداً بالأحبال؛ من أجل أخذ البيعة منه بالإكراه، وحينما غصبوا منها أرض فدك فألقت خطبتها التي يعجز اللسان عن وصفها.

ووجب علينا الاقتداء بها في الدفاع عن الحق، لا أن

نهرب من الحق ونكتفي بقول (شَعْليّه)، (شِلي كار) -كما هو متعارف في اللهجة العراقية-؛ لأنه لمَا سكت أهل الحق عن الباطل اعتقد أهل الباطل أنهم على حق.

٤. المقاطعة الاجتماعية: فهي لم تداهن أهل الباطل أبداً؛ لأن اللّه حرّم علينا ذلك، قال تعالى:﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[٢٦٤]، وروي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أوحى اللّه تعالى إلى شعيب النبي: إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى اللّه عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي »[٢٦٥].

وحينما نطلّع على سيرتها الشريفة نجد أن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ « ماتت وهي واجدة -غضبانة- على أبي بكر» كما تصرّح بذلك كتب أهل السنة (صحيح البخاري - ٥ / ١٧. السنن الكبرى للبيهقي - ٦ / ٣٠٠).

رغم أنهم يعلمون أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: « فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها ويغضبني من أغضبها »، (صحيح مسلم : ٢ / ٣٧٦). وقال أيضاً : (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبها فقد أحبني) (صحيح الترمذي : ٣ / ٣١٩, مستدرك الحاكم : ٣ / ١٥٨, حلية الأولياء : ٢ / ٤٠).

ولشدة غضبها فقد أوصت الإمام علياً عَلَيْهَا السَّلَامُ بأن تُدفن سراً ويخفى قبرها كي لا يزورها الظالمون...ولما علم الناس بوفاة الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ اجتمعوا إلى بيت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم يضجون وينتظرون أن تخرج الجنازة ليصلّوا عليها، إلا أن الصحابي الجليل أبا ذر خرج وقال للمجتمعين: انصرفوا فإن ابنة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

قد أخر إخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا.

فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم صلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وقد سوى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حواليها قبوراً مزورة بمقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها.[٢٦٦]

وفي أعفاء قبرها، ودفنها سراً، وعدم اخبار الصحابة أو الناس بموضع قبرها، مع معرفة ومعلومية كل قبور الصحابة وأمهات المؤمنين وأبناء النبي(ص) غاية عظمى كانت تهدف إليها الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي بيان مظلوميتها للأجيال على مر التاريخ ليلتفتوا إلى ما جرى على آل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد رحيله.[٢٦٧]

(مجردات)

آه على فاطم الزهره ... ماتت بالهضم ويلي او حسره
او يتاماها تون والعين عبره ... اشلون الضلع مكسور كسره
والعين ذيچه الغدت حمره ... حين السطرها ابيده سطره

(أبوذية)

علي شيّع الزهره او شال بالليل ... او عليها گام ينعه ابحزن بالليل
او شيبه من دموع العين بالليل ... على الضيّع گبرها او ظل خفيه
دُفنتْ في الدجى وعَفّى عليٌّ ... قبرَها ليته استطال دُجاها
أفمثلُ ابنةِ النبيّ يوارى ... شخصُها في الدجى ويُعفى ثراها[٢٦٨]

ساعد اللّه قلب ابنتها زينب عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ، وكأن لسان حالها يقول:

(فائزي)

اللّه زينب نايحه واتصيح يا يـــــاب ... لا تدفنون امنه البتوله تحت الـــتراب

يظلم عليّه منزلي يا داحي البـــاب ... الدنيه علينه مظلمه بعد الزچيـــه

شالوانعشهاوالنسه كلهاايتباچون ... او زينب تنادي يا علي دمشوا على هون

اضلوع منها امكسره يا بوي تدرون ... وايامهـــا كلهـــا گضتها بالعزيـــه

واهاً لبنـــتِ المصطفى لِمْ جُهزت ... ليلاً ولـــمْ عفَّـــى الوصيُّ مزارَهـــــا

ما شيّعوا بنتَ الرســـولِ وأسَّسوا ... ظلـــمَ البتـــولِ وهتَّكوا أســـتارها[٢٦٩]

ربيع الثاني

عن الأيام الفاطمية

عظم الله أجوركم

الشرفاوي

المناسبة

الأيام الفاطمية الأولى

القصيدة: للشيخ صالح الكواز الحلي

الواثبيـــنَ لظلـــمِ آل محمـــدٍ ومحمـــدٌ ملقـــى بـــلا تكفيـــنِ

والقائليـــنَ لفاطـــمٍ آذيتنـــا فـــي طـــولِ نَـــوحٍ دائـــمٍ وحنيـــن

والقاطعيـــن اراكـــةً كيمـــا تقيلُ بظـــل أوراقٍ لهـــا وغصـــون

ومجمِّعي حطبٍ على البيت الذي لم يجتمـــع لـــولاه شـــملُ الدين

والداخليـــنَ علـــى البتولـــةِ بيتَها والمســـقطينَ لهـــا أعـــزَّ جنيـــن

والقائديـــن إمامَهـــم بنجـــاده والطهـــرُ تعـــدو خلفهـــم برنيـــن

خلوا ابـــنَ عمي أو لأكشـــفُ للدعا رأســـي وأشـــكوْ للإله شـــجوني

مـــا كان ناقـــةُ صالـــحٍ وفصيلُها بالفضـــل عنـــد اللّه إلا دونـــي

ورنَتْ إلـــى القبرِ الشـــريفِ بمقلةٍ عبـــرى وقلـــب مكمَـــدٍ محـــزون

نـــادت وأظفـــارُ المصـــاب بقلبِها أبتـــاه قـــلَّ علـــى العِـــداةِ معيني

أيِّ الرزايـــا أتقـــي بتجلُّـــدي هي فـــي النوائب ما حييـــتُ قريني

فقدي أبـــي أم غصـــبَ بعلي حقَّه أم كســـرَ ضلعي أم سقوطَ جنيني

أم أخذَهـــم إرثـــي وفاضـــلَ نِحلتي أم جهلَهـــم حقـــي وقـــد عرفوني

قهـــروا يتيمك الحســـينَ وصنوَه وســـألتُهم حقي وقـــد نهروني[٢٧٠]

(أبوذية)

تـــون والگلب يابـــو احســـين داوي او مـــن عدهـــا ضلع مكســـور داوي
احرگوا بابـــك او ظل البـــاب داوي او دمعها او طاح ابنها اعله الوطيه

(أبوذية)

لعـــد دار النبـــوه الربـــع ياريـــت عگب طـــه او على ام الحســـن يارت
عـــدل وابعينه ابوها ايشـــوف يارت ضلعهـــا او حالهـــا الزهـــره الزجيه

(أبوذية)

سطرني او دم تسيل العين واجرت او مثل امصيبتي ما سدت واجرت
ابنـــي والضلـــع والبـــاب واجـــرت او علي گادوه وآنه انغشه اعليه[٢٧١]

المحاضرة السادسة

فاكهة المجالس المحرَّمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(٢٧٢)

لا شيء أهم من أن يعيش الإنسان في مجتمعه آمناً على نفسه وماله وعِرضه، ذلك لأن الإنسان شخصٌ وشخصية، وإذا كانت سلامته الجسمانية والمالية هي قوام شخصه ووجوده المادي، فإن سلامته المعنوية وحفظ سمعته هي قوام شخصيته المعنوية والاجتماعية، لذلك فإن الإسلام بقدر ما يشدد على حرمة الإنسان فيما يرتبط بجسمه وماله فإنه أكثر تشدداً بالنسبة لما يرتبط بحرمة مكانته وجاهه وسمعته.

إن الإنسان إذا كان يعيش في مجتمع يواجه فيه اعتداءً جسمانياً فإنه بالتأكيد لا يحس بالأمن والاستقرار، وكذلك لو تعرض إلى اعتداء على مكاسبه المادية كنهب منزله، أو سلب أرضه، أو سرقة أمواله فلن يحس بالأمن والاستقرار، وكذلك الحال لو انتهكت كرامته وسمعته، بمعنى أنه يتعرض للتجريح والتشهير فسوف لا يحس بالأمن في ذلك المجتمع، ومجتمعات كهذه لا تجذب من يعيش فيها ولا ترغبهم في حبها والانتماء إليها.

المجتمعات الغربية بالرغم من أن الفلسفة السائدة فيها هي فلسفة مادية لكنها وضعت قوانين تحفظ حقوق الناس في بعديها المادي والمعنوي، فكما أنه لا يستطيع أن يعتدي على مال الآخر لأنه سيكون تحت

طائلة القانون، كذلك فإنه لا يستطيع أن يعتدي على سمعة الآخر لأنه سوف يكون تحت طائلة القانون أيضاً، ولذلك عندما ترفع دعوى على شخص ما، ويثبت بعدها أن الحق معه، فإنه يقوم برفع دعوى يطالب فيها بالتعويض وإعادة الاعتبار عن الأذى المعنوي الذي تعرض له.[٢٧٣]

وعندما نأتي للشريعة الإسلامية فرغم أنها أكدت قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة على ضرورة حفظ حقوق الإنسان وحُرمة كشف عورات الناس وحرمة ذكر عيوبهم، إلا أن بعض المسلمين مقصّرون في الالتزام بهذا القانون الإلهي وبالأخص الغيبة، فقد ترى المسلم يتورع عن الفواحش والمظالم والمنكرات ولكن إذا حانت له الفرصة في هتك أعراض الناس، تراه يتفنن في الغيبة ويستلذ بذكرها في المجالس حتى صارت حديث سهرهم، وإدام سمرهم، ولذا لقّبت بفاكهة المجلس، بمعنى أن الناس مثلما اعتادت تقديم الفاكهة في المجالس والالتذاذ بطعمها، صار بعضهم معتاداً على اغتياب الآخرين في المجالس التي يجتمعون فيها.

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: الغيبة، حكمها وأنواعها

حرمة الغيبة ضرورة من ضروريات الدين -كما يتفق على ذلك جميع المسلمين -، فهي تُعد من كبائر الذنوب والتي ورد التشديد على تركها، وتوعد من يقوم بها ويفعلها بالنار والعذاب الشديد.[٢٧٥]

وقد عُرِّفت الغيبة بعدة تعريفات، منها ما ذكره

الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بأن الغيبة هي: أن يذكر المؤمن بعيب في غيبته، سواءً أكان بقصد الانتقاص، أم لم يكن، وسواءً أكان العيب في بدنه، أم في نسبه، أم في خلقه، أم في فعله، أم في قوله، أم في دينه، أم في دنياه، أم في غير ذلك مما يكون عيباً مستوراً عن الناس.[٢٧٦]

أنواع الغيبة: صريح الروايات وكلمات الفقهاء أن لا فرق في ذكر العيب بين عيب وآخر، سواءً أكان نقصاً في البدن، أو في النسب، أو في الخُلُق، وسواءً أكان في الأقوال أو الأفعال، في دين أو دنيا، أو في أمور ترجع إليه كاللباس والمنزل والمركب وأمثال ذلك.

وقد ذكر لكل واحد من هذه الأمور مثالاً:

أما الغيبة الراجعة للبدن فمثاله أن يقول: فلان أحول، أو أعور أو أسود.

وأما الغيبة في النسب فمثاله أن يقول: فلان أبوه فاسق، أو خبيث، وأمثال ذلك. وأما الغيبة في الخلقة فمثاله أن يقول: فلان سيء الخلق، أو سارق، أو ظالم. وأما الغيبة في سلوكه الديني فمثاله أن يقول: فلان كذاب، أو شارب خمر، أو يتسامح في صلاته.

وأما الغيبة في سلوكه الدنيوي فمثاله أن يقول: فلان غير مؤدب، ثرثار، أكول، نوّام. روي أن أحد الشيخين قال للآخر إن فلاناً لنؤوم، ثم طلبا أدماً من رسول الله ليأكلا به الخبز. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قد ائتدمتما. فقالا: ما نعلمه، فقال: بلى! إنكما أكلتما من لحم صاحبكما»[٢٧٧]

وهكذا في سائر الأمور الراجعة له إذا ذكرت بسوء بنحو لا يرضى صاحبها.

وكثيراً ما يقول بعض الأشخاص المحتالين حين يريدون استغابة أحد بمدحه أولاً، فيقول: (هو نعم الرجل، لكن مع الأسف إنه سارق وكذا وكذا). [٢٧٨]

ويذكر الفقهاء بأنه لا فرق في الذكر بين أن يكون بالقول، أم بالفعل الحاكي عن وجود العيب، روي عن عائشة: « دخلت علينا امرأة، فلما ولت، أومأت بيدي أنها قصيرة، فقال (ص): اغتبتها » [٢٧٩]

كما أن الظاهر أنه لا بد من تعيين المُغْتَاب، فلو قال: واحد من أهل البلد جبان لا يكون غيبة، وكذا لو قال: أحد أولاد زيد جبان، نعم قد يحرم ذلك من جهة لزوم الإهانة والانتقاص لا من جهة الغيبة.[٢٨٠]

ولفهم بقية المبحث ينبغي التفريق بين لفظي (المُغْتَاب) وهو من يذكر عيوب غيره في غيابه، وبين لفظ (المُسْتَغاب) وهو من ذكر غيره عيوبَه.

رُب اعتراضات ترد من بعض الناس حينما ننصحهم بعدم الغيبة كقولهم: (أنا لم أغتب لأني لمّا ذكرت عَيب فلان لم أكذّب!!)، وآخر يقول: (أنا لم أغتبه لأني تكلمت أمامه لا في غيابه!!!).

وهذه الاعتراضات تَرد لعدم تفريقهم بين الغيبة وغيرها من المحرمات المختصة بانتهاك حرمة المؤمن...

وللتوضيح نقول: إن الغيبة تتحقق فيما لو أن المُغْتَاب ذكر عيوب المُسْتَغاب في غيابه، وكان صادقاً في ذكره، ولكن لو كان كاذباً فهنا الذنب صار أعظم؛ لأنه أضاف إليه الكذب ويسمى هذا الفعل المُحرَّم بالبُهْتان، رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا

يَكْرَهُ، قيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ صلى اللّه عليه وآله: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[٢٨١]

ويترتب على البهتان عذاب شديد، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه اللّه تعالى يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قاله فيه »[٢٨٢].

وأما من ذكر عيب غيره في حضوره، فهنا توجد حالاتان:

١. فيما لو ذُكر عيبه السلوكي أو الأخلاقي من باب النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب الرفق واللين، فهذا النوع من النقد مقبول وحثتنا عليه الشريعة، ويفترض أن يتقبله المنصوح ويحزن لمعصيته لا لنصيحته، روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ : «اتّبع من يُبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يُضحكك وهو لك غاشٌ»[٢٨٣]

٢. فيما لو ذُكر عيبه من باب الاستخفاف والإهانة، وهذا الفعل محرّم؛ لأنه هتك لحرمة المؤمن، روي أن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نظر إلى الكعبة فقال: « مرحباً بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على اللّه؟! واللّه للمؤمن أعظم حرمة منك، لأن اللّه حرّم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يظن به ظن السوء »[٢٨٤]

ونقرأ في بعض الأحاديث أن «صفية بنت حُيي بن أخطب» -المرأة اليهودية التي أسلمت بعد فتح خيبر وأصبحت زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جاءت صفية يوماً إلى النبي وهي باكية العين فسألها النبي عن سبب بكائها فقالت: إن عائشة توبخني وتقول لي يا ابنة اليهودي،

فقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فلم لا قلت لها: أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد فكان أن نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[٢٨٥]. [٢٨٦]

وأغلب المغتابين يقعون في محرمات أخرى عدا الغيبة وهي النميمة، كالمغتاب الذي ذكر العيب الذي سمعه من شخص إلى المستغاب، فلما غضب -المستغاب- وكشف عيوب ذلك الشخص، قام المغتاب بنقل العيوب التي سمعها إلى ذلك الشخص... فهذا النمّام بسببه أوقع الآخرين في الغيبة وأثار الأحقاد والفتنة فيما بينهما، ولذا عقابه عظيم، روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَن مشى في نميمة بين اثنين سلّط اللّه عليه في قبره ناراً تحرقه، وإذا خرج من قبره سلط اللّه عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار» [٢٨٧].

رُبّ تساؤل آخر يرد: غالباً ما ينتقد بعض الأشخاص أشخاصاً آخرين في غيابهم ليس بنيّة النيل منهم ولكن بهدف الإصلاح فهل يُعد هكذا نقد غيبة ويأثم الفرد عليها؟

لقد أجاب على هذا السؤال مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بما نصه:

لا يجوز إذا ذكر منه عيباً مستوراً كما لا يجوز الانتقاص إلا إذا ترتب على ذلك مصلحة أهم.[٢٨٨]

نعم يجوز للمظلوم أن يغتاب الظالم بقصد الانتصار سواءً أكان ظلمه مختصاً به أم ممّا يعمه وغيره، و الأحوط ترك اغتيابه بقصد بث الشكوى من دون أن يكون للانتصار.[٢٨٩]

مثال ذلك: زوجة تعاني من ظلم زوجها وسلب حقوقها،

فإذا عرفت بأن هناك شخصاً يمكنه التأثير على زوجها ليصلحه، كأن يكون أباه.. فهنا جاز لها أن تخبره بعيبه وتقصيره لكي ينصرها من ظلمه.

وأما إذا كانت ترغب في بث شكواها -عن ظلم زوجها لها- لشخص كأمها أو صديقتها رغم أنها تعلم أنها لن تتمكن من نصرتها بل فقط من أجل التنفيس عن نفسها، ففي هذه الحالة يحتاط سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بوجوب ترك اغتيابه، ويمكن للمكلف من الرجوع لمرجع آخر مع مراعاة الأعلم فالأعلم.

المبحث الثاني: تفسير الآية الكريمة

يعقّب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قائلاً: (إن كرامة الأخ المسلم وسمعته كلحم جسده، وابتذال ماء وجهه بسبب اغتيابه وإفشاء أسراره الخفية كمثل أكل لحمه).

كلمة ﴿مَيْتًا﴾ للتعبير عن أن الاغتياب إنما يقع في غياب الأفراد، فمثلهم كمثل الموتى الذين لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، وهذا الفعل أقبح ظلم يصدر عن الإنسان في حق أخيه.

أجل، إن هذا التشبيه يبين قبح الاغتياب وإثمه العظيم.[٢٩٠]

السؤال المطروح والمختص بالآية محل البحث هو: لماذا شبّه الله تعالى المغتاب بمن أكل لحم المستغاب وهو ميت؟

الجواب: هناك عدّة احتمالات يذكرها العلماء، وهي كالآتي:

الاحتمال الأول: (أنها في مقام بيان كيفية العذاب الأخروي

للمغتاب، حيث تتجسم الغيبة في الآخرة بصورة أكل ميتة الشخص المستغاب، والشاهد على هذا الاحتمال رواية عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « أنه نظر في النار ليلة الإسراء فإذا قوم يأكلون الجيف فقال يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس». [٢٩١]

نعم، فمن المعلوم أن الأعمال سوف تتجسَّم بموت الإنسان، قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ ﴾[٢٩٢] وقال أيضاً:﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾[٢٩٣]، واللّه تعالى شاء أن تتجسد الغيبة يوم القيامة بمن يأكل لحم أخيه ميتاً، لذا اللّه تعالى في هذه الآية يعاتبنا بما مضمونه: أتحبون يوم القيامة أن تروا أنفسكم وأنتم تأكلون اللحوم الميتة؟!!

وقد يكون فيه إشارة بأن المغتاب سيحشر يوم القيامة بهيئة الحيوانات والوحوش كالسباع والكلاب لكونها تتغذى على اللحوم الميتة، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم اللّه من المسلمين وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير.. فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس... » [٢٩٤]. فالقَتَّاتُ في اللغة هو النَمَّامُ، من يُبلِّغ كلامَ الناس على جهة الإفساد.

إذاً (صورة المغتاب في جهنّم إمّا أنّه على صورة الكلب فيأكل الجيفة أو أنّه تأكله الكلاب أو بصور أخرى قبيحة). [٢٩٥]

فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إجتنب الغيبة، فإنها إدام كلاب النار. [٢٩٦] وفي رواية عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ : الغيبة قوت كلاب النار» [٢٩٧]

الاحتمال الثاني: هو أنَّ المراد أنَّ الغيبة هي بمنزلة أكل لحم المستغاب ميتاً من ناحية الحكم، فكما أنَّ أكل الميتة من الذنوب الكبيرة فكذلك الغيبة.

قال علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « يا عباد الله اتقوا المحرمات كلها واعلموا أن غيبتكم لأخيكم المؤمن من شيعة آل محمد أعظم في التحريم من الميتة، قال الله جل وعلا: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوه ﴾[٢٩٨] ». [٢٩٩]

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الغيبة

تُولي الروايات الإسلامية -كما سيأتي بيانها- أهمية قصوى لمسألة الاغتياب، ونادراً ما نجد من الذنوب ما فيه من الإثم إلى هذه الدرجة.[٣٠٠]

وسنقف في هذا المبحث على الآثار الدنيوية والبرزخية والأخروية للغيبة:

أولاً: الآثار الدنيوية، ونبتدئ بالآثار الدنيوية المحسوسة -أي التي تدركها الحواس- ويترتب عليها الآثار الآتية:

١. سقوط المغتاب من أعين الناس، وفقدان الثقة به، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إياك والغيبة، فإنها تمقتك إلى الله والناس، وتحبط أجرك ». [٣٠١]

فإنّ طبائع الناس مجبولة على حبِّ الكمال والجمال والحسن، والنفور من كلِّ نقص وقبح وانحطاط. فالناس يميّزون ويفرّقون بين من يتجنّب هتك أستار الناس وكشف أعراضهم وأسرارهم، وبين غيره، بل حتّى الّذي يقوم بالغيبة يجد في قرارة نفسه أنّ من يتجنّب الغيبة أفضل منه وأكمل.[٣٠٢]

٢. يسلط الله على المغتاب من يغتابه، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لا تغتب فتغتب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنك كما تدين تدان » [٣٠٣]

لا يعتقد المغتاب أنه سيسلم من أن يغتابه أحد لكونه يعتقد أنه يسير على الطريق المستقيم، بل أن اللّه سيتتبعه حتى يفضحه كما فضح غيره، عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « لا تطلبوا عثرات المؤمنين فإن من تتبع عثرات أخيه تتبع اللّه عثراته ومن تتبع اللّه عثراته يفضحه ولو في جوف بيته »[٣٠٤]

٣. يُعذبون في الدنيا كأن تنزل عليهم البلايا والمِحَن، ولطالما سمعنا قصصاً مؤلمة بسبب الغيبة التي نتج عنها ضرب وسب وشتم المغتاب، ومقاطعته وما يترتب عليه من قطع صلة الرحم وعقوق الوالدين، بل بعضهم انتهى بهم الأمر إلى السجن والقتل والحروب، وهذا العذاب قد صرّح به تعالى في القرآن، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه، فهو من الذين قال اللّه عزوجل:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[٣٠٥]. فمحل الشاهد هو قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.

وأما الآثار الدنيوية غير المحسوسة -أي التي لا تدركها الحواس-، فنذكر منها ما يلي:

١. ينال غضب اللّه تعالى: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أبغض الخلائق إلى اللّه المغتاب ».[٣٠٦]

٢. يكون ملعوناً: أي بعيداً عن رحمة اللّه:، روي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ملعون من اغتاب أخاه ».[٣٠٧]

٣. إن المغتاب لا يؤجر على أعماله الصالحة لأنها غير مقبولة: روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل اللّه صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه»[٣٠٨]

روي أن رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ سمع امرأة تسبُّ جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بطعام فقال لها: كلي. فقالت: أنا صائمة يا رسول اللّه. فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟». (٣٠٩)

ثانياً: الآثار البرزخية، ونذكر منها الآثار الآتية:

١. يُعذب في القبر: فقد روى القطب الراوندي في دعواته روى ابن عباس: أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث للغيبة وثلث للنميمة وثلث للبول. (٣١٠)

٢. يُفضح في البرزخ: فقد روي عن رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : « مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم ». (٣١١)

قد يسأل أحدكم: لماذا الشخص يخمش وجهه؟! فلا أحد يرضى بأذية نفسه!!

الجواب: إن جوارح الإنسان في الدنيا جعلها اللّه منقادة لأوامر الإنسان، ولكن بعد موته ينتهي التكليف فتصبح كل جوارحه وأعضائه منقادة لأوامر اللّه فقط، ولذا لمّا يطلب منها اللّه أن تشهد على أعماله فسوف تنقاد لأوامر اللّه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣١٢)

ثالثاً: الآثار الأخروية، ونذكر منها الآثار الآتية:

١. انتقال حسنات المغتاب إلى المستغاب: فقد روي عن رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : « يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي اللّه ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي، فإني لا أرى فيها طاعتي! فيقال له: إن ربك لا يضل ولا

ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي، فإني ما عملت هذه الطاعات! فيقال: لأن فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك ». (٣١٣)

٢. يفضحه اللّه يوم القيامة: عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «... ومن مشى في عيب أخيه وكشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنّم وكشف اللّه عورته على رؤوس الخلائق ». (٣١٤)

٣. يتجسّد بمنظر قبيح وتنبعث من فمه رائحة نتنة: روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «من اغتاب امرأً مسلماً... وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذّى به أهل الموقف فإن مات قبل أن يتوب مات مستحلّاً لما حرّم اللّه عزّ وجل ». (٣١٥)

المبحث الرابع: علاج الغيبة

قد يسأل أحدنا: ما هي كفارة الغيبة؟

يقول الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني دام ظله: يجب عند وقوع الغيبة التوبة والندم، و الأحوط استحباباً الاستحلال من الشخص المغتاب إذا لم تترتب على ذلك مفسدة أو الاستغفار له.(٣١٦)

بمعنى لو علم المغتاب أن الشخص الذي اغتابه لو طلب منه الاستحلال -أي إبراء ذمته- فسوف يبرئ ذمته ولن يحقد عليه ويعاديه ولن يترتب عليه مشكلات أخرى، فهنا الأفضل الاستحلال منه وهو الأحوط استحباباً.

ويقول الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني دام ظله: (بل لو عُدَّ الاستحلال تداركاً لما صدر منه من هتك حرمة

المغتاب فالأحوط لزوماً القيام به مع عدم المفسدة، ولا يجب أن يعرف المغتاب متعلق الإبراء وأنه عن أي شيء يحلله، إلا إذا كان هناك قرينة على عدم شمول الإبراء لمثل الغيبة المذكورة)[٣١٧]

ولكن لو علم المغتاب أن مصارحته وطلب الاستحلال منه سيترتب عليه مفسدة كأن يرفض ويغضب ويقاطعه ..إلخ من المفاسد، فهنا يلزم المغتاب الاستغفار له.

وعلى المغتاب أن لا يؤجل الاستغفار والتوبة؛ لأن الآثار المترتبة على نزولها سريعة، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد». [٣١٨]

وروي: أن اللّه تعالى قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : «.. ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار». [٣١٩]

ولكي يحمي الإنسان نفسه من الغيبة، عليه مراعاة النقاط الآتية:

١. وجب على الإنسان الذي يرغب باغتياب الآخرين أن يتذكّر دائماً (أنّ هذه المعصية أشدّ من كافّة المعاصي، وآثارها الدنيوية والأخروية هي أخطر من آثار الذنوب الأخرى، لأنّها بالإضافة لكونها تجاوزاً لحدود اللّه تعالى، تمسّ حقوق الناس أيضاً، ولا يغفر اللّه للمغتاب حتّى يرضى صاحب الغيبة، فقد ورد في الحديث عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في وصيّته لأبي ذرّ: «... والغيبة لا تُغفَرُ حتّى يغفرَها صاحبها» [٣٢٠]

فلو مات الإنسان وعليه حقوق للناس، فأمره صعب جدّاً؛ لأنّ علاقة الإنسان في حقوق اللّه تكون مع الكريم الرحيم الّذي لا يتطرّق إلى ساحته القدسية شيء من البغض والضغينة والعداوة والتشفّي، ولكنّه في حقوق العباد قد يرتبط بإنسان

فيه تلك الصفات الفاسدة ولا يتجاوز عنه بسرعة أو لا يرضى عنه نهائياً).[٣٢١]

٢. أن يتذكّر أنه إذا اغتابه من أجل أن يشمت به، فليعلم أنه سرعان ما سيشمت به الآخرين، وهذا وعد إلهي ذكره على لسان رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «لا تظهر الشماتة بأخيك، فيرحمه اللّه ويبتليك» [٣٢٢]

وما أجمل كلمات الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ -في النهي عن غيبة الناس- حينما قال: «... فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيره ببلواه؟ أما ذكر موضع ستر اللّه عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به؟ وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله؟! فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى اللّه فيما سواه مما هو أعظم منه، وأيمُ اللّه! لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر» [٣٢٣]

قال الشاعر:

لِسانُكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ
فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ
وعَيناكَ إنْ أبدَتْ إليكَ مَعايِباً
فَدَعها وَقُلْ يا عَينُ للنّاسِ أعيُنُ

ولذا فالواجب الشرعي يُحتِّم علينا أن لا نغتاب المؤمنين ولا نكشف عيوبهم، بل نستر عليها، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لو وجدت مؤمنا على فاحشة لسترته بثوبي، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ بثوبه هكذا» [٣٢٤]، أي حرّك الثوب وكأنه يستر على شخص.

٣. أن يتذكّر أن الورع عن محارم اللّه كترك الغيبة هي أحب إلى اللّه من أعظم الأعمال المستحبة، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « ترك الغيبة أحب إلى اللّه عزوجل من عشرة آلاف ركعة تطوعاً » [٣٢٥]

٤. أن لا ينسى أن المتورع عن الغيبة والمراد عن الغيبة، وبالأخص المراد عن اغتياب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سوف ينال شفاعة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ يوم القيامة، فقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «...ينادي المنادي -يوم القيامة- وهو جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم أم يحيى ابن زكريا؟ فيقمن، فيقول اللّه تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي والحسن والحسين: للّه الواحد القهار، فيقول اللّه تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها، فيبعث اللّه مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول اللّه: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يُعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول اللّه: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة، قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: واللّه يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردئ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي اللّه في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول اللّه: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول اللّه: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من

كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، **انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة**، قال أبو جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : واللّه لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال اللّه تعالى: «فمالنا من شافعين ولا صديق حميم»، فيقولون: «فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين»، قال أبو جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : هيهات هيهات منعوا ما طلبوا، «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون »[٣٢٦]

إذاً للسيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ مواقف عديدة يوم القيامة، منها مقام الشفاعة للمحبين المخلصين المتبعين لنهج أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ومنها الوقوف في محكمة العدل الإلهي لمحاسبة ظالميها وظالمي أولادها، فيروى (أنّ فاطمة تأخذ قميص الحسين ملطخاً بالدم و تقول : إلهي احكم بيني وبين من قتل ولدي)[٣٢٧]

ثمّ تسأل ربّها أن يريها الحسين فيقال لها : انظري في قلب القيامة فترى الحسين قائماً مقطوع الرأس.[٣٢٨]

فإذا رأته صرخت وولولت وصاحت (واثمرة فؤاداه) فتصعق الملائكة لصيحتها وينادي أهل الموقف قتل اللّه قاتل ولدك، .....[٣٢٩].

وبالتأكيد من الظلامات التي ستطالب بها فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ يوم القيامة هي الظلامات التي عاشتها من قبل الشيخين، ومنها غصب الخلافة من بعلها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وغصب أرض فدك، وحرق دارها وكسر ضلعها ولطمها ورفسها وإسقاط جنينها...وكان ملاذها الوحيد هو زيارة قبر أبيها رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث تذكر كتب السيرة والتاريخ بأنها(كانت عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ تخرج بين الحين و الآخر إلى قبر أبيها و معها الحسن و الحسين عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وفي بعض الأحيان يكون أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معها، وكان السبب في زيارتها لقبر أبيها،

الشكوى لما حل بها من مصائب، واستمرت على ذلك المنوال حتى في الليالي الأخيرة التي كانت فيها وفاتها تخرج مع ما بها من علّة.

قالت لعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذات ليلة: كم مضى من الليل يا ابن العم، قال ثلثه، قالت ائذن لي بالخروج إلى قبر أبي لأودعه قبل الموت فقد حان الفراق لك يا ابن العم، فبكى وقال: إنك وبهذه الحالة لم تستطيعي القيام فقالت: لابد من وداع قبر رسول اللّه. فقال الأمر إليك، فنهضت وتوجهت نحو القبر المقدس فتارة تمشي و تارة تجلس، حتى وصلت إلى قبر رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ و الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معها فلما نظرت إلى القبر أنّت أنة تزلزلت لها الأرضون و قالت: يا أبتاه سكنت التراب، وفارقت الأحباب، وأسلمتنا للخطوب وفوادح الكروب.

(مجردات)

عگبك يبويه اشصار بيه مكسور ضلعي الحگ عليه
او محسن سگط فوگ الوطيه

وبكت حتى انصدع قلبها، فقال لها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : أقلي من البكاء وتعزى بالعزاء فإني أخشى عليك أن تكوني من الهالكين قالت: يا ابن العم، لا تلمني، واعذرني، فإن الفراق مرّ المذاق خصوصا فراق أبي، سلطان الرسل، وهادي السبل، و حبيب قلبي ونور عيني وسيدي و سنادي، وملجئي و ملاذي، و عصمة أمري وقوة ظهري رسول اللّه ثم أخذت قبضة من صعيد قبره الشريف، ووضعتها على أنفها و عينيها وشمتها و أنشأت تقول:

ماذا على مَن شَمَّ تربةَ أحمدٍ لا يَشَمَّ مدى الزمانِ غواليا

صُبَّـــت علـــيَّ مصائـــبٌ لـــو أَنها ... صُبَّـــت علـــى الأيـــامِ صِـــرنَ لياليا
قـــد كنتَ لـــي جبـــلا ألـــوذ بظلِّه ... واليـــوم تُســـلمني إلى أعدائيـــا[٣٣٠]

(نصاري)

طبـــت دارهـــا او ظلـــت عليلـــه ... او جفنها امن الو لم ما غمض ليله
تـــروح الگبر ابوهـــا تشـــتكيله ... وهو ابگبره على الزهره ايتو لم

(فائزي)

گومك يبويه خالفوا فينا الوصيه ... بس غبت عنه اتواثبوا كلهم عليه
اخبرك يبويـــه نحلتي منـــي خذوها ... وبنتـــك يبويه بعد عينـــك ما رعوها
اضلوعي يبويه ابساتر الباب اكسروها ... واتجمعوا كلهم على بعلي او عليه
ريتك تراهم يوم دخلوا وسطة الدار ... من بعد ما وجّوا يبويه الباب بالنار
اوحامي الحمه جالس يبو ابراهيم محتار ... وآني حزينـــه واذرف ادموعي جريه[٣٣١]

ربيع الثاني

عن الأيام الفاطمية

عظم الله أجوركم
الشرفاوي

المناسبة

الأيام الفاطمية الأولى

القصيدة: للسيد باقر الموسوي الشهير بالهندي

كلُّ غـــدرٍ وقـــولِ إفـــكٍ وزورِ ... هو فـــرعٌ عن جحـــدِ نـــصِّ الغديرِ

فتبصَّـــرْ تُبصرْ هـــداك إلـــى الحقِّ ... فليـــس الأعمـــى بـــه كالبصيـــر

يـــومَ أوحـــى الجليـــلُ يأمـــر طـــه ... وهـــو ســـارٍ أنْ مُـــرْ بترك المســـير

حُطَّ رحـــلَ السُـــرى على غيـــر ماءٍ ... وكلاً فـــي الفـــلا وحـــرِّ الهجيـــر

ثـــم بلّغهـــمُ وإلا فمـــا بلغـــتَ ... وحيـــا عـــن اللطيـــفِ الخبيـــر

أَقِـــمِ المرتضى إماما علـــى الخلق ... ونـــورا يجلـــو دُجـــى الدَيجـــور

فرقـــى آخـــذا بكـــفِّ علـــيٍّ ... منبـــرا كان مـــن حُـــدوجٍ وكُـــور

إنَّ هـــذا أميرُكـــم وولـــيُّ الأمـــرِ ... بعـــدي ووارثـــي ووزيـــري

هو مولـــىً لـــكلِّ من كنـــتُ مولاه ... مِـــن اللّه فـــي جميـــعِ الأمـــور

فأجابـــوا بألسُـــنٍ تُظهـــرُ الطاعةَ ... والغـــدرُ مضمـــرٌ فـــي الصـــدور

بايعـــوه وبعدهـــا طلبـــوا البيعـــةَ ... منـــه للّه ريـــبُ الدهـــور

أســـرعوا حين غـــاب أحمـــدُ للغدرِ ... وخافـــوا عواقـــبَ التأخيـــر

لســـتَ تـــدري لِـــمْ أحرقـــوا البابَ ... بالنـــار أرادوا إطفـــاءَ ذاك النـــور

ومـــا بـــالُ قُرطِهـــا المنثـــور ... دخلـــوا الـــدارَ وهي حســـرى بمرأىً

من علـــيٍّ ذاك الأبـــيِّ الغيـــور(٣٣٢)

(بحر طويل)

يحامي الجار بيك اشصار للزهرة متحميها تشكي اوتبكي اوتسمع شكاويها اوبواچيها

للزهرة متحميها يحامي الجار بيك اشصار سيفك كلّت احدوده يو فرّيت يا كرار

يوم الگوم اجوا ليكم وجّوا بابكم بالنار والزهرة تدافعهم ما تنغر يواليها

بيديها تدافعهم خوف او روحها راحت عنهم لوّذت بالباب عصروها لَما طاحت

كسروا للضلع بالباب طرحت محسن اوصاحت تعالي لي يفضه اتريد بس وحدة تباريها[٣٣٣]

المحاضرة السابعة

أساليب التربية بالعقاب

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

«أيّما ناشئ نشأ في قوم ثمّ لم يؤدّب على معصية، فإنّ الله عزّ وجلّ أوّل ما يعاقبهم فيه أن ينقص من أرزاقهم»[٤٣٣]

لقد أمرتنا الشريعة الإسلامية بأن نربي أولادنا تربية إسلامية صحيحة وفق نهج محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولا تقتصر تربية الأولاد على الأبوين فحسب بل هي مسؤولية اجتماعية تقع أيضاً على عاتق جميع أفراد المجتمع، لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «أيّما ناشئ نشأ في قوم» فالقوم هم المجتمع بما فيه من الأسرة، والمدرسة، والأقارب، والأصدقاء، والجيران، ومسؤولي الدولة، ولكن المسؤولية الرئيسية تقع على عاتق الوالدين.

ويترتب على إهمال التأديب من قبل الوالدين والمجتمع آثار وخيمة، منها فساد الأولاد وما يترتب عليه من إفساد المجتمع وجلب الخزي والعار، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « ولد السوء يهدم الشرف، ويشين السلف» [٤٣٦].

ويترتب على الاستخفاف بالتأديب آثار دنيوية عديدة، واحدة من تلك الآثار يكشف عنها الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الحديث -محل البحث- بأنه سيؤثر سلباً على الاقتصاد، لقوله «فإنّ اللّه عزّ وجلّ أوّل ما يعاقبهم فيه أن ينقص من أرزاقهم»، ولذا تجدون أغلب الناس يعانون من قلة البركة والرزق، وعندما نأتي للواقع نجد أن السبب الرئيسي هو تركهم للتأديب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فصرن النسوة يتبرجن ويركبّن الأظافر والرموش ويضعن المكياج ولا يوجد من يؤدّبهن

ولو بالوعظ والإرشاد، ويُبدي الاستياء، وهكذا الحال مع ترك الصلاة وسماع الأغاني وعقد العلاقات غير الشرعية.. إلخ.

والمصيبة الكبرى تكمن في الآثار الأُخروية، حيث يترتب على إهمال التربية والتأديب أن يتبرأ منهم رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وينتهي أمرهم بدخولهم النار، روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه نظر إلى بعض الأطفال فقال: «ويلٌ [٣٣٧] لأطفال آخر الزمان من آبائهم» فقيل: يا رسول اللّه، من آبائهم المشركين؟ فقال: «لا من آبائهم المؤمنين، لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلموا أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم بريئ وهم مني براء» [٣٣٨]

في قِبال ذلك من يتعب على تربية أولاده، ويُحْسن تأديبهم فسوف يحجبونه من النار، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها فأوسع عليها من نعم اللّه التي أسبغ عليه، كانت له منعةً وستراً من النار» [٣٣٩].

قد يسأل سائل: ما هي أساليب التأديب؟

الجواب: إنّ طرق التأديب وأساليبه متنوعة وعديدة، منها أسلوب التربية بالحوار، وأسلوب التربية بالتجربة والخبرة، والتربية بالقدوة، والتربية بالحب والرحمة، والتربية باللعب، والتربية بالأدب والفن... وكل هذه الأساليب مهمة، ولكن من أكثر الأساليب التي يستخدمها المربون هما أسلوب التربية بالثواب -كمن تمدح أو تكافيء ولدها حينما يقوم بعمل صالح- وأسلوب التربية بالعقاب.

وكلاهما أسلوبان ضروريان، يقول علماء التربية لقد (أودع اللّه تعالى في طبيعة الطفل غريزتين: الأولى قوّة جذب اللذّة والمنفعة، والثانية قوّة دفع الألم والضرر، ويُعد أسلوب الثواب

تحفيزاً إيجابيّاً للقوّة الأولى نحو السلوك المرغوب فيه، كما يُعد أسلوب العقاب تحذيراً سلبيّاً للقوّة الثانية لترك السلوك غير المرغوب فيه، فالثواب والعقاب أسلوبان منسجمان مع طبيعة القوى النفسيّة للطفل، وبهذا يظهر أن المعارضة المطلقة لاستخدام أسلوب العقاب في تربية الطفل ليست في محلّها، وتجعلنا نخسر وسيلة مهمّة في التربية) [٣٤٠]

وسنقف في هذه المحاضرة على أسلوب التربية بالعقاب

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: أسلوب التربية بالعقوبة

عرّف علماء التربية العقوبة بتعريفات مختلفة تعود إلى مضمون واحد:- وهي أنّها عبارة عن إجراء مؤلم، يتبع سلوكاً غير مرغوب فيه، بهدف منع تكراره، أو تقليل احتمال حدوثه في المستقبل.

وقد ميّز علماء التربية بين نوعين من العقاب الإيجابيّ والسلبيّ، فالعقاب الإيجابيّ

(positive punishment)، هو اتباع السلوك غير المرغوب فيه بإجراءٍ ما لمنعه.

أما العقاب السلبيّ (negative punishment)، فهو عبارة عن اتباع السلوك غير المرغوب فيه بإزالة معزّز مرغوب فيه [٣٤١]، ولتقريب الفكرة نذكر الأمثلة الآتية:

مثال: إذا كان الولد -ذكراً كان أو أنثى- مولعاً باللعب على الأجهزة الإلكترونية لساعات طويلة في اليوم وترك أغلب مسؤولياته بل حتى ترك صلاته، ويرغب المربي في إزالة هذا

السلوك المنهي عنه والضار، فهناك طريقتان للعقاب، وهما:

طريقة (العقاب الإيجابي): الإجراء هو إضافة مثير غير مرغوب فيه كالتوبيخ والذم والتأنيب المشروع، أو الهجر وترك المعاشرة.

طريقة (العقاب السلبي): الإجراء إزالة مثير مرغوب فيه كحرمانه من اللعب بالألعاب الإلكترونية لمُدَّة أسبوع بشرط أن يلتزم بالوقت المحدد للعب، كساعة في اليوم، وأن يؤدي مسؤولياته، ويؤدي صلاته، أو سيحرم منها لمدة أطول.

إن السؤال المطروح هو: متى يتمكن المربي من استخدام أسلوب العقوبة؟

الجواب: من ناحية تربوية يمكن للمربي أن يستخدم أحد أساليب التربية بالعقوبة مع الأولاد بشرط مراعاة النقاط الآتية:

١. مراعاة المرحلة العمرية للولد، ففي مرحلة الطفولة المبكرة -المقصود منها السبع سنوات الأولى من عمر الطفل- لا يمكن معاقبة الطفل في السنوات الأولى من هذه المرحلة لكون إدراكه ضعيف، فقد ورد أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « لا تضربوا أطفالكم على بكائهم، فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلّا اللّه، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه »[٣٤٢]، ولكن في السنوات الأخيرة لهذه المرحلة يمكن أن يستخدم المربي أساليب العقوبة اليسيرة وغير الشديدة التي تنسجم مع مدارك الطفل، كالتوبيخ أو الهجر العاطفي، أو الحرمان المؤقت، ولا يجوز ضربه؛ لأنّه إذا لم يكن الطفل مدركاً للحَسَن والقبيح فكيف يُعاقَب على ترك الأوّل وفعل الثانَي؟! فيكون العقاب لغواً لا يترتّب عليه أثر تربويّ إيجابيّ.

وأما في مرحلة الطفولة المتأخرة وما بعدها -أي من السنة السابعة وما بعدها- فيمكن استخدام أحد أساليب العقاب التي سنذكرها في المبحث الثاني.

٢. أن يعاقب الولد من أجل ارتكاب سلوك محرم شرعاً أو قبيح عقلاً، ولكن هناك من يعاقب ولده لأسباب لا تستلزم العقاب كمن يعثر فينكسر منه الإناء، والأعجب ممن يعاقب ولده لأنه يؤدي بعض أنواع العبادات والطاعات الإلهية غير المقتنع بها المربي، كمعاقبة الفتاة التي تصوم أو تتحجّب، فهنا المربي أولى بالتأديب من الولد.

٣. أن لا يعاقبه إلا بعد التأكد من ارتكابه للفعل القبيح، ولكن بعض المربين يعاقبون الأولاد لمجرد التهمة والشك وسوء الظن، أو تصديق اتهام كاذب، ولا يتحاورون مع الأولاد للتأكد من صحة ما نسب إليهم، وهذا الأمر منهي عنه شرعاً وقبيح عقلاً؛ لكونه نوعاً من الظلم، فهناك وسائل لإثبات صدور الفعل السيّئ عن الطفل، منها المعاينة بأن يرى المؤدِّب بعينه، أو قيام البيّنة الصادقة -أي بشهادة عدلين-، أو بإقرار الطفل المميّز على نفسه في ما فعله، في ضوء بعض الآراء الفقهيّة.

٤. أن لا يلجأ لأسلوب التربية بالعقوبة إلا بعد فشل أساليب الترغيب والتعزيز ولم تؤدِ إلى نتيجة إيجابية، كمن استخدم أسلوب التربية بالحوار والقصة، أو التجربة، أو اللعب المدعوم بأسلوب الثواب، ولكن لم تنفع في تغيير سلوكه المنحرف، فحينها يمكنه الانتقال إلى تطبيق أساليب العقوبة.

٥. (قبل العقاب على المربي أن يُفهّم الولد أنّ هذا العقاب إنّما هو بسبب تصرّفه الخاطئ الذي ارتكبه، كأن يكون تاركاً للصلاة، أو فتاة مستخفة بالحجاب وهذا يترتب عليه

نيل غضب اللّه تعالى المطّلع على أعمالنا في السر والعلن، وليسعَ المربي ليكون خوف الولد من ذنبه وربِّه المراقب له لا من والده أو والدته، فالخوف إن كان من أحد الوالدين دون الذنب فإنّ الولد سيكرِّر الذنب حينما يغيبان، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لا يرجُوَنّ أحدُكم إلاّ ربَّه ولا يخَفْ إلاّ ذنبه »[٣٤٣].

٦. أن لا يعاقب المربي ولده حال الغضب، فلقد نهى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الأدب عند الغضب»[٣٤٤]، وعلى المربي أن يفهم بأن من أهمّ الضوابط التي يجب أن يلتزم بها المؤدِّب عند عقاب ولده هو أن يكون بحالة هدوء نفسيّ، ولا يكون غاضباً، ليكون التأديب بداعي إصلاح سلوك الطفل وتعديله، لا بداعي الانتقام والتَّشَفِّي.

ومع شديد الأسف أغلب المربين يعاقبون أولادهم عند الغضب مما يدفع المربي إلى عقوبتهم عقوبة غير شرعية كالضرب المبرح الموجب لدفع الديّة.

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:« لا أدب مع غضب »[٣٤٥]

ولقد تشدّد فقهاء مدرسة أهل البيت في تحريم التأديب الغضبيّ، قال السيّد الكلبايكانيّ: «لا يجوز ضرب الصبيّ المميّز للغضب وتشفِّي القلب»، وأضاف رحمه اللّه: «لا بدّ من أن يكون المقصود والهدف في مقام الضرب، هو التأديب الراجع إلى مصلحة الصبيّ، لا ما يثيره الغضب النفسانيّ، وإلّا فربّما يؤول الأمر إلى أن يؤدَّب المؤدِّب؛ لأنّ ضربه لم يكن للّه تبارك وتعالى، وعلى هذا فلابدّ من أن يكون ضربه في الحال الطبيعيّة العاديّة، لا حال الغضب، وإذا كان مغضباً فليكن غضبه للّه تعالى لا لنفسه، حتّى يسوغ ضربه، وهذه الحالة قلّما توجد إلّا في النفوس الزكيّة الطاهرة... والإقدام على الضرب للّه تعالى محضاً وخالصاً لوجهه الكريم، إلّا أنه لو حصل للإنسان هذا

المقام فله الأثر الخاصّ في كمال النفس وتهذيبه، وهو منشأ سعادته في الدنيا والآخرة» [٣٤٦]، ولذا ننصح المربي الغضوب قبل أن يربي أولاده أن يربّي نفسه أولاً على التحكم بالغضب، ويمكنه قراءة المحاضرة المُعَنْوَنة بـ (كيف نتحكم بالغضب) في الجزء الأول من كتاب (زاد المبلغات)[٣٤٧]

المبحث الثاني: أساليب التربية بالعقوبة

تستعمل أساليب التربية بالعقاب مع كل القيم التربوية في كافة المجالات الإيمانية، والأخلاقية، والسلوكية، والعبادية، وبالأخص الصلاة، وفي التربية الجنسية والمالية والاجتماعية وغيرها، وإليكم أبرز أساليب التربية بالعقاب:

١ـ الحرمان المؤقّت: احرم ولدك العاصي كالتارك للصلاة من بعض الامتيازات والإمكانات العادية كالحرمان من التشجيع، والحرمان من الخروج واللعب ببعض الألعاب، أو الحرمان من متابعة القنوات الفضائية أو استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ولو بقطع الإنترنت، أو الحرمان من بعض المشتريات والهدايا وغيرها، وعلى المربي أن لا يحرمه من الحاجات الأساسية كالطعام والنوم.

٢ـ إظهار الكراهة وترك المعاشرة: جرّب مع ولدك هذا التطبيق بأن تظهر كراهتك لفعله القبيح وتترك معاشرته بإبداء عدم الرضا عن السلوك، كالعبوس، كإبلاغ الأب ابنه: (ستأكل وحدك وليس معنا من الآن؛ لأني أخاف أن يحاسبني ربي؛ لأني أطعمك رغم أنك تارك للصلاة)، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «أَمَرَنَا رَسُوْلُ اللّه -صَلَّىٰ اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أَنْ نَلْقَىٰ أَهْلَ المَعَاصِيْ بِوُجُوْهٍ مُكْفَهِرَّةٍ»[٣٤٨]

فشرعاً وجوب إظهار الكراهة قولاً، أو فعلاً من ترك الواجب،

أوفعل الحرام واجب عيني لا يسقط بفعل بعضهم، وهذا ما أفتى به الفقهاء منهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله)[٣٤٩]

وقد استعمل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذا النمط مع أصحابه فروي أنه إذا رأى شيئاً ينكره عَلِم ذلك في تغير وجهه، كما قال أبو سعيد (رضي اللّه عنه):» وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[٣٥٠]

٣ـ أسلوب الذم والتوبيخ: وهو من الأساليب المؤثرة، وقد استخدم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أسلوب التوبيخ حيث دعت الحاجة إلى ذلك؛ حيث يُروى عن أبي ذر الغفاري -رضي اللّه عنه- : أنه عَيَّر رجلاً بسواد أمِّه، فوبَّخه رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائلاً: (إنك امرُؤٌ فيك جاهلية).[٣٥١]

كأن تقول له: (أنت تقلّد الكافرين والفاسقين!!)، أو (كيف تتجرأ على ترك شكر المنعم؟)، أو (ألا تعلم أن الصلاة عمود الدين، ولذا فأنت تهدم الدين وستخسر السعادة في الدارين).. إلخ

لكن يجب على المربي ألاَّ يستخدم الألفاظ المحرمة كالسب والشتم، وأيضاً ينبغي ألا يُفْرط المربي في استخدام التوبيخ؛ لأن ذلك قد يكون له تأثير سلبي على الناشئ، فلا بد أن يراعي المؤدِّب حال الصغار، والفروق بينهم في الطباع والأخلاق، فمنهم مَن يكفي في لومه وإشعاره بخطئه نظرةٌ قاسية، ومنهم من يرتجف فؤاده بالتلميح، ومنهم مَن لا يردعه إلا التصريح باللوم والتوبيخ، وعلى المربِّي أن يحدِّدَ الطريقة الملائمة للتوبيخ مع كل منهم.

٤ـ التأنيب: أي توجيه اللوّم والعتاب، فينبغي إثارة المشاعر والعواطف عند المتربي من خلال الكلام العاطفي المدروس

والواقعي كقول (نحن أهلك نتأذى ونحزن كثيراً من تصرّفك هذا، إن أردت أن تُفرح قلب أمك فلا تقم بهذا العمل).. إلخ ، وينبغي عدم المبالغة في الكلام كقول (ستقضي علينا بعملك هذا!) أو التعميم، كقول (أنت دائماً تفعل هذا ولا تسمع كلامنا أبداً)

وعلى المربي أن لا يعيّر ولده بذنبه ويكرر التعيير كلما غضب منه وبالأخص أمام الناس؛ لأن هذا يدفعه للعناد ويولد الحقد في قلبه تجاه المربي، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تكثرن العتاب فإنه يورث الضغينة ويدعو إلى البغضاء [٣٥٢].

٥ـ المفاوضات والتوصّل إلى اتّفاق: بحيث يشعر الولد بأنّه إن لم يهتم بالملاحظات والتوجيهات التي تقولونها له حول سلوك خاطئ، فإنّكم بالمقابل لن تهتموا بتلبية حاجاته وطلباته، ويتم هنا نوع من التفاوض والوصول إلى صفقة واتّفاق، ويفضّل أن يكون مكتوباً وموقّعاً عليه من الطرفين، ويشمل ما ينبغي لكل طرف القيام به وتحديد العقوبات والإجراءات عند عدم الالتزام. كأن يكتب الولد فيها: (أنا فلان بن فلان أقرّ واعترف بان الصلاة عمود الدين ....إلخ ، ولذا إذا لم اؤد الصلاة فاستحق العقاب الفلاني.. واللّه على ما أقول شهيد)...ثم يوقع الولد والمربي لكونه الشاهد والمنفذ للعقوبة.

٦ـ الهجر والحرمان العاطفي: فالهجر أو الإهمال أو التجاهل من العقوبات المؤثّرة والفعالة، حيث يتعمّد الأهل والمربون إظهار الانزعاج والتعامل مع الولد بجفاء فلا يمنحه العاطفة والحنان والاهتمام الذي كان يوليه له من قبل، بحيث يشعر الولد بفداحة الذنب أو الخطأ الذي ارتكبه فيرتدع ولا يعود إلى مثله، كتحديد وقت محدّد يمنع على الابن التحدّث مع أهله، كقوله: «لا تكلّمني لمُدَّة عشرين دقيقة وفكّر بحلّ لهذه المسألة، أكتبه على ورقة، سأقرأه ثم نرى»، أو قد يزيد المُدَّة ولكن لا يجعلها مُدَّة طويلة، فقد ورد تحذير صرّحت به بعض الروايات، فقد رُوي أنّه شكى بعض الأشخاص إلى الإمام موسى الكاظم ابناً

لـــه، فقال الكاظـــم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «لا تضربـــه، واهجـــره، ولا تطل»[٣٥٣]

فإطالـــة مُـــدَّة الهجـــر تتســـبّب بفتـــور عاطفـــي وإلـــى قســـوة قلـــب الولـــد، ويتعـــوّد المربـــي والمتربـــي علـــى الجمـــود والســـكون بـــدل النشـــاط والحركـــة والتفاعـــل.

ولينتبـــه المربـــي مـــن ممارســـة الابتـــزاز العاطفـــي غيـــر المقصـــود وخاصـــةً مـــع الأطفـــال ، كأن تهـــدّد الأم ابنهـــا مثـــلاً «إن فعلـــت هـــذا فلـــن أحبّـــك مجـــدداً!»

فالحـــب المشـــروط مرفـــوض مـــن ناحيـــة تربويـــة، بـــل ليقـــل لـــه مثـــلاً: «أنـــا أحبـــك دائمـــاً ومهمـــا حـــدث، لكـــن هـــذا التصـــرّف والســـلوك لا أحبـــه لأنـــه خطـــأ وقـــد تكـــرّر، وعليـــه تســـتحق قصاصـــاً يســـاعدك علـــى التخلـــص منـــه». وهـــذا النـــوع مـــن العقـــاب لـــه ارتبـــاط بأســـلوب تـــرك المعاشـــرة.

٧ـ العـزل والإقصـاء عـن الأنشـطة المعـزّزة: كوضـع الطفـل فـي غرفـة منعزلـة بسـبب سـلوكه العدوانـيّ تجـاه إخوتـه مثـلاً، بعـد سـحب الأجهـزة التـي يحبهـا أو قطـع الإنترنـت، وإذا كان ولـدك يحـب عمـلاً مـا كحبـه للمشـاركة والترتيـب فيمكنـك حرمانـه لمُـدَّة كنـوع مـن التأديـب، يذكـر آيـة اللّه محـي الديـن الحائـري الشـيرازي (قـدس سـره) بـأنّ والدتـه كانـت رائـدة ذكيـة فـي تربيـة أبنائهـا، فكانـت حيـن يرتكبـون عمـلاً سـيّئاً، تمنعهـم مـن المشـاركة فـي أعمـال المنـزل! وهـذا تدبيـر تربـوي جميـل وفعّـال؛ بـدلاً مـن جعـل العمـل الجيـد عقوبـة ومـن ثَـمّ تكريـه الطفـل بـه، كانـت تعاقبهـم بمنعهـم منـه، ليشـعر الطفـل المعاقـب لمُـدَّة بأنّـه غيـر جديـر بالمشـاركة وينمـو عنـده حـسّ المسـؤولية والهمـة العاليـة، ويـدرك بالتدريـج أنّ هـذا العمـل والمشـاركة نعمـة ودليـل رضـا الوالديـن عنـه وتحفيـزاً لـه علـى العطـاء والعمـل.

٨ـ تكلفة الاستجابة response cost: كالغرامات الماليّة من مصروف الطفل، أو حسم علامات له في المنزل، إذا كان أسلوب جمع العلامات مستخدماً في التعزيز داخل المنزل، كتمرين النجوم التي نمنحها له في حال تطبيقه للقيمة التربوية، وأما إذا لم يطبقها فيتم سلب نجمة كلما فشل.

٩ـ اختيار العقوبة: وفكرة هذا الأسلوب بأن يحدد المربي ثلاث عقوبات مشروعة وتربوية ونطلب من الولد اختيار أحدها، أو أن نطلب من الولد الجلوس لوحده فيفكر في ثلاث عقوبات يقترحها علينا مثل «الحرمان من المصروف، أو عدم زيارة صديقه هذا الأسبوع، أو أخذ الهاتف منه لمدة يوم» ونحن نختار واحدة منها لينفذها على نفسه وفي حالة اختيار ثلاث عقوبات لا تناسب الوالدين مثل «يذهب للنوم أو يصمت لمدة ساعة أو يرتب غرفته» ففي هذه الحالة نطلب منه اقتراح ثلاث عقوبات غيرها.

قد يعترض بعض المربين بأن العقوبات التي يقترحها الولد لا تشفي غليل المربي، ولكن لزم علينا أن نفرق بين التأديب والتعذيب، فالهدف من التأديب هو تقويم السلوك وهذا يحتاج إلى صبر ومتابعة وحوار واستمرار في التوجيه، أما أن نصرخ في وجهه أو أن نضربه ضرباً شديداً فهذا «تعذيب وليس تأديب»، إننا عندما نعاقب أبناءنا فإننا لا نعاقبهم بمستوى الخطأ الذي ارتكبوه وإنما نزيد عليهم في العقوبة؛ لأنها ممزوجة بالغضب وذلك بسبب كثرة الضغوط علينا فيكون أبناؤنا ضحية توترنا وغضبنا من الحياة ولهذا نحن نندم بعد عقابهم على تعجلنا، أو عدم ضبط أعصابنا، وأيضاً حينما نطلب من الولد أن يذهب ويجلس لوحده ويفكر بثلاث عقوبات لأختار أنا واحدة منها لأنفذها عليه، فإن هذا الموقف هو تأديب في حد ذاته؛ لأن فيه حوار نفسي بين المخطئ وهو الطفل وذاته وهذا تصرف جيد لتقويم السلوك

ومراجعة الخطأ الذي ارتكبه وهو وقفة تربوية مؤثرة.

وهناك بعض الأسر جربوها ونفعت معهم؛ لأن الطفل عندما يختار العقوبة وينفذها فإننا في هذه الحالة نجعل المعركة بين الطفل والخطأ وليس بينه وبين الوالدين فنكون قد حافظنا على رابطة محبة الوالدين وكذلك نكون قد احترمنا شخصيته وحافظنا على إنسانيته فلم نحقره أو نهينه ومن يتأمل تأديب الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للمخطئين يجد أنه مع التأديب يحترمهم ويقدرهم ولا يقبل بإهانتهم وقصة المرأة الغامدية التي زنت وطبق عليها الحد فشتمها أحد الصحابة فقال له رسول اللّه أنها تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم فنظرة الاحترام للمخطئ باقية مادام سار في برنامج التأديب.

وهذا التطبيق من العقوبة مستنتج من الأسلوب القرآني في التأديب فاللّه تعالى يعطي للمذنب أو للمخطئ ثلاثة خيارات مثل: كفارة من تعمد الإفطار في نهار شهر رمضان، أو كفارة اليمين، وغيرها من الكفارات فإن الشريعة الإسلامية تعطي ثلاثة خيارات لمرتكب الخطأ وهذا أسلوب تأديبي راقٍ وجميل.[٣٥٤]

١٠ـ تطبيق: الإنذار أو التهديد: أي الترهيب بالعقاب، بهدف توليد الخوف، وهو أسلوب قرآني نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٣٥٥]

مثال ذلك: التهديد بالضرب، فقديماً قيل في الأمثال الشعبية الحكيمة «لوّح بسيف العزّ ولا تضرب به»، التهديد هنا يؤثّر أكثر من الضرب نفسه، لا بأس بأن يشعر الولد

عندها بأنّه تجاوز الخطوط الحمراء وأنّ هناك تصعيد غير مسبوق، مع إفساح المجال له للإصلاح والعودة عن الخطأ وتسهيل التوبة، فالتائب حبيب اللّه وحبيب أهله أيضاً!

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عُقوبَةُ العُقلاءِ التَّلويحُ»[٣٥٦]

تذكر ابنة الإمام الخميني (سلام اللّه عليه) بأنّ الإمام لم يكن يضرب أبناءه أبداً، حتى إذا تجاوز أحد الصبيان الحد وارتكب عملاً قبيحاً جداً، كان الإمام ينادي مثلاً بصوت مرتفع يسمعه الولد المخطئ أحضروا لي العصا! ثم يبدأ بفك أزرار أكمامه وطيّها بهدوء في تمثيل واضح، مانحاً الفرصة لذاك الصبي للهروب إلى آخر الحيّ... ثم الرجوع بعد أن تكون هدأت الأجواء والإعتذار و ...»يا سريع الرضا«!

وينبغي أن لا يتوعده إلا بما هو جائز، فلا يجوز له أن يخوفه بما لا ينبغي له أن ينفذه، أو بما يعلم أنه لا ينفذه كالقتل، والضرب المبرح، والطرد من البيت ونحو ذلك، كأن يقول المربي لولده «واللّه لأكسر رأسك وأقتلك ...» وكأننا في مجزرة لمصاصي الدماء، وكذلك لا يجوز التخويف بالغول كما هو شائع عند العامة؛ لأنه كذب لا حقيقة له؛ ولأنه قد يؤثر سلباً على شخصية الولد الناشئ.

١١. العقوبة بتحفيز المحسن: إذا كان لدى المربي ولدان، وطلبت منهما الصلاة -مثلاً- فأطاعك الأول، وعصاك الثاني، فقم بمكافأة المصلي أمام المستخف بالصلاة، كأن تمدحه وتقول (الشخص المطيع للّه يستحق المدح، بارك اللّه فيك ياولدي)، فالغيرة في بعض الأحيان تدفع المسيء لإصلاح نفسه، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ازجر المسيء بثواب المحسن »[٣٥٧]. بشرط ألا تقارنه معه كأن تقول له(لماذا لا تكون كأخيك؟، أنت لا خير فيك) فهذه المقارنة تجعله يحقد على أخيه.

١٢ـ العقوبة البدنية: العقوبة البدنية كالضرب هي عقوبة تهدف إلى إحداث ألم جسدي لشخص ما، وذلك لغرض «التأديب» أو

«الإصلاح» أو «الردع» عن سلوك ما «غير مقبول».

ويلجأ المربّي لهذه العقوبة بعد استنفاذ أسلوب التربية بالثواب والتعزيز، واستنفاذ جميع أشكال العقاب الأخرى التي تم ذكرها في النقاط السابقة كالحرمان والهجر وغيرها، فإذا لم يرتدع عندها يمكنه استخدام أسلوب التربية بالضرب، فهو آخر الحلول، -وكما يقال آخر الدواء الكي- ومع الأسف نجد بعض المربين يستخدمونه كأول أسلوب، بل عندهم هو الأسلوب الوحيد النافع، وهذا قد يولد ردة فعل في نفس الصبي فيكره ما تطلبه منه كالصلاة، وربما يؤديها أمامك ظاهراً، من باب رفع الضرر عنه أو من باب العناد.

المبحث الثالث: مشروعية العقوبة البدنية وشروطها

استدلّ الفقهاء على مشروعيّة العقوبة البدنيّة في التربية والتعليم، على القيم والآداب بأدلّة روائيّة عدّة، منها: سُئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في أدب الصبيّ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خمسة أو ستّة، وارفق، ولا تعدُّ حدود الله».[٣٥٨]

واستدلّوا على مشروعيّة ضرب الطفل للعبادة على ترك الصلاة، رغم عدم وجوبها بروايات عدّة، منها: عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «... ثم يترك حتى يتمّ له تسع سنين، (فإذا تمّت له -أي دخلوا بالسنة العاشرة-) عُلِّم الوضوء، وضُرب عليه، وأُمر بالصلاة، وضُرب عليها»[٣٥٩]

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر...»[٣٦٠]

شروط العقوبة البدنية

يقصد بالعقوبة البدنية في الغالب ضرب الأطفال، باليد أو باستخدام أداة، ولكن بعض المربين يقومون بعقوبات بدنية أخرى، كمن يقوم برفس الأطفال، أو رجّهم، أو رميهم، أو خدشهم، أو قَرصهم، أو عضّهم، أو نتف شعرهم، أو حرقهم، أو كيّهم وغيرها من أساليب العنف، فهذه كلها غير مشروعة، ويترتب على بعضها الديّة، نعم القرص كفرك الأذن إذا ترك أثراً فهو حرام.

وأما ما يتعلق بالضرب فلا يكون ضرباً تربوياً أو مشروعاً إلا بشروط، وهي كالآتي:

١.تنحصر مشروعيّة ضرب الطفل من بلوغه سن التميّز إلى ما قبل البلوغ[٣٦١]، فلا يجوز ضربه قبل التمييز ولا بعد البلوغ، هذا ما ذهب إليه آراء الفقهاء.

قد يسأل بعضهم عن سن التمييز، لقد اختلفت آراء الفقهاء في تحديد المعيار، فمنهم من تبنّى المعيار الزمانيّ، فهي تمتدّ من سنّ الـ٦-٧ حتّى مرحلة البلوغ، وهو رأي بعض فقهاء الإمامية، منهم الشيخ الطوسي والعلامة الحلي وغيرهم كالشيخ جواد التبريزي الذي قال: «التمييز هو أن يُميّز الشيء القبيح من غيره، ويكون غالباً إذا بلغ الولد ستّ سنين... إذا أكمل الطفل ستّ سنوات فهو مميّز»[٣٦٢]

وبعض الفقهاء يرى أن التمييز يختلف باختلاف متعلّق التكليف

سُئل السيد علي السيستاني: ما هو ضابط الصبيّ المميّز في مسألة جواز النظر إلى عورته، وجواز نظره إلى عورة الغير، وكون عباداته صحيحة، والاعتماد على أخباره؟

أجاب: «يختلف المميّز في كلّ مكان، ففي الأول المراد بالمميّز الذي يتأثّر من النظر إلى العورة أو النظر إلى عورته لو التفت وتتحرّك غريزته نسبياً، وفي اعتبار صحّة عباداته الذي يُميّز التكاليف وأنّ الأمر من قِبَل اللّه تعالى ويُمكنه قصد القربة، وفي الاعتماد على إخباره بالنجاسة إذا كان ذا اليد، إذا كان مميّزاً قوي الإدراك لها»[٣٦٣]

٢. أن يكون الضارب من قبل الولي وهو الأب أو والجد للأب، ولا يجوز لأمه أو لأخيه أو لأي شخص آخر كالمعلم ضربه إلا إذا كانوا مأذونين من الولي.

٣. أن لا يكون ضربه لغرض التشفي والانتقام بل لغرض التأديب.

٤. أن لا يضربه إلا بعد عدم استجابته لأساليب الترغيب المتنوعة، ومنها أسلوب التربية بالحوار والموعظة، قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أدّب صغار أهل بيتك بلسانك ».[٣٦٤]

٥. ينبغي أن لا يكون الضرب إلا بعد استنفاذ أساليب العقوبة الأخرى، كالعقوبة العاطفية كأن تظهر أنك غير راض عنه فتهجره لمُدَّة ليست طويلة.

٦. أن يحتمل في ضربه التأثير وإلا لا يجوز.

٧. أن يضربه من أجل ارتكاب الطفل لسلوك غير مقبول فعلاً، لا الأخذ على التهمة والشبهة المجرّدة، أو المعاقبة على ذنب متوقّع الحدوث منه في المستقبل.

٨. معرفة الطفل بكون السلوك الذي مارسه غير مقبول.

٩. الأحوط وجوباً أن لا يزيد على ثلاثة أسواط، وبرفق لا بغلظة، روي عَنْ إِسْحَاقَ بْن عَمَّار قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْد اَللَّه عَلَيْه اَلسَّلَامُ: « رُبَّمَا ضَرَبْتُ اَلْغُلَامَ فِي بَعْضِ مَا يَحْرُمُ فَقَالَ وَ كَمْ تَضْرِبُهُ فَقُلْتُ رُبَّمَا ضَرَبْتُهُ مِائَةً

فَقَالَ مائَةً مائَةً فَأَعَادَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ حَدَّ الزِّنَى اتَّقِ اللَّهَ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَكَمْ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَضْرِبَهُ فَقَالَ وَاحِداً فَقُلْتُ وَ اللَّهِ لَوْ عَلِمَ أَنِّي لاَ أَضْرِبُهُ إِلاَّ وَاحِداً مَا تَرَكَ لِي شَيْئاً إِلاَّ أَفْسَدَهُ فَقَالَ فَاثْنَتَيْنِ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا هُوَ هَلاَكِي إِذاً قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أُمَاكِسُهُ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةً ثُمَّ غَضِبَ فَقَالَ يَا إِسْحَاقُ إِنْ كُنْتَ تَدْرِي حَدَّ مَا أَجْرَمَ فَأَقِمِ الْحَدَّ فِيهِ وَ لاَ تَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ».[٣٦٥]

وهناك روايات حددت الضرب بثلاثة وسماحة السيد السيستاني (دام ظله) يحتاط أن لا يزيد الضرب على ثلاثة [٣٦٦].

١٠. التدرّج في العقاب من الأضعف إلى الأقوى، فلا يجوز تجاوز حدّ الكفاية في الضرب مثلاً، بمعنى أنّه لو كانت ضربة واحدة كافية في التأديب، لا تجوز الضربة الثانية، وهكذا.

١١. ينبغي تجنّب ضرب الأماكن الحسّاسة في جسم الطفل، كالرأس والوجه وغيرهما.

١٢. ينبغي أن تكون أداة الضرب بطبيعتها لا تلحق الأذى والضرر بالطفل؛ لأنّ ضربه مشروط بسلامته من الأذى والضرر، فلا يجوز أن يكون الضرب مدمياً، ولا شديداً، وإذا أثر في اسوداد البدن أو ازرقاقه أو احمراره وجبت الدية.

رُبّ تساؤل يرد: ما هي ديّة الضرب لمن ترك أثراً على البدن؟

الجواب: تختلف الدية بحسب كون الاحمرار و الازرقاق و الاسوداد في الوجه أو اليد ففي الاحمرار دينار و نصف في الوجه و نصفها في البدن، والازرقاق ثلاثة دنانير في الوجه و نصفها في البدن، والاسوداد ستة دنانير في الوجه و نصفها في البدن على الأحوط.

علماً أن الدينار الشرعي يساوي ٣ و نصف غرام من الذهب تقريباً. ويمكن التراضي مع المجني عليه أو طلب براءة الذمة منه بعد بلوغه رشده، وبإمكان الولي احتساب ما تصرفه عليه يومياً من الدية الواجبة عليك مهما كانت.[٣٦٧]

المبحث الرابع: آثار العقوبة المخالفة للضوابط الشرعية والتربوية

إن المربي الذي يمارس العنف مع أولاده كالصراخ والسب والشتم والضرب الذي فيه تجاوز للضوابط الشرعية سيترتب عليه آثار سلبية، نذكر منها ما يلي:

١. يحوله إلى طفل عدواني: عندما يعتاد الطفل على ضرب الوجه، حتى ولو كان ذلك مزاحاً، يصبح هذا السلوك بالنسبة له أمراً تَقْليديّاً ومألوفاً، فيستطيع تكراره مع أطفال آخرين، أو ربما الكبار، سواءً كان ذلك على سبيل المزاح، أو العنف، أو الانتقام، فتعوّده على ذلك الأمر قد يشعره بأنه مستساغٌ ومقبولٌ لديه، خاصةً إذا تم توضيح الأمر على أنه مزحة، وعلى هذا سيتعامل مع الأمر وكأنه لعبة.

٢. تنقص ثقته بنفسه: خلال السنوات المبكرة من حياة الأطفال الصغار، يتم تكوين ثقة الطفل بنفسه، وأيضاً الصورة الخارجية التي يتخيلها عن نفسه، وعلى هذا لابد من أن يدعمها الأب والأم طوال الوقت، لكن ضربة خفيفة الوزن قد تدمر تماماً هذه الثقة وتعوّد الطفل على شكل الإهانة والرفض وإن كانت هذه الضربة على سبيل المزاح، قد تفتح الباب للطفل لقبول الضرب من الأطفال الآخرين في المدرسة أو الحضانة دون شكوى.

٣. تخلط الأمور بالنسبة له: ينبغي أن نعلّم الولد أن لا

يسمح لأي شخص بضربه، وعليه أن يُخبر المعلم إذا تعرض للأذى على يد أحد زملائه في الفصل.

فلننشئ قاعدة قوية معناها أن الضرب والاعتداء الجسدي غير مقبول وسيتم الإبلاغ عنهما بشكل مباشر، ولكن بنفس الوقت إذا كان الأب أو الأم يضرب الطفل فأن ذلك الأمر سيقدم له إشارات مختلطة ومتناقضة تماماً، ويجعله يتساءل بينه وبين نفسه، هل الضرب سيئ حَقّاً، أم أنه طبيعي؟ وإذا كان عنيفاً، فلماذا يفعله والداه المحبوبان؟ قد تجعله هذه العلامات يقبل ضربه من الآخرين، أو يصبح أكثر عنفاً معهم، معتمداً على شخصية الطفل[٣٦٨]...ولذا إذا اضطر المربي لضربه فوجب أن يكون وفق الضوابط الشرعية وأن يخبر الولد بأن الأمر مختص بالأب ولا يحق لأحد غيره ضربه.

٤. يترك ذكريات سيئة: ان الطفل الذي تربى على الضرب، لمّا يكبر يبقى يتذكر هذه الذكريات المؤلمة، وبعضهم تولد في نفسه ردة فعل سلبية تحثه على العقوق، أو يطبق ما تربى عليه على أولاده رغم مخالفتها للضوابط الشرعية.

لذا على المربي الناجح استخدام أساليب التربية المتنوعة والتحلّي بالصبر وتربية الأولاد على القيم والمباديء الإسلامية لا الجاهلية لنحصل على أولاد صالحين لننال بهم السعادة، روي عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من سعادة الرجل الولد الصالح»[٣٦٩].

وهذا يتحقق فيما لو اقتدينا بالمربيّة المثال، الأم المثال فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ سيدة نساء الأولين والآخرين التي كانت تدعو اللّه ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣٧٠]، وفعلاً استجاب اللّه دعاء القديّسة فأنجبت أولاداً وصارت هي وأولادها وبعلها للمتقين إماماً، بينما

غير المتقين لم يقتدوا بها بل اقتدوا بأعدائها الذين ظلموها وظلموا بعلها وأولادها...فأول ظلامة هي غصب الخلافة من بعلها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وثانيها سرقة أرض فدك، وثالثها الهجوم على دارها عَلَيْهَا السَّلَامُ وحرق بابها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وضربها، فتذكر كتب السيرة والتاريخ حينما وقف عدوها (على الباب وصاح بصوت رفيع يسمع علياً وفاطمة لتخرجن يا علي إلى البيعة وإلا أضرمت عليك النار فصاحت فاطمة مالنا ولك فأبى أن ينصرف ولم تفتح الباب له ولما رأى منهم الامتناع أضرم النار في الحطب ودفع الباب وكانت ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خلفها فمانعته من الدخول فركل الباب برجله وألصقها إلى الجدار ثم لطمها على خدها من ظاهر الخمار حتى تناثر قرطها وضرب كفها بالسوط فندبت أباها وبكت بكاءا شديدا عاليا ثم عصرها إلى الجدار ثانية فنادت أهكذا يفعل بحبيبتك واستغاثت بجاريتها فضة وقالت لقد قتل ما في بطني من حمل)[٣٧١] وأقبلت إليها فضة فأخرجتها من وراء الباب وجاءت بها إلى حجرتها وهناك أسقطت جنينها فأغمي عليها.

(نصاري)

غدت تصرخ يفضّه صدري انعاب — او حملي سگط مني ابعتبة الباب
اجت فضه او لگتها فوگ التراب — يسيل امن الصدر واضلوعها الدم

(مجردات)

يا باب فاطم يمّ الأطياب — السدلت اعليك ايد الهدى احجاب
جيت ارد انشدك واسمع اجواب — اعليك اشجره او مترد الأصحاب
الگصدوك يوم المصطفى غاب — واتجسّروا اعله الطهر الأذناب
او كسروا ضلعها كسر ما طاب — او محسن سگط في عتبة الباب
واظن ما دره البسمار منصاب — صدرها لعد صدر النبي صاب

(أبوذية)

يفضه صاحت ام احسين ونهـــه او من طاح الجنيـــن انگطع ونهه
خفّـــه صوتهـــا البســـمار ونهـــه او كســـر ضلعين من عدها الزچيه

أفاطمُ يُسقَطُ منها الجنـــــينُ و تُدفَعُ عن حقّها راغـــــــــمهْ
و تُحـــرَقُ بـــابَ فناهـــا الطَغـــامُ و تأتي علـــي خدرها هاجـــــمه
فتبـــت يـــدٌ كَســـرتْ ضِلعَهـــا و مُـــدَّتْ علـــي وجهها لاطمـــه[٣٧٢]

١٠ ربيع الثاني

وفاة السيدة المعصومة (عليها السلام)

عظم الله أجوركم

الشرفاوي

المناسبة

شهادة السيدة فاطمة المعصومة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ

القصيدة: للشيخ محمد سعيد المنصوري

لهفَ نفسي لبنتِ موسى سقا ... ها الدهرُ كأسا فزاد منه بلاها
فارقت والداً شفيقا عطوفا ... حاربت عينُها عليه كراها
أودعتْه قعرَ السجون أناسٌ ... أنكرت ربَّها الذي قد براها
وإلى أنْ قضى سميماً فراحت ... تُثكل الناسَ في شديدِ بكاها
وأتى بعده فراقُ أخيها ... حينَ في مرو أسكنته عداها
كلَّ يوم يمرُّ كان عليها ... مثلَ عام فأسرعت في سراها
أقبلت تقطَّع الطريقَ اشتياقا ... لأخيها الرضا وحامي حماها
ثم لما بها الضعينة وافت ... أرضَ قمٍّ وذاك كان مناها
قام موسى لها بحسنِ صنيع ... إذ ولاءُ الرضا أخيها ولاها
نزلت بيتَه فقام بما ... استطاع من خدمةٍ لها أسداها
ما مضت غيرَ برهة من زمان ... فاعتراها من الأسى ما اعتراها
وإلى جنبه سُقامٌ أذابَ الجسمَ ... منها وثقلُه أضناها
فقضت نحبَها غريبةَ دار ... بعد ما قطَّع الفراقُ حشاها
طبقتْ جِفنَها إلى الموت لكنْ ... ما رأت والدَ الجوادِ أخاها[٣٧٣]

(مجردات)

من شوگها اتعنت لخوها ... او وصلت بلد قم او اجوها
أهل المودة ايتلگوها ... لاكن بعد افگدوها
او للگبر لمّن شيعوها ... ذكروا امصاب اللي اعصروها
بالباب وامصاب السبوها ... وللشام مسبيه خذوها[٣٧٤]

المحاضرة الثامنة

الصاحب ساحب

رُوِيَ عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لَا تَصْحَبُوا أَهْلَ الْبِدَعِ وَ لَا تُجَالِسُوهُمْ فَتَصِيرُوا عِنْدَ النَّاسِ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَ قَرِينِهِ»** (٥٧٣)

إن الإنسان كائن اجتماعي لا يرغب في العيش وحيداً في هذه الحياة، فهو منذ طفولته بحاجة إلى أمه وأبيه كي يرعوه، بحاجة إلى إخوة يحادثهم ويكونون معه في البيت، ومع تقدم عمره يصبح بحاجة إلى أصدقاء يتشارك معهم الأحداث التي تمر بحياته. (٣٧٦)

ومن الآثار المترتبة على الصداقة هو التأثير على الأفكار والأخلاق والسلوك، ولذا قيل (الصاحب ساحب) للدلالة على أن صحبة الأشخاص الخيِّرين تسحبك نحو الخير، بينما الصحبة السيئة وأصدقاء السوء يسحبون الشخص ويجرّونه لطريق الشر؛ لأنَّ المرء يُشابه صديقه، ويتأثر به وبتصرفاته وبسلوكياته، باعتبار الطباع تسرق الطباع، وصدق الشاعر حينما قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارِن يقتدي

وإن كنت في قوم فصاحب خيارَهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

يقول توم راث في كتابه (الصداقة المفعمة بالحيوية)، إذا كنت تتساءل عن السبب الذي يدفع الناس للبقاء خارج بيوتهم، أو الأسباب التي قد تؤدي إلى فشل الزيجات، أو ما الأسباب التي تشجع الآخرين على الأكل بشراهة، أو تغير نظام الأكل بشكل أكثر صحة، أو الإقدام على البدء بالانتظام في

برنامج للرشاقة، فإن الأسباب في العادة لا صلة بينها وبين الفقر أو الرفاهية، إنما قد تُعزى معظم الأسباب إلى إيقاع اللوم على الصداقات في حياتنا.[٣٧٧]

(إن الأصدقاء يساهمون بنسبة عالية في تشكّل شخصيّة الشباب الدينيّة والأخلاقيّة، فما أكثر الشباب الذين انحرفوا إثر مجالستهم أصدقاء السّوء، حيث يقولون بعد إدراكهم لخطئهم واشتباههم: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[٣٧٨]

وعن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « واعلموا إنّ مجالسةَ أهل الهَوَى منسأةٌ للإيمان، ومُحضِرَةٌ للشيطان ».[٣٧٩]

وإنّ خوف بعضهم من العزلة قد يدفعه للانخراط في أوساط مجموعة من الزملاء والأقران غير المناسبين، وربما الخطرين -أيضاً- كلّ ذلك من أجل التغلّب على مشاعر العزلة، والنبذ الاجتماعيّ، أو من أجل إثبات الذات، من هنا ينبغي على الأبوين مراقبة علاقات المراهق الاجتماعيّة، خصوصاً من ناحية صداقاته، بالإضافة إلى توعية أبنائهم على كيفيّة إقامة علاقات صحيحة وسليمة مع الآخرين، وكيفيّة انتخاب الأقران)[٣٨٠]

مباحث الرواية الصادقية

المبحث الأول: تفسير الرواية

إن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يأمرنا بعدم صحبة أهل البدع ولا مجالستهم، لقوله: «لَا تَصْحَبُوا أَهْلَ الْبِدَعِ وَلَا تُجَالِسُوهُمْ»، والسؤال المطروح: من هم أهل البدع؟

البدعة: هي إدخال ما ليس من الدين في الدين[٣٨١]، كإباحة محرّم، أو تحريم مباح، أو إيجاب ما ليس بواجب أو

ندبـــة.[٣٨٢]

واتفـــق الفقهـــاء ســـنة وشـــيعة علـــى حرمتهـــا وأنهـــا مـــن الكبائـــر، فقـــد روي عـــن رســـول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : «كل بدعـــة ضلالـــة، وكل ضلالـــة ســـبيلها إلـــى النـــار..».[٣٨٣]

وفـــي زماننـــا الـــذي نعيـــش فيـــه كَثُـــر فيـــه العُصـــاة مـــن أهـــل البـــدع والفســـوق، فنحـــن نـــرى الســـافرات والمتبرجـــات والمخنثيـــن والشـــواذ والســـامعين للأغانـــي وغيرهم، القســـم الأول منهـــم لا ينكـــرون حرمتهـــا إلا أنهـــم لا ينتهـــون عنهـــا، باعتبارهـــم عبـــدة للهـــوى والشـــهوات، وهـــؤلاء يســـمّون بالفاســـقين. ولقـــد نهتنـــا الشـــريعة عـــن صحبـــة الفاســـق، حيـــث روي عـــن الإمـــام الصـــادق عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: « إيَّـــاكَ ومُصَاحَبَـــةَ الفاســـق، فإنَّـــه بَايَعَـــكَ بأكلة »[٣٨٤]، والفاســـق هـــو الـــذي يعصـــي أوامـــر اللّه، ومـــن صفاتـــه أنـــه يبيـــع الآخريـــن عنـــد أدنـــى مشـــكلة، ولا يكســـب منـــه الإنســـان الاّ الصفـــات الرذيلـــة بســـبب انحرافـــه عـــن خـــط الشـــريعة.

والقســـم الآخـــر مـــن العاصيـــن الذيـــن يعلمـــون أن هـــذه الأفعـــال محرّمـــة شـــرعاً وتوجـــد أدلـــة تثبـــت ذلـــك، إلا أنهـــم ينكرونهـــا ويشـــرّعون خلافهـــا؛ لأنهـــم يعملـــون برأيهـــم لا بـــرأي اللّه، كأن يحللـــون حـــرام اللّه أو يحرّمـــون حلالـــه، فهـــؤلاء مـــن مصاديـــق أهـــل البـــدع، روي عـــن أميـــر المؤمنيـــن عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: « وأمـــا أهـــل الســـنة فالمتمســـكون بمـــا ســـنه اللّه لهـــم ورســـوله، وإن قلّـــوا، وأمـــا أهـــل البدعـــة فالمخالفـــون لأمـــر اللّه تعالـــى وكتابـــه ولرســـوله، والعاملـــون برأيهـــم وأهوائهـــم، وإن كثـــروا... »[٣٨٥]

ولقـــد نهتنا الشـــريعة عـــن صحبة أهـــل البدع لقولـــه عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ «لَا تَصْحَبُـــوا أَهْـــلَ الْبِـــدَعِ وَلَا تُجَالِسُـــوهُمْ » وســـبب ذلك يذكـــره الإمام الصادق عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بقولـــه: «فَتَصِيرُوا عِنْـــدَ النَّاسِ كَوَاحِـــدٍ مِنْهُمْ »، بمعنى أن صحبـــة وصداقـــة أمثال هؤلاء سيترتب عليه إساءة لسمعتكم، وســـيعدونكم من أهـــل البدع، روي عـــن الإمام الصـــادق عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ عن أبيه

قوله لـه: « يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يُتّهم.. »[٣٨٦]، فكما قيل (الطيور على أشكالها تقع).

ثم يستشهد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقول رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَ قَرِينِهِ » بمعنى أن الإنسان متبعٌ ومطيعٌ لنهج خليله -وهو الصديق الحميم-وقرينه- أي الذي صاحبه ولازمه- فإذا كان فاسقاً وفاجراً فسوف يقلّده في ذلك؛ لأن المحب لمن أحب مطيع، ولذا سيؤثر سلباً على الأفكار والأخلاق والسلوك، وعلى فرض عدم تقليدهم فيكفي لتركهم قول الذي لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى: «من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل القوم أشرك في عملهم »[٣٨٧] والنتيجة هي خسران الدنيا والآخرة لتضييع دينهم.

علماً أن النهي لا يقتصر على أهل البدع بل يشمل غيرهم، فلقد نهتنا العديد من الروايات عن صحبة الأحمق الكذّاب، وصاحب الغاية الدنيوية، والضال المضل، والفاجر، والبخيل والفاسق، والقاطع لرحمه والكافر، والشرير وصاحب اللهو، والجبان، وناشر المثالب، ومجهول الموارد والمصادر، والزاهد بأخيه، والنمّام والخائن والظلوم، ومتتبع العيوب، وكل واحدة من هذه العناوين ورد بحقها روايات عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولضيق الوقت لم نذكرها.

المبحث الثاني: أضرار صديق السوء

يجب على المربي أن يُقنع أولاده على ترك أصدقاء السوء بالحوار المقنع، منها أن يطلب منه أن يذكر أضرار صديق السوء، والأفضل أن يجعل الحوار على شكل مسابقة؛ لأنها سترسخ في أذهانهم أكثر من طرحها كمحاضرة، ونذكر من الأضرار ما يلي:

١. **انحراف السلوك بالتبعية**: رُوِيَ عَنْ الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لا يواد الأشرار إلا أشباههم ». (٣٨٨)

قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ». (٣٨٩)

فصحبة أصدقاء السوء تعلّم على تعاطي المخدرات، أو تناول الكحول، أو التبرج والسفور، أو سماع الأغاني، أو ترك الصلاة، أو عقوق الوالدين، أو اللعب بالقمار، أو الشذوذ، أو التخنيث، أو السرقة... إلخ

٢. **إساءة السمعة في الدنيا والندم والحسرة يوم القيامة**: قال تعالى: ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾(٣٩٠)

٣. **الغدر والخيانة**: روي عن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ:« إياك ومصاحبة الشرير؛ فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره ». (٣٩١)

٤. **نشر الأسرار**: روي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:« جمع خير الدنيا والآخرة في كتمان السرّ، ومصادقة الأخيار، وجمع الشرّ في الإذاعة ومؤاخاة الأشرار ». (٣٩٢)

٥. **الشماتة**: قال تعالى:﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٣٩٣)

٦. **الخذلان**: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «ما من امرئ خذل مسلماً في موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله اللّه في موضع يحب فيه نصرته». (٣٩٤)

٧. **الاستغلال**: قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «واحذرْ أنْ تؤاخي من أرادك لطمع أو خوفٍ أو ميلٍ أو مالٍ أو أكلٍ أو شربٍ واطلبْ مؤاخاةَ الأتقياءِ». (٣٩٥)

٨. **ذكر العيوب**: قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ومن نمّ إليك سينمّ عليك » (٣٩٦)

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إياك ومعاشرة متتبعي عيوب الناس؛ فإنه لم يسلم مصاحبهم منهم». (٣٩٧)

٩. **يكون مشمولاً بالغضب الإلهي**: قال لقمان لابنه: يا بني.... وأبعد من الأشرار والسفهاء فربما أصابهم اللّه بعذاب فيصيبك معهم وإن كنت صالحاً، وقد أفصح اللّه سبحانه وتعالى بقوله :﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٣٩٨)

رُبّ تساؤل يرد: لماذا لزم عليّ ترك صديق السوء رغم أنني لن أتأثر به؟

الجواب: هذا الادعاء غير صحيح، فلا تكن واثقاً من نفسك كثيراً بعدم تأثّرك بالصديق وبالأخص المقرّب، فإنك لو لم تتأثر بسلوكه المنحرف في الأيام الأولى فستجد نفسك نسخة منه ولو بعد حين، وهذا التأثير يذكره لنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بتشبيه جميل، حيث قال: « مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء مثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك، أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة » (٣٩٩)

وهُناك إثباتاتٌ وأدلّةٌ من النّاحية النّفسية والرّوحية والعقلائية، نذكر منها ما يلي:
١- من جملة الأمور الّتي توصل إليها علماء النّفس، هو وجود روح المُحاكاة (التقليد) في الإنسان، يعني إنّ الأفراد ينطلقون في حركة الحياة، من موقع الشّعور واللاّشعور، بمُحاكاة أصدقائهم وأقاربهم، فالأشخاص الّذين يعيشون حالة الفرح والسرور، ينشدون الفرحة والحُبور من حواليهم، والعكس صحيح.

علماً أن تأثير الصديق على صديقه ليس تأثيراً فجائياً ملموساً ليتعرف من خلاله بسهولة على موقع الخطأ والصواب، بل هو تأثير تدريجي يومي، قد لا يظهر في البداية ولكنه سيظهر بعد مدّة، مثال ذلك: لو كان لديك صندوق من الطماطم السليمة، ولكن جعلت فيها حبة طماطم واحدة فيها عفن، فأنت قد لا ترى في اليوم الأول أنها أثّرت على الطماطم الملاصقة لها، ولكن بعد مرور يومين أو ثلاثة سينتقل العفن إلى ما يجاورها... وكذلك الحال مع المريض بالإنفلونزا، فبعد مدة قصيرة ستنتقل العدوى لمن يصحب المريض.. وهذا الأمر ينطبق على انتقال عدوى السلوك والخلق المنحرف إلى الصديق المقرّب، ولذا كثيراً ما نسمع هذا القول من آبائنا وأجدادنا: (لا تربط الجرباء حول صحيحة، خوفاً على تلك الصحيحةِ تجربُ)

٢- إن مَشاهدة القبائح وتكرارها، يُقلّل من قبحها في نظر المشاهد، وبالتدريج تصبح أمراً عاديّاً، ونحن نعلم أنّ إحدى العوامل المؤثّرة في ترك الذنوب والقبائح، هو الإحساس بقبحها في الواقع النّفسي للإنسان، لذا فالشريعة لم تكتفِ بتحريم شرب الخمر-فقط-، بل حرّمت حتى الجلوس على مائدة فيها خمر، وعندما نأتي للواقع نجد أن التبرج، والسفور، والخيانة، والعلاقات غير الشرعية، كل هذه قبل عشرات السنوات كانت أمراً قبيحاً للغاية ولكن بسبب التكرار-ولو عن طريق الإعلام- والسكوت عنه صار بعض الناس لا يراه قبيحاً فقلد و هم .

٣- تأثير التّلقين في الإنسان غير قابل للإنكار، وأصدقاء السّوء يؤثرون دائماً على رفقائهم في دائرة الفكر والسّلوك من خلال عمليّة التلقين والإيحاء، فيقلبون عناصر الشرّ في إعتقادهم إلى عناصر الخير، كأن يقول صديق السوء (إن الشذوذ والتخنيث أو التبرج والسفور حرية شخصية) [٤٠٠] فالعاصي يحاول إيجاد تبريرات لمعصيته؛ كي لا يبدو قبيحاً عند صديقه، وعلى هذا سينخدع ويقتنع بالفكر المنحرف فيعصي الله.

٤- المُعاشرة لرفاق السّوء، يشدّد سوء الظن في الإنسان مع الجميع، وتفضي به هذه الحالة النّفسية السلبيّة إلى السّقوط في وادي الذّنوب والفساد الأخلاقي، فنقرأ في حديث عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مُجالَسَةُ الأشرارِ تُورثُ سُوءَ الظَّنِّ بالأخيارِ». (٤٠١)، كأن يقول لك: (لا تصدّق ما يقولَه فلان الذي يدّعي العلم والصلاح لأنه كاذب ..إلخ)

وجاء في حديث آخر عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « أنّ معاشرة رفاق السّوء تميت القلب، فقال: «أربَعٌ يُمتنَ القَلبَ... وَمُجالَسَةُ المَوتى، فَقيلَ لَهُ يا رَسُولَ اللّه وَمَا المَوتى؟، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :كُلُّ غَنِيٍّ مُسْرِف ». (٤٠٢) (٤٠٣)

٥- ترك أصدقاء السوء مهم لدفع التهمة عن نفسك: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً ». (٤٠٤)

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن » (٤٠٥)

٦- إن ثقتك بصديق السوء لن تدفع عنك الضرر المتأتي عنه، فقد يخونك ويغدر بك وأنت لا تعلم.

المبحث الثالث: كيف أميّز الصديق الصالح عن الطالح؟

يُجيب على هذا السؤال مولى المتقين وأمير المؤمنين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «الإخوان صنفان، إخوان الثقة وإخوان المكاشرة». (٤٠٦)

أي قسّمهم الإمام إلى قسمين:

الأول: إخوان المكاشرة، أي إخوان العلاقات الرسمية الذين

يعاملهم المعاملة الحسنة، كالمعارف والزملاء والأصحاب في الدراسة والعمل والجيران، لكن من دون توطيد لهذه العلاقة، باعتبارهم ليسوا من الأصدقاء الحميمين، الذين يفتح لهم قلبه، ويعرض عليهم مشاكله وأسراره.

وسماهم بالمكاشرة؛ لأنّ «كاشر» في اللغة العربية بمعنى ابتسم من دون صوت، مما يعني أنه لم يتفاعل في ابتسامته من داخله، وإنّما اقتصر على الابتسامة الخفيفة، ليُحافظ على لياقة العلاقة العامّة.

الثاني: إخوان الثقة، وهم الذين يتخذهم أصدقاء حميمين يفتح لهم قلبه، ويُوطّد علاقته بهم.[٤٠٧]، وإخوان الثقة هم من وجب عليّ أن اختار منهم الصديق الصالح

أيّها المربّي أخبر ولدك بجلسة هادئة بأن الصداقة المقبولة والمعترف بها إسلامياً هي الصداقة القائمة على أسس صحيحة، وعلاقات متكافئة، و هذه الصداقة لها حدودها ومواصفاتها، فالصديق الثقة السّند هو الذي وجب أن تتوفر فيه صفات رئيسية، من أبرزها ما يلي:

١. **أن يكون محباً**: قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وسمُّوا أصدقاءً لأنَّهم تصادَقوا حقوقَ المودّة».[٤٠٨]

٢. **أن يكون حافظاً**: عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ فِي نَكْبَتِهِ وَ غَيْبَتِهِ وَ وَفَاتِهِ ».[٤٠٩]، ومنها أن يكون حافظاً لأسرارك.

٣. **أن يكون مهتماً**: عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «من أهتمّ بك فهو صديقك».[٤١٠]

٤. **أن يكون صادقاً وناصحاً**: عن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إنَّما سمِيَ الصديق صديقاً لأنَّه يصدقك في نفسك و

معايبك؛ فمن فعل ذلك فاستنم إليه فإنه الصديق». [٤١١]

٥. أن يكون مؤمناً متقياً غير فاسق: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « الصديق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان، معيناً على البر والإحسان ». [٤١٢]

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « المعين على الطاعة خير الأصحاب». [٤١٣]

وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « من دعاك إلى الدار الباقية وأعانك على العمل لها، فهو الصديق الشفيق ». [٤١٤]

وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « أنظر إلى كل من لا يفيدك منفعة في دينك فلا تعتدن به، ولا ترغبن في صحبته، فإن كل ما سوى اللّه تبارك وتعالى مضمحل وخيم عاقبته ». [٤١٥]

المبحث الرابع: الاختبار قبل الاختيار

أسأل ولدك: هل يمكننا معرفة مستوى الطالب بدون امتحان واختبار؟ الجواب (كلا)... هل يمكننا معرفة ضغط دم الإنسان بدون اختبار بجهاز؟ الجواب: (كلا)

هل يمكننا معرفة وزن الطعام بدون اختبار بميزان؟ الجواب: (كلا)

ونحن عندما نريد أن نكتشف كون الصديق صالح أم طالح، فهل تعتقدون أننا سنعرف حقيقته بالظاهر أم بالاختبار؟

الجواب: حقيقتهم نكتشفها بالاختبار لا لمجرد التخمين بأنه صديق ثقة، لذا مشكلة الذين اصطدموا بالأصدقاء

هي أنهم تسرّعوا في منحهم الثقة قبل الاختبار، قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تثق بالصديق قبل الخبرة.[٤١٦]، وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: قدم الاختبار في اتخاذ الإخوان، فإن الاختبار معيار تفرقُ به بين الأخيار والأشرار.[٤١٧]

فالاختبار يكشف لنا حقيقته لأن الأصدقاء على طبقات، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إن الذين تراهم لك أصدقاء إذا بلوتهم وجدتهم على طبقات شتى: فمنهم كالأسد في عِظم الأكل وشدة الصولة، ومنهم كالذئب في المضرة، ومنهم كالكلب في البصبصة، ومنهم كالثعلب في الروغان والسرقة، صورهم مختلفة والحرفة واحدة، ما تصنع غداً إذا تركت فرداً وحيداً لا أهل لك ولا ولد، إلا اللّه رب العالمين؟!».[٤١٨]

السؤال المطروح هو: كيف أختبر الصديق؛ لأعرف أنه ثقة؟

إنَّ المؤمن الواعي، حينما يريد اتخاذ أخ الثقة، عليه أن يتعرّف على حقيقته من خلال العِشرة والمواقف والاختبار، وهناك مواقف ينبغي اختباره فيها يذكرها لنا أئمتنا الأطهار ونذكر منها ما يلي:

* **اختباره عند الغضب والمال والسفر**، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لا تُسمِّ الرجل صديقاً سمةً معروفةً حتى تختبره بثلاث:

١- تغضبه، فتنظر غضبه يخرجه من الحق إلى الباطل.

٢- وعند الدينار والدرهم.

٣- وحتى تسافر معه »[٤١٩]

فالحالة الأولى اختباره عند الغضب، كأن تتعمّد عمل مواقف معه لترى ردّة فعله، هل سيغضب ويسيئ إليك، ويتخلى عنك أم يصبر ويكظم غيظه ولا يتعدّى عليك، أو يفشي أسرارك ويغتابك، جاء في الحديث المروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغضبه ، فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلا... فلا » (٤٢٠)

وأما الحالة الثانية فهو الاختبار عند المال، فاختبره حينما يقترض منك مبلغاً هل سيرجعه أم سيماطل؟!، أو اختبره لما تقترض منه مالاً -حسب قدرته- هل سيقرضك أم يخذلك؟!، أو اختبر أمانته بأن تجعل شيئاً بقربه له قيمة مالية، ومثّل أنك لا تراه لتتأكد هل سوف يسرقها أم لا، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « فِي الضِّيقِ يَتَبَيَّنُ حُسْنُ مُوَاسَاةِ الرَّفِيقِ ». (٤٢١)

وأما (الحالة الثالثة فهي الاختبار عند السفر، فطرح مسألة السفر ليس له موضوعيّة، وإنّما المرادُ أن يتعرّف على طبيعته الحقيقية؛ لأنَّ الإنسان يستطيع أن يُحافظ على تطبُّعه، ويُخفي طبيعته في كثير من المواقع، لكن هذا الإنسان أحياناً في بعض الأمكنة تنكشف حقيقته أكثر، كأن يُسافر مع رفاقه سفراً متعباً يكون معهم فيه لأيامٍ عديدة، فإنّ من الصعب عليه أن يُخفي طبيعته[٤٢٢]، فمثلاً بعض النسوة المحجبات بحجاب شرعي حينما يسافرن للسياحة يتنازلن عن شيء من عفتهن، كأن يرتدين البنطال الضيق ويتبرجن، وهنا ينكشف إيمان الإنسان الحقيقي.

قال الإمام علي بن أبي طالب لابنه الحسن عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : « يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق ». (٤٢٣)

* **اختباره في وقت الضيق**، لتتأكد هل سيخذلك بالشدة أم يواسيك في محنتك، فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « في الشدة يختبر الصديق »[٤٢٤]

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لا يعرف الناس إلا بالاختبار، فاختبر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فاقتك، وذا التودد والملق عند عطلتك، لتعلم بذلك منزلتك عندهم ».[٤٢٥]

وهناك مواقف أخرى يمكنك اصطناعها لتكتشف خلوه من الصفات التي نهانا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن صحبة من يتخلّق بها.

المبحث الخامس: سبع أفكار في التعامل مع الصديق المتسلط

أيّها المربّي إذا كان ولدك يشتكي من تسلط بعض الأصدقاء، وتشعر أن ابنك لا يحسن التعامل مع الصديق المتسلط فهناك سبعة حلول عملية لتدريب وتعليم ابنك كيفية التعامل مع هذا الصديق، وهذه الحلول هي:

الفكرة الأولى: مَثّل مع ابنك دور الصديق المتسلط فكن أنت المتسلط وحاور ابنك أو ابنتك، ثم استمع لردودهم، وراقب تصرفاتهم معك، ستعرف إذا كان ابنك يحسن التعامل مع المتسلط، أو أنه ضعيف أمامه، فمثلاً أخبر ابنك بأنك ستدعوه للعب بالألعاب الإلكترونية، وهو يريد أن يكمل واجباته المدرسية، وابدأ الحوار معه وانظر كيف يرد عليك ويتعامل معك، فإذا شعرت بأنه ضعيف فعلّمه كيف يرد عليك ويتعامل معك، فإذا وجدته مازال ضعيفاً فدربه أن يكتب بعض الكلمات التي تجعل شخصيته مستقلة وقوية، فيحفظ هذه الكلمات ويرددها

في المواقف الحرجة مثل «هذا رأيك ولكنه لا يناسبني» أو «الوقت لا يناسبني الآن أن أخرج معك فعندي شيء مهم لابد من إنجازه» أو «لا أحب أن أعمل شيئاً يغضب ربي أو والدي» وهكذا.

الفكرة الثانية: أن تطلب من ابنك أن يكتب لك خمسة حلول ذكية في التخلص من الصديق المتسلط ثم ناقش معه هذه الحلول، وقدم له أمثلة تساعده مثل أن يكون حازماً أو قوياً معه، فإذا لم يتركه المتسلط فيعتذر منه ويذهب لمكان آخر فيبتعد عنه، أو أن يواجهه ويقول له لا تفرض رأيك وأفكارك عليّ.

الفكرة الثالثة: أن تشرح لابنك صفات الصديق المتسلط حتى يعرف ويميز بين الصديق المتسلط والمتعاون، فالأول يفرض رأيه بقوة ولا يسمح له بالتعبير عن رأيه ويلزمه بتنفيذ طلباته، أو أنه يقاطعه ويستهزئ به، وأحياناً يرفع صوته ويستخدم العنف من أجل الاستجابة لأوامره، أو يستخدم أصدقاء آخرين للضغط عليه، أما المتعاون فهو الذي يقول رأيه ويستمع للرأي الآخر ولا يهدد أو يغضب إذا لم تنفذ أوامره.

الفكرة الرابعة: علم ابنك استخدام معيار رضا اللّه على ما يفرضه الصديق المتسلط، فلو قال له جرب التدخين ولو نفخة واحدة، أو جرب أن تشاهد هذا الفيلم الإباحي، أو جرب تشرب شربة واحدة من الكحول، فيرد عليه بقوة «أنا أفعل ما يرضي ربي».

الفكرة الخامسة: وهي أن تعلم ابنك أن يقول كلمة «لا»، وخاصة عندما يفرض الصديق سيطرته عليه، حتى ولو كان خارجاً معه وطلب منه عمل شيئاً خاطئاً فلا تستجب له وإذا ضغط عليه فمن حقه أن يتركه.

الفكرة السادسة: علم ابنك أنه في حالة استمرار الصديق المتسلط في تسلطه وضغطه فعليه أن يكون من حقه مقاطعة صداقته والكلام معه ويكتفي بالسلام عليه.

الفكرة السابعة والأخيرة: أخبره في حالة لو أراد إنهاء صداقته فليكن ذلك بطريقتين: الأولى، مواجهته وإخباره بإنهاء الصداقة ويفضل أن يكون وحده عند الحديث معه، والثانية، البعد عنه وتجنب أماكن وجوده من غير إخباره.

وهناك معلومة في الصداقات مهمة جداً يجب أن تخبرها ابنك وهي أن كل علاقة بين اثنين عندما تقطع فإن أحدهما يشعر بالحزن، فإذا شعر ابنك بالحزن فأخبره بأن هذا أمر طبيعي، فما دمت أنك تركته للّه، فاللّه يعوضك خيراً منه.

هذه سبع أفكار وحلول عملية تساعد ابنك حتى لا يسيطر عليه الصديق المتسلط، وإذا شعرت بأن ابنك ما زال غير ناضجاً، ولا يستطيع التمييز بين الأصدقاء فساعده من خلال مصادقة أصدقائه للتعرف عليهم، وساعده في التحليل والتشخيص لشخصية أصدقائه.[٤٢٦]

وينبغي إذا تأكد الفرد من كون صديقه تنطبق عليه مواصفات صديق السوء أن لا يتأخر عن ترك صحبته، بل ليهرب منه كما يهرب أحدنا من النار وإلا سيهلك كما هلك الضفدع لأنه تأخر في القفز...حيث تذكر الدراسات بأن العلماء أجروا تجربة يمكنكم مشاهدتها؛ بأن تكتبوا في المتصفح الإلكتروني (تجربة الضفدع والماء المغلي) ومضمونها بأنك إذا أمسكت ضفدعاً ووضعته في وعاء من الماء وأشعلت النار تحت الوعاء ستلاحظ شيئاً مثيراً للاهتمام وهو أن الضفدع يتكيف مع درجة حرارة الماء ويبقى في الماء ومع زيادة درجة الحرارة الضفدع

يستمر في التكيف، ولكن عندما تصل المياه إلى نقطة الغليان حينها الضفدع لا يستطيع القفز من الوعاء، لا يمكنه ذلك، لأنه أصبح ضعيفاً جداً ومتعباً بسبب الجهود التي بذلها للتكيف مع درجة الحرارة، يقول بعضهم أن ما قتل الضفدع هو الماء المغلي... لكن في الواقع ما قتل الضفدع هو عدم مقدرته على تحديد متى يقفز، فهو لو قفز في البداية حينما شعر بارتفاع درجة الحرارة، ولم يجبر نفسه على التكيف لما انتهى به الحال للموت...

المبحث الخامس: نُدّرة الصديق الصالح!!

قد يسأل أحدكم قائلاً: لو تركت كل صديق فاسق، فلن أجد صديقاً؛ لأن الأغلبية صاروا منحرفين، فماذا افعل في حال عدم وجود صديق صالح؟

الجواب: إن كون الأغلبية فاسقين وعلى باطل، حقيقةٌ ذكرها تعالى قائلاً: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾[٤٢٧]، وبالأخص في هذا الزمان، روي عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال :يأتي على الناس زمان ليس فيه شيء أعز من أخ أنيس، أو كسب درهم من حلال.[٤٢٨]

ولكن رغم ذلك ننصح باتباع النقاط الآتية:

١. عدم اليأس والاستمرار في البحث عن الصديق الصالح، رُوي عن صادق آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قال في وصية له: «وَاطْلُبْ مُؤَاخَاةَ الأَتْقِيَاءِ وَلَوْ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَإِنَّ أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ فِي طَلَبِهِمْ فَإِنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُخْلِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَمَا أَنْعَمَ اللّه تَعَالَى عَلَى العَبْدِ بِمِثْلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ بصحبتهم»[٤٢٩]

احذروا أن يكون صديق الثقة أحد أصدقاء العَالَم الافتراضي في مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأنهم مجهولون فلذا وجب أن لا نثق بهم ولا نعطيهم أسرارنا، فلطالما سمعنا بحالات نصب وغدر وخيانة وقتل قد صدرت من هؤلاء الأصدقاء...

فالمرأة حتى لو قبلت صداقة امرأة أخرى فوجب التعامل معها كما يتعامَل أحدنا مع الزميل ولا نرفعها لرتبة صديق الثقة إلا في حالات نادرة كأن تعرفينها مسبقاً، أو تكون إحدى الشخصيات المؤمنة الموثوقة.

٢. مصادقة عقولنا المرهونة بمصادقة اللّه وأهل بيته المعصومين، حتى لو استلزم منّا الوحدة، روي عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء »[٤٣٠]، ونقصد بالعقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان[٤٣١]

فينبغي أن ننتبه لعقولنا، وأن نصادقها ونتكلم معها، فإذا صدر مني سلوك قبيح أبدأ بلوّم نفسي وأتكلم معها وكأن صديقي الصالح يتكلّم معي، رَوى الْحَسَنُ بْنُ الْجَهْمِ، قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: « صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ »[٤٣٢]. وهذه العقول يمكننا مصادقتها فَفيما لو كانت صداقتنا الرئيسية بالدرجة الأولى مع اللّه ومحمد وآل مُحَمَّد صلوات ربي عليهم أجمعين...فأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يقبلون صداقتنا فيما لو كنّا مطيعين متّقين، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن أصحابي أولوا النهى والتقى، فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من أصحابي »[٤٣٣]

فالصديق الثقة هو حبيبك وهو طبيبك وهو من يقضي حاجتك ومغيثك، لا يغتابك ولا يغدر بك ولا يشمت بك ولا يمّن عليك... إلخ

وهذه الصفات نادراً ما نجدها عند أحد.. ولكنها موجودة بأعلى درجاتها عند محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عند اللّه تعالى، ولذا نقرأ في دعاء الجوشن بأن اللّه هو الرفيق والصاحب والحبيب: (يا حَبيبَ مَنْ لا حَبيبَ لَهُ يا طَبيبَ مَنْ لا طَبيبَ لَهُ يا مُجيبَ مَنْ لا مُجيبَ لَهُ يا شَفيقَ مَنْ لا شَفيقَ لَهُ يا رَفيقَ مَنْ لا رَفيقَ لَهُ يا مُغيثَ مَن لا مُغيثَ لَهُ يا دَليلَ مَنْ لا دَليلَ لَهُ يا أنيس مَنْ لا أنيس لَهُ يا راحِمَ مَنْ لا راحِمَ لَهُ يا صاحِبَ مَنْ لا صاحِبَ لَهُ)، وأيضاً هذه الصفات نجدها عند حجج اللّه على البرايا المتخلّقين بأخلاق اللّه وعلى رأسهم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ... أتذكّر يوماً من الأيام آذتني جارتي كثيراً، وكنت أتمنى أن أجد صديقة حكيمة متقية لأستشيرها عمّا أفعل فلم أجد، فتذكّرت أن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أصدقائي المخلصون، ففتحت كتاب أخلاقي عن حُسن الجوار، فقرأت رواياتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فوجدت الجواب عند الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: « ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى »[٤٣٤]

وهكذا الحال فيما لو كنتَ حزينة، أنظر لصورة الإمام وأكلمه، وعندما أحتاج أن يكلمني الإمام أكتب في المتصفح الإلكتروني -الحزن في روايات أهل البيت- وسنجد عناوين منها عنوان -ما يطرد الحزن- فلما أقرأها أشعر بالراحة.

٣. مصاحبة العلماء والحكماء والمستشارين المؤمنين الثقات. روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك »[٤٣٥]

روي في وصية لقمان لابنه: « يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنَّ اللّه عزّ وجلّ يُحيي القلوب بنور الحكمة، كما يُحيي الأرض بوابل السَّماء »[٤٣٦]

قد يقول أحدكم: ولكن العلماء يصعب عليّ مصادقتهم، رغم أني افتخر بهذه الصداقة؛ لأني أحتاج إلى نصائحهم واستشارتهم!!

نقول يمكنكم ذلك عن طريق زيارتهم، وحضور مجالسهم، والاستماع إلى محاضراتهم ولو عن طريق الإنترنت، فهناك علماء وخطباء كلامهم يدخل القلب مباشرة، فمثلاً عندما تبتلى بابتلاء كبير وتتمنى أن يكون لك صديقاً مقرباً كأن يكون عالماً ليواسيك، فما عليك إلا أن تكتب في باحث اليوتيوب -الابتلاء عند علماء الشيعة- وستجد ما يشفي غليلك.

٤. البحث عن بديل بترقية العلاقة الزوجية أو الأمومة والأبوة أو الأخوة أو القرابة إلى مرتبة الصداقة. ولقد ذكرنا في الجزء الأول من كتاب (زاد المبلّغات)، ص١٦٣ محاضرة بعنوان (كيف نصادق أولادنا) ننصح بقراءتها.

فالصديق الثقة المقرّب علاقته أقرب من غيره أي أقرب من علاقة الولد بأبيه وأمه وأخيه وأخته وأقاربه، روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: « الصَّدِيقُ أَقْرَبُ الْأَقَارِبِ ».[٤٣٧]

ولذا إذا أرادت الأم أن يكون تأثيرها على ولدها أقوى من تأثير أصدقائه عليه فوجب عليها أن تكون صديقته المقرّبة، وإذا رأيتم علاقة قوية ما بين الأخوة والأخوات فاعلموا أنهم ارتقوا من رتبة الأخوة إلى رتبة الصداقة لدرجة صار كل منهما يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وكأنهما بجسد واحد، ومثل هذا الوصف لم نجد الشريعة منحته للعلاقات البشرية إلا للصديق الثقة المقرّب، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ « الْأَصْدِقَاءُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فِي جُسُومٍ مُتَفَرِّقَةٍ ».[٤٣٨] وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « الصَّدِيقُ إِنْسَانٌ هُوَ أَنْتَ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُكَ ».[٤٣٩]

هـــذه العلاقـــة الأخويـــة التـــي بلغـــت درجـــة الصديـــق المقـــرب تذكّرنـــي بصاحبـــة الذكـــرى الســـيدة معصومـــة بنـــت الإمـــام الكاظم عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ التـــي لحقـــت بأخيهـــا الإمـــام الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ حينمـــا حملـــه المأمـــون إلـــى خراســـان قســـراً بحجـــة تســـليمه ولايـــة العهـــد التـــي كانـــت فـــي حقيقـــة الأمـــر مؤامـــرة علـــى الإمـــام الرضـــا وأهـــل البيـــت عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ ...

هـــذه العلاقـــة القويـــة مـــا بيـــن الســـيدة معصومـــة وأخيهـــا الإمـــام الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ مـــن أســـبابها أنهـــا عاشـــت تحـــت ظـــل رعاية أخيهـــا الإمـــام الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بســـبب وجـــود أبيهـــا فـــي ســـجون هـــارون اللارشـــيد، لذلـــك تعلّقـــت وارتبطـــت روحهـــا بأخيهـــا الإمـــام علـــي الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ... فقـــد شـــابهت عمتهـــا الســـيدة زينـــب الحـــوراء عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ بعـــدة نـــواح منهـــا: اشـــتراكهما فـــي النســـب العلـــوي والفاطمـــي، وكونهمـــا أختيـــن لإمامين معصوميـــن، وشـــدة ارتباطهما بأخويهمـــا، فكمـــا ارتبطـــت روح الســـيدة زينـــب عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ بأخيهـــا الإمام الحســـين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، كذلـــك ارتبطـــت روح الســـيدة معصومـــة بأخيهـــا الإمـــام الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وكمـــا خرجـــت الســـيدة زينـــب مـــع أخيهـــا الإمـــام الحســـين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لكربلاء، كذلـــك خرجـــت الســـيد معصومة إلى خراســـان فـــي طلـــب أخيهـــا الإمـــام علـــي الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ (فـــي ســـنة ٢٠١ه فلمـــا وصلـــت إلـــى (ســـاوة) مرضـــت مرضـــا شـــديدا فســـألت عـــن المســـافة بيـــن المـــكان الـــذي هـــي فيـــه وبلـــدة (قـــم) التـــي تضـــم الكثيـــر مـــن وجـــوه الشـــيعة فقيـــل لهـــا المســـافة عشـــرة فراســـخ فقالـــت: إحملونـــي إلـــى قـــم فحملـــت ولمـــا أشـــرفت علـــى قـــم إذ مـــر بضعينتهـــا راكـــب فســـأل لمـــن هـــذه الضعينـــة فقيـــل لـــه: هـــي لفاطمـــة بنـــت الإمـــام موســـى بـــن جعفـــر وهـــي وافـــدة مـــن الحجـــاز لغـــرض اللقـــاء بأخيهـــا أبـــي محمـــد الرضـــا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ فأقبـــل ذلـــك الرجـــل إلـــى مجلـــس موســـى بـــن خـــزرج الأشـــعري وهـــو مـــن وجـــوه الشـــيعة فـــي قـــم آنـــذاك وكان مجلســـه حاشـــدا بالنـــاس فقـــال الرجـــل وهـــو بـــاك يـــا موســـى لقـــد حـــل الشـــرف فـــي بلدكـــم ونزلـــت الخيـــرات والبـــركات بســـاحتكم فقـــال: موســـى

لا زلت مبشرا بخير ما الذي جرى؟ قال: ضعينة أخت الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ دخلت قُم فلما سمع موسى بكى فرحا وقام لاستقبالها مع أصحابه فلما وافى الضعينة تناول يد القائد لناقتها فقبلها وقال: لي إليك حاجة قال وما هي قال أن تشرفني بإعطائي زمام الناقة حتى أكون أنا القائد لناقة هذه الشريفة العفيفة لدى دخولها قم وهكذا سلم إليه زمام الناقة فقادها موسى بيده حتى أنزل السيدة فاطمة في بيته.

وبقيت عَلَيْهَا السَّلَامُ في بيت موسى سبعة عشر يوما معززة مكرمة ثم توفيت سلام اللّه عليها وحزن الناس عليها أشد الحزن وأمر موسى بتغسيلها وتكفينها فتولت النساء ذلك ثم صلى عليها موسى في حشد كبير من شيعة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قم. قال بعضهم واختلف أهل قم فيمن ينزلها في قبرها فبينما هم كذلك وإذا بفارس ملثم أقبل إلى الجنازة فتولى إنزالها في القبر ثم أهال التراب عليها وعاد من حيث أتى ولا أحد يدري من هو[٤٤٠].

(نصاري)

صار الهم عليها من البچه ويد وبعض من الوسف ظل يصفج الإيد

شريفه او گاصده الخيها امن ابعيد او برض ثم گرّبت منها المنيه

نعم لقد ماتت السيدة فاطمة المعصومة غريبة ولكن شاء اللّه أن يكون لها قبر شامخ يقصده آلاف الناس كل يوم ولكن جدتها فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي ماتت بين أهلها وأصحاب أبيها وليس لها قبر ظاهر!!! يقصده الزائرون.

ولايِّ الأمـــــورِ تُدفـــــن ســـــرا بضعةُ المصطفـــى ويُعفى ثراها

بنـــتُ مَـــن أمُّ مَـــن حليلـــةُ مَـــن ويلٌ لمـــن ســـنَّ ظلمَهـــا وآذاها

(أبوذية)

عگب عزهـــا عليهـــا الدهـــر ينصاب فجعها او خله دمع العين ينصاب

اهي بتمـــن او منها الضلـــع ينصاب او حماهـــا امگيد ابحبـــل الوصيه

★★★

ماتـــت ولم يشـــهدوا ليـــلا جنازتَها ســـوى علـــيٍّ وعمـــارٍ وســـلمانِ

وفـــي الصحيـــح رووا أنَّ النبـــي بها قد قال فاطمةُ روحي وجثماني[٤٤١]

١٣ ربيع الثاني

شهادة السيدة الزهراء عليها السلام

(على رواية)

عظم الله اجورکم

الشرفاوي

المناسبة

شهادة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ (على رواية)

القصيدة: للشيخ محمد حسين النجفي الكمباني

جوهـــرةُ القدسِ مـــن الكنـــزِ الخفي ... بـــاءت فابـــدت عاليـــاتِ الأحـــرفِ
وقـــد تجلَّـــى مـــن ســـماءِ العظمهْ ... فـــي عالمِ الأســـماءِ أســـما كلمهْ
فإنهـــا الحـــوراءُ فـــي النـــزولِ ... وفـــي الصعـــودِ محـــورُ العقـــولِ
صدِّيقـــةٌ لا مثلُهـــا صديقـــهْ ... تُفـــرغُ بالصـــدقِ عـــن الحقيقـــهْ
هـــي البتـــولُ الطهـــرُ والعـــذراءُ ... كريمـــةُ الطهـــرِ ولا سَـــواءُ
فإنهـــا ســـيدةُ النســـاءِ ... ومريـــمُ الكبـــرى بـــلا خَفـــاءِ
لهفـــي لهـــا لقـــد أُضيـــعَ قدرُهـــا ... حتـــى تـــوارى بالحجـــابِ بدرُهـــا
تجرَّعـــت مـــن غُصـــصِ الزمـــانِ ... مـــا جـــاوز الحـــدَّ مـــن البيـــانِ
ومـــا أصابهـــا مـــن المصـــابِ ... مفتـــاحُ بابِـــه حديـــثُ البـــابِ
إنَّ حديـــثَ البـــابِ ذو شـــجونِ ... ممـــا جنـــت بـــه يـــدُ الخـــؤونِ
أيهجـــمُ العـــدى علـــى بـــابِ الهدى ... ومهبـــطِ الوحـــي ومنتـــدى النَدى
أتُضـــرمُ النـــارُ بـــباب دارِهـــا ... وآيـــةُ النـــورِ علـــى منارهـــا
وإنَّ كســـرَ الضلـــعِ ليـــس يَنجبـــرْ ... إلا بصُمصـــامٍ عزيـــزٍ مقتَـــدرْ
إذ رَضَّ تلـــك الأضلـــعَ الزكّيـــةْ ... رزيـــةٌ لا مثلُهـــا رزيَّـــةْ
ومـــن نبـــوعِ الـــدمِ مـــن ثديَيهـــا ... يُعـــرفُ عُظـــمُ مـــا جـــرى عليها
وجـــاوز الحـــدَّ بلطـــمِ الخـــدِّ ... شُـــلَّت يـــدُ الطغيـــانِ والتعـــدي
فاحمـــرّتِ العيـــنُ وعيـــنُ المعرفـــهْ ... تَـــذرفُ بالدمعِ على تلـــك الصفهْ
والأثـــرُ الباقـــي كمثـــلِ الدُملُـــجِ ... في عضُـــدِ الزهراءِ أقـــوى الحججِ
والبـــابُ والجـــدارُ والدمـــاءُ ... شـــهودُ صـــدقٍ ما لـــه خفـــاءُ[٤٤٢]

(فائزي)

كسر الضلع ما ينجبر يا ناس كسره منه الگلوب اتفور والنارِ كبره
فوگ الأعتاب إشأسگطت ويلي الزهره او ظلت تنخّي يا علي دلحگ عليه
اومن شاف أم الحسن مطروحه بالإعتاب ظل ينحب اعليها اودمع العين سچاب
بنتك يطاها اسگطت محسن وره الباب هذا جزاء المصطفى خير البريه
ويلاه يوم الشاهدوها حسن وحسين شنهو الجره للوالده او تهمل العينين[٤٤٣]

المحاضرة التاسعة

احْذَرْنَ هَوَس التجميل!!

قال الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

« **زكاة الجمال العفاف** ».[٤٤٤]

مباحث الرواية العلوية

المبحث الأول: تفسير الرواية الشريفة

قبل أن نشرح الرواية الشريفة لابد من الوقوف على معنى الزكاة والعفاف.

المفردة الأولى: (الزكاة) ومعناها اللغوي هو النمو والزيادة، يقال: زكا الزرع: إذا نما وزاد، وزكت النفقة: إذا بورك فيها، وقد تطلق بمعنى الطهارة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٤٤٥] أي طهرها عن الأدناس، ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[٤٤٦]، جاء في لسان العرب: (وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة وفي حديث الباقر أنه قال: (زكاة الأرض يُبسها، يريد طهارتها من النجاسة كالبول وأشباهه بأن يجف ويذهب أثره)[٤٤٧]). [٤٤٨]

المفردة الثانية: (العفاف والعفة)، وهي منع النفس عن الأمور المحرّمة، أو التي لا ينبغي القيام بها .

ويعرّف الشهيد المطهري (رحمه اللّه) العفاف فيقول : إنّ العفة حالة نفسانية تعني السيطرة على القوة الشهوانية بواسطة العقل والإيمان، أو عدم التأثر بالقوة الشهوانية.

ويطلق لفظ العفيف على الشخص الذي يقاوم الميول النفسانية، ومنها الميول الجنسية، ويحفظ نفسه من الانسياق وراءها)[٤٤٩]

ومتعلقات العفة عديدة منها الصبر عن الشهوة، روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الصبر عن الشهوة عفّة »[٤٥٠]، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٤٥١]، أي الصبر عن الشهوة التي تثير الغريزة الجنسية، والصبر عن شهوة إظهار المرأة لمفاتنها، ومحاسنها، وجمالها المثير للرجال الأجانب بالالتزام بالحجاب الشرعي، بل الشريعة حثّت حتى العجوز التي جمالها الظاهري في زوال أن تبقى متشددة بالحجاب: انتبهوا إلى ذيل هذه الآية الكريمة: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤٥٢]

والعفيفة هي التي تراعي كل أحكام العفة وبالأخص أمام الرجال الأجانب كغض النظر، وتجنب الملامسة والمفاكهة والاختلاط المحرم، والمحادثة خوفاً من الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئاً فشيئاً.

علماً أن المصداق الأشمل للعفة هو الورع عن كل محارم اللّه، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنّ أفضلَ العفّة الورع في دين اللّه والعمل بطاعته»[٤٥٣]

الآن لنقف على معنى الحديث الشريف (زكاة الجمال العفاف)

إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبرنا بأن (زكاة الجمال العفاف)، بمعنى أن على المرأة أن تزكّي جمالها بأن تكون عفيفة بالالتزام بأحكام العفة.

قد يسأل أحدكم: لكن الذي نعرفه أن الزكاة تجب على الأموال، فهل التزكية تشمل غير الأموال؟ ولماذا؟

الجواب: الزكاة غير محصورة بالأموال، يقول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لكل شيء زكاة»[٤٥٤]

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المعروف زكاة النعم، والشفاعة زكاة الجاه، والعلل زكاة الأبدان، والعفو زكاة الظفر، وما أديت زكاته فهو مأمون السلب» [٤٥٥]

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عز وجل، بل على كل شعرة، بل على كل لحظة!. فزكاة العين النظر بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن»[٤٥٦]

وأما لماذا الزكاة؟ فيمكن أن نعرف فلسفة الزكاة في التشريع الإسلامي من خلال المعنى الذي تم طرحه، بأن الزكاة سبباً في الزيادة والنمو والبركة، وسبباً في التطهير، وأيضاً في الحماية من السلب، وهذا الأمر مثلما ينطبق على الأموال فهو ينطبق على غيره كالجمال، للتوضيح لنقف على النقاط الآتية:

١. إن(إيتاء زكاة المال يُطهّر نفس الإنسان من الأنانية والبخل والحرص، لشعور الإنسان بأن المال الذي يحصل عليه ملك له وحده، وتحت سيطرته وتصرفه هو فقط، وإعطاءه للزكاة تشذيب وتعديل لهذه المشاعر والأحاسيس، لذلك يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[٤٥٧]. [٤٥٨]

وهذا الأمر ينطبق على زكاة الجمال، فالمرأة التي تشعر بأنها جميلة قد يأخذها الغرور والعجب والزهو، وعلى هذا ستكون أمة لشهواتها كشهوة إظهار المفاتن لا أَمَةً لله تعالى، ولقد حذرتنا الشريعة من الشهوة، قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: الشهوات سموم قاتلات.[٤٥٩]، والنتيجة أنها ستقع بالمعاصي بمخالفة أحكام العفة، فلذلك إن التزامها بالعفاف هو تطهير

لها بإخراج حب الشهوة من قلبها لكون قلب الإنسان حَرَم اللّه فلا يحق لنا أن نسكن حرم اللّه غير اللّه.[٤٦٠]

وأيضاً أن العفاف يُعد كفارة لذنوبها، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لكل عضو من ابن آدم حظ من الزنا، فالعين زناه النظر، واللسان زناه الكلام، والأذنان زناهما السمع، واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه »[٤٦١]

٢. إن إيتاء الزكاة سبب في النمو والزيادة، وهذا ما كنّا نسمعه في زكاة الأموال لِمَا لها من دور في تنمية المال والثروة كما ورد عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا أردت أن يثري اللّه مالك فزّكه»[٤٦٢]. وقول الإمام محمد الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الزكاة تزيد في الرزق»[٤٦٣].[٤٦٤]

وهذا الأمر ينطبق على من لم تزكِ جمالها بالعفاف فسوف تفقد جمالها لكون المرأة التي تلتزم بأحكام العفاف كالتزامها بالحجاب الظاهري الشرعي الخالي من التبرج والتزيّن، والمكياج، وترك تركيب الأظافر، والصبغ، وتركيب الرموش، وترك نفخ الشفاه، وارتداء الثياب الفضفاضة غير المجسمة، والتزامها بالحجاب الباطني السلوكي الخالي من الميوعة والنظرات المحرمة والملامسة، والمفاكهة، والمحادثة مع الرجال الأجانب... إلخ فهذا العفاف سوف يزيد على جمالها الظاهري الجمال الباطني -وهو الأصل-.

٣. إنّ إيتاء الزكاة للأمن من السلب، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « وما أديت زكاته فهو مأمون السلب »[٤٦٥]

فعندما نأتي إلى الأموال فالشريعة تخبرنا بأنها تُحفظ بالزكاة وتضيع بترك الزكاة، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ما ضاع مال في برٍ ولا بحرٍ إلا بتضييع الزكاة، فحصنوا

أموالكم بالزكاة »[٤٦٦]

وهذا الأمر ينطبق على من لم تزك جمالها بالعفاف فسوف تفقد جمالها لكون الجمال الحقيقي مرهون بالجمال الباطني والذي من أبرز مصاديقه العفاف.

فكثيراً ما نرى نساءً يملكن جمالاً ظاهرياً من وجه حسن، وقوام جميل، ولكن لكونهن غير عفيفات، وبتعبير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « نسوة كاشفات عاريات، متبرجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدا»[٤٦٧] فتلك النسوة لا يتشرف الرجل الغيور العاقل بالتواصل معها ولا يفكر في الزواج منها؛ لأنه لا يراها جميلة رغم حسن مظهرها؛ لأنها غير عفيفة.

ولذا نجد حالات عديدة لرجال انخدعوا بجمال المرأة الظاهري المتبرجة المتزينة ولكن بعد أن عاشر -الرجل منهم- زوجته واكتشف سوء خلقها، وعدم ورعها، ندم؛ لأنه تسرع ولم يعمل بوصايا محمد وآل محمد في اختيار ذات الدين التي هي صاحبة الجمال الحقيقي. روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « من تزوج امرأة لا يتزوجها إلا لجمالها لم ير فيها ما يحب ».[٤٦٨]

بمعنى أن أغلب الرجال ينخدعون بالجمال الظاهري اعتقاداً منهم أنها -أيضاً- جميلة في الباطن بسلوكها وأخلاقها، ولكن هناك فرق شاسع ما بين الجمال الظاهري والباطني والذي سنوضحه في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: أقسام الجمال في الإسلام

إن أغلب الناس يعتقدون أن الجمال يتجسد بالجمال الظاهري الحسي فقط، في حين أن الجمال على قسمين: جمال ظاهري، وجمال باطني، وللتوضيح لنقف على هذين القسمين:

١. الجمال الظاهر: وهو الجمال المرتبط بعالم الأبدان، وهذا النوع هو أكثر ما يركز عليه الناس، فهو الجمال الحسي، المتعلق بالبدن والثوب والرائحة، قال الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حُسْنُ الصُّورَةِ جَمَالٌ ظَاهِرٌ». (٤٦٩)

إن هذا الجمال الظاهري الحسي -الذي تدركه الحواس- إما أن يكون طبيعياً بالخلقة التي جعلها الله تعالى للإنسان، وأما أن يكون الجمال مصطنعاً، أعني ما يدخله الإنسان على شكله الجميل من مُحسّنات تزيده جمالاً وذلك باستخدام أدوات تختلف من عصر إلى آخر، ومن بنية إلى أخرى، لكنها تهدف في النهاية إلى زيادة التجميل، وهذا النوع من الجمال لم ترفضه الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٤٧٠)

والأحاديث والروايات التي تتناول تفاصيل مظاهر الأناقة والزينة والجمال عديدة منها ما يتعلق بالثوب واللباس: يُروى أن الإمام الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه، فقيل له: «يا ابن رسول الله، لِمَ تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي». (٤٧١)

ومما يزيد الجمال الظاهري تعديل الشعر، والتعطّر، وتقليم الأظافر، والتختم، والصبغ بالحناء والتكحل وتدهين الرأس، وهناك نصوص عديدة تحث على التنظيف والغسل،

منهـــا مـــا روي عـــن رســـول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «اغســـلوا ثيابكـــم، وخـــذوا مـــن شـــعوركم، واســـتاكوا وتزينـــوا، وتنظفـــوا ». (٤٧٢)

والشـــريعة الإســـلامية لمّـــا حثتنـــا علـــى التجمّـــل الظاهـــري جعلـــت لـــه شـــروطاً وقيـــوداً وهـــو أن لا يـــؤدي التجمّـــل إلـــى إثـــارة الغريـــزة الجنســـية، والشـــهوة، والوقـــوع فـــي الفتنـــة والحـــرام، وبمـــا أن المـــرأة تمثّـــل عنصـــر الجـــذب والإغـــراء (٤٧٣) لـــذا حـــرّم الإســـلام علـــى المـــرأة أن تكشـــف -أمـــام الرجـــال الأجانـــب- شـــعرها أو أن ترتـــدي الثيـــاب الضيقـــة غيـــر الســـاترة، وحـــرّم عليهـــا أن تتبـــرج وتتزيـــن بالمكيـــاج، أو تركّـــب الرمـــوش والأظافـــر، أو تنفـــخ الشـــفاه، أو ترتـــدي الأكســـســـوارات وغيرهـــا.

(فالمتعـــة الجنســـيّة يلـــزم حصرهـــا فـــي محيـــط المنـــزل وبالزوجـــة الشـــرعيّة، وأنْ يُتـــرك المحيـــط الاجتماعـــيّ محيـــط عمـــل وإنتـــاج، ومـــن هنـــا لا يُســـمح للمـــرأة حيـــن خروجهـــا مـــن الـــدار أنْ تُهيّـــئ موجبـــات الإثارة الجنســـيّة للرجـــال، كما لا يُســـمح للرجـــل أنْ يتصيّـــد بنظراتـــه النســـاء. إنّ هـــذا اللـــون مـــن الحجاب لا يُعطّـــل طاقـــات المـــرأة كمـــا أنّـــه يـــؤدّي إلـــى تدعيـــم قُدراتهـــا علـــى العمـــل الاجتماعـــيّ أيضـــاً)(٤٧٤)

٢. الجمـال الباطـن: رغـــم اهتمـــام الإســـلام بجمـــال الجســـد والثياب، إلاّ أنّـــه دعـــا إلـــى إعطـــاء الأولويّـــة لجمـــال الداخـــل والباطـــن، معتبـــراً أنّ التقـــوى هـــي أجمـــل لباس.قـــال تعالـــى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٤٧٥)

والجمـــال الباطـــن هـــو الجمـــال المتمثـــل بالتقـــوى، والطاعـــة، والعقـــل، والمعرفـــة، والفكـــر، ومـــا يصـــدر منهـــا مـــن أفعـــال، كأقـــوال وأعمـــال وســـلوك وأخـــلاق وآداب، ولقـــد وردت نصـــوص عديـــدة تثبـــت ذلـــك، نذكـــر منهـــا مـــا يلـــي:

قال الإمام علي :عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ « لا جمال أحسن من العقل »[٤٧٦]

قال الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « جمال العبد الطاعة »[٤٧٧]

قال الإمام علي :عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ « جمال المؤمن ورعه »[٤٧٨]

قال الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « جمال العبد الطاعة »[٤٧٩]

قال الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «جمال الرجل حلمه »[٤٨٠]

قال الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «جمال العيش القناعة »[٤٨١]

إن جمال الباطن هو الجمال الحقيقي، ولا يقاس به جمال الوجه، ولون البشرة، ونعومة الشعر وما شابه ذلك؛ وذلك لأمور:

أولاً: أنه جمال ثابت: فما يعطى للعبد من الجمال الروحي والنور، للأعمال الصالحة كإقامته لصلاة الليل، يبقى معه في الدنيا، وعند الاحتضار، وفي البرزخ، وفي القيامة.. روي أنه سُئل الإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجها؟.. فقال: لأنهم خلوا بربهم فكساهم اللّه من نوره ».[٤٨٢] [٤٨٣]

بينما الجمال الظاهر على فرض أنه جمال حقيقي غير مزيف... فهو زائل ويبدأ بالذبول شيئاً فشيئاً فتظهر التجاعيد وتضعف عظام الجسم، والبصر، وكل الأجهزة وينحني الظهر... وأما إذا كان الجمال مزيّف ومصنّع بجعل تصليحات وتعديلات بالمكياج والزينة والتبرج فهو زائل بزوالها... ولكن آثارها الوخيمة سترافقه في الآخرة، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: «دخلت أنا وفاطمة على رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول اللّه ما الذي أبكاك؟

فقال: يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من نساء أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.... وقال أيضاً: ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، إلى أن تقول الرواية: فقالت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع اللّه عليهن هذا العذاب؟

فقال: يا بنيتي أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنها للناس». (٤٨٤)

ويفترض بالعاقلة أن تفكر، وتتعظ بمن سبقنها من النسوة اللاتي قد فُقن عليها في الجمال، والمال، والجاه، والسلطان... ولكن أين مصير ذلك الجمال، وصدق الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال:

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تُضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

ثانياً: أنه جمال لا يُمّل منه: بخلاف الجمال الظاهري الذي مع مرور الأيام والتكرار، يصبح مملولاً منه، فكل نعيم دون الجنة مملول منه. (٤٨٣)

ثالثاً: أنه جمال كسبي: إن الجمال الظاهري، جمال يُرسم في عالم الأجنة والأرحام، فمن وُلدَ قبيحاً لا يصبح فيما بعد جميلاً... ولكن الجمال المعنوي، أعمق وأدوم، واختياري، وهو الصفة الجاذبة.. فقد يكون الإنسان من أقبح الناس روحاً، ولكنه في ليلة من الليالي، يصبح من أجمل الناس روحاً.. وأقرب مثال على ذلك: هو الحر بن يزيد، الذي كسب النعيم والخلود الأبدي، بما اكتسبه من جمال روحي في تلك اللحظات.

إن الإنسان من الممكن في لحظات أن ينزع منه رب العالمين بشرته الروحية القاتمة القبيحة، ويستبدلها ببشرة من أجمل أنواع الجمال البشري الروحي، المرتبط بالجمال الإلهي. (٤٨٣)

السؤال المطروح هو: ماذا يترتب على عدم تزكية الجمال بالعفاف؟

يترتب عليه آثار وخيمة عديدة، ذكرنا بعضها في فلسفة الزكاة، وسنقف أيضاً على أثر آخر انتشر بين النسوة في الآونة الأخيرة وهو (هوس التجميل)

المبحث الثالث: هوس التجميل

هوس التجميل ظاهرة تفشت في مختلف المجتمعات، أدت إلى إقبال كبير على التزيّن وتعمّد إظهار المرأة لمفاتنها ومحاسنها أمام الرجال الأجانب، بارتداء الثياب الضيقة المثيرة وتركيب الأظافر، والرموش، ونفخ الشفاه، والخدّين، وغيرها.

وقبل عشرات السنوات كانت (عمليات التجميل تقتصر على علاج التشوهات الخلقية أو التشوهات الناتجة عن الحوادث، ولكن في السنوات الأخيرة تعدَّى ذلك إلى إجراء عمليات جراحية؛ لإبراز مفاتن المرأة كتكبير الصدر والمؤخرة، وشفط الدهون، ونحت الخصر، وأصبح الجمال في كثير من الأحيان موضة، وأصبحنا نسمع كثيراً عن موضة الشفاه الممتلئة، والعيون المرفوعة، والذقن المنحوتة، والأنف المرفوع وغيرها، ولأنَّ الأمر موضة فهو قابل للتغير والتبديل؛ أي أصبح تغيير الشكل أمراً ضرورياً لمواكبة الموضة، كما انتشرت أيضاً ظاهرة تقليد الفنانين والفنانات، وتغيير ملامح الشخص ليصبح نسخة عن أحد الفنانين المحبوبين لديه) (٤٨٥)

لقد رصد تقرير دولي عدد عمليات التجميل التي أُجريت في جميع أنحاء العالم، إذ بلغ نحو ١١,٣٦ مليون وست وثلاثون ألف عملية خلال عام ٢٠١٩، وارتفعت إلى ٣٠ مليون عملية جراحية وغير جراحية في ٢٠٢١ وهذا الرقم في تزايد مستمر.

وصارت المرأة تدفع آلاف الدولارات؛ من أجل أن تكون جميلة ويشار إليها بالبنان، وتتمنى أن تبقى شابة، ولا تشيخ ولكن مهما صرفت على وجهها وجسدها فسُنّة الحياة بأن هذا الجسد فيه مراحل ويفنى... نعم إن الإنسان يتمنى أن لا يفنى ولا يشيخ؛ لأنه مفطور على حب الخلود، ولكن لا تنسوا أن الخلود هو للروح وليس للجسد؛ لأنه ذاهب لا محالة للتراب وسوف يتفسخ ويصير تراباً، ولذا من باب أولى أن نهتم بالخالد وليس الفاني.

رُبّ تساؤل يَرِد: متى يصبح التجميل هوساً؟

الجواب: إنَّ معظم الناس يحبون الحصول على مظهر مثالي وشكل جميل، ولكنَّ بعضهم لا يعطي ذلك أهمية كبيرة، ولا يضعه ضمن أولوياته، في حين أن بعض النساء (لا يرغبن في مغادرة منازلهن دون مكياج، ودون تركيب أدوات الزينة بسبب عدم تقبُّلها لشكلها، أو عدم الرضى عن أجزاء محددة من جسمها، وتُظهِر الأبحاث المختصة بعلم النفس أنَّ لوضع النساء لأدوات التجمِيل سببين رئيسين:

١. التمويه: تميل النساء اللواتي يشعرن بالقلق، وعدم الثقة في مظهرهن إلى استخدام المكياج وأدوات الزينة ليبدين أكثر جمالاً وأكثر لفتاً للنظر.

٢. الإغراء: تميل النساء اللواتي يرغبن في أن يكن أكثر جاذبية على نحو ملحوظ إلى استخدام المكياج والتزيّن ليكنَّ أكثر ثقةً واجتماعيةً وحضوراً.

هذا النوع من النساء يعتقدن أنَّهن إذا أظهرن وجههن الطبيعي دون مكياج فلن يتمكنَّ من تحقيق أيٍّ من هذين الأمرين، وسيُعامَلْن معاملة مختلفة [٤٨٦] إلى أن يتحول هذا السلوك عند بعضهن إلى ما يشبه الإدمان، وتصبح الحاجة إلى التجميل وإجراء عمليات التجميل حاجة دائمةً؛ فهن يشعرن طوال الوقت بأنَّ أشكالهن تحتاج إلى تعديل وتحسين، وبدلاً من أن توصلهن العمليات إلى حالة من الرضى وتقبُّل للشكل يزداد توترهن وقلقهن، ويطمحن دائماً للوصول إلى المثالية الموجودة فقط في خيالهن، وهنا يمكننا القول إنَّهن وصلن إلى حالة من هوس التجميل.

إذاً يبدأ هذا الإدمان بسبب فقدان الشعور بالثقة والمنظور غير الصحيح عن مفهوم الجمال، ويرتبط هوس إجراء عمليات التجميل حسب علم النفس باضطراب تشوُّه الجسد، وهو اضطراب يُسبب إحساساً داخلياً للشخص بأنَّه قبيح وغير جميل، فيصبح عاجزاً عن رؤية أي شيء إلا عيوبه، حتى إنَّه في بعض الأحيان يتخيَّل عيوباً لا وجود لها، وهذا ما يدفعه لإجراء عمليات التجميل، لإصلاح وترميم ما يراه من عيوب.

والمشكلة الكبرى أنَّ العمليات لا تحل المشكلة، بل تزيد الوضع سوءاً؛ وذلك لأنَّه كلما أجرى عملية رغب في المزيد. [٤٨٧]

بالإضافة إلى (الشعور بالألم المُصاحب لعمليّات الحقن، أو الذي يتبع الجراحة والذي قد يستمر لعدة أسابيع، وقد تأتي النتائج محبطة ومخيّبة للتوقعات ولا تلبي تصور المريض، بالإضافة لظهور بعض الندبات أو عدم اختفاء آثار الجراحة تماماً، كما قد يتفاقم الأمر فتُسبّب الجراحة بعض التشوهات المؤقتة أو الدائمة.

وبعض العمليّات التجميلية مثل حقن البوتوكس والفيلر وغيرها، تحتاج لتكرارها مرة أخرى على مدة للحصول على النتائج المرجوة، وأشارت الدراسات الحديثة أن بعض الأشخاص قد عانوا من نوبات من الاكتئاب والغضب بعد إجرائهم عمليات التجميل، الأمر الذي يحتاج لاستشارة نفسية) [٤٨٨]

المبحث الرابع: أحكام الجمال المُصَنّع

إن هوس التجميل لا يقتصر على هوس إجراء العمليات الجراحية، بل هو يشمل كل ما يتعلق بالتجميل كهوس المكياج والتزيّن وغيرها... وقد يعتقد بعضهم بأن كل امرأة تحب وتحرص على التجمّل فهي مصابه بهوس التجميل!!

كلا، فهناك تجمّل مصنّع ممدوح لا يُعد مرضاً حثت عليه الشريعة كتجمّل الزوجة لزوجها، روي عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال عن حقّ الزوج على المرأة: «.. وعليها أن تطيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشيّة.. » [٤٨٩]

وفي قِبال ذلك هناك تجمّل مُصنّع مذموم حرّمته الشريعة فيما لو كشفته المرأة أمام الرجال الأجانب، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ..﴾ [٤٩٠]

ومصاديق الجمال المُصنّع عديدة، وهي كالآتي:

١. الأكسسوارات كالقلادة، والخلاخل، والخزامة التي توضع في الأنف، أو الثياب المزيّنة، أو غطاء الرأس المزيّن، أو الحقيبة، أو الحذاء وغيرها، ومن الزينة المكياج سواءً أكان خفيفاً أو كثيفاً.

الحكم الشرعي: لا إشكال في استخدامها بحد ذاتها، ولكن يحرم الظهور بها أمام الرجال الأجانب؛ لأنها تعدّ من الزينة عرفاً.

٢. هناك بعض العمليات غير الجراحية التي يتم فيها استخدام مواد في الوجه تعطيه شكلاً مزيناً كنفخ الشفه أو تلوينها، أو تركيب الرموش الاصطناعية، أو وضع العدسات اللاصقة، أو عمل الوشم (التاتو) على الحاجبين، أو وضع الحنّاء على اليدين، أو صبغ وتركيب الأظافر.

وهذه تحتاج إلى تفصيل سنجيب عليها وفق فتاوى سماحة السيد السيستاني دام ظله، وهي كالآتي:

○ **حكم نفخ الشفاه أو تلوينها:** ورد إلى مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظله) السؤال الآتي: ما حكم توريد الشفه ونفخها؟

الجواب: إذا عُدّت زينة يجب إخفاؤها عن الرجل الأجنبي.[٤٩١]

والعرف الحالي يحكم بأنها زينة.

○ **حكم ارتداء العدسات:** تارة ارتداء العدسات لا يعدّ زينة كما لو كانت عدسات طبية تستعمل لتحسين النظر بدلاً من النظّارات، ولكن إذا عدّت زينة لها لم يجز، كما لو كانت تغيّر لون العين لتبدو أجمل فتلفت النظر.[٤٩٢]

○ **حكم الوشم (التاتو) على الحاجبين:** اذكر إليكم السؤال الوارد إلى مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظله)، وهو كالآتي:

هل يجوز الوشم للنساء إذا كان للزينة وهل يضر بالوضوء؟

الجواب: يجوز ذلك في حدّ نفسه، ولكن لا يجوز إظهاره أمام الأجانب إذا كان من الزينة، وإذا كان الطلاء فوق الجلد وكان حاجباً يمنع من وصول الماء للبشرة في الوضوء فيجب إزالته عند الوضوء، وإن كان يتعذّر ذلك ففي جواز الطلاء به إشكال.[٤٩٣]

مع الأسف نجد بعض النساء لا تسأل عن الحكم إلا بعد أن تعمل الوشم، وتطلب منها الواشمة أن لا تغسل حاجبيها بالماء لبضعة أيام، فتتذكر أن عليها صلاة ويستلزم منها الوضوء، وتطلب حلاً... والجواب الذي يذكره الفقهاء بأنه إذا كان الطلاء فوق الجلد وكان حاجباً يمنع من وصول الماء للبشرة في الوضوء فيجب إزالته عند الوضوء، وإذا تعذّر إزالته ففي جواز الطلاء به إشكال، أي الأحوط وجوباً ترك الوشم- كما ذكرنا- ، فالصلاة لها الأولوية في كل شيء، فهدفنا من الحياة هو عبادة اللّه عز وجل ، لا عبادة الهوى والشهوات.

لذا الأفضل لمن تريد عمل الوشم أن تستثمر أيام حيضها؛ لأنه لا صلاة عليها، ولكن لا تنسوا إذا فعلت ذلك فلا يجوز لها إظهاره أمام الرجال الأجانب، بل يمكنها أن تحجبهما بإنزال حجاب الرأس عليهما أو ترتدي البوشيّة.

وعلى فرض أنها وشمت وتريد أن تتطهر لتصلي، فإذا أرادت غسل الرأس أو الوجه وكان الماء يضر بالجرح المكشوف الناتج من الوشم فالحكم هو ترك غَسل الجرح ولكن تغسل ما حول الجرح ، وإذا اتّفق أن الجرح المكشوف يتضرّر بغسل ما حوله فإنّه يتعيّن التيمّم في مثل ذلك. [٣٩٤]

○ **حكم تركيب الرموش الاصطناعية**، وإليكم السؤال التطبيقي الآتي:

السؤال: بعض النساء يضعن رموش تركيب بين الرموش الطبيعية بشكل حبات متفرقة على رموش العين وتكون مركبة على العينين لمدة أسبوع تقريباً. ما حكم وضع الرموش من حيث الوضوء والصلاة؟

الجواب وفق رأي سماحة السيد السيستاني(دام ظله): نعم يضر ذلك بالغسل والوضوء، فلا يجوز ذلك على الأحوط، ما لم يكن هناك عذر شرعي كدفع حرج شديد مثلاً، ولو عدت زينة وجب سترها على الأحوط [٣٩٥]

وأيضاً يضر بالغسل والوضوء حتى لو ركبت الرموش على رموش العين، ومعلوم أن تركيب الرموش لمجرد زيادة الجمال لا يُعد عذراً شرعياً، لذا لا يجوز لها تركيبها إلا إذا أخفتها عن الرجال الأجانب وأزالتها عند الوضوء.

○ **حكم تركيب الأظافر أو صبغها**، وإليكم بعض الأسئلة التطبيقية وفق رأي سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

السؤال (١): ما حكم لصق الأظافر الصناعية لتطويل الأظافر الطبيعية من ناحية الوضوء؟

الجواب: لا يصح الوضوء معها؛ لأنها تمنع من وصول الماء إلى موضع اللصق.[٤٩٦]

السؤال (٢): هل يمنع صبغ الأظافر من وصول الماء إلى البشرة في الوضوء والغسل؟

الجواب: نعم يمنع وتجب إزالته .[٤٩٧]

رُبّ تساؤل يرد: ما هي الآثار المترتبة على صبغ أو تركيب الأظافر، أو تركيب الرموش؟

الجواب: إن وضع الصبغ أو تركيب الأظافر الصناعية على أظافر اليد، أو تركيب شعرة على جفن العين ولو بمقدار رأس الإبرة سيترتب عليه آثار وخيمة عديدة نذكر منها ما يلي:

أولاً: إذا تم إظهارها للرجال الأجانب تكون قد ارتكبت معصية؛ لأن إذا سألنا العرف سيعدّها من الزينة.

ثانياً: إذا حجبت -ولو بمقدار رأس الإبرة- عن من وجب عليها غسله، ثم أحدثت-بالحدث الأصغر أو الأكبر- ومن ثم تطهرت فالوضوء والغسل باطل، ومعلوم أن الصبغ

والأظافر والرموش تعد مواد حاجبة، ويترتب على ذلك ما يلي:

١. بطلان الصلاة، ويستلزم إعادة التطهير بعد إزالة الحاجب وقضاء الصلاة، ومعلوم أن التاركة للصلاة، أو من صلّت بدون وضوء -لكون الوضوء باطل- فسوف تعاقب، روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنّ رجلاً.. وضع في قبره، فقالوا له: تضرب مائة سوط من عذاب اللّه قال: لا طاقة لي بها، فخففوا ذلك وخفضوا عدد السياط إلى أن بلغوا سوطاً واحداً، قالوا لا مفرّ منه ولا مهرب من ذلك، فقال: بأيّ سبب أضرب؟ قالوا: لأنك صلّيت يوماً بلا وضوء ومررت بضعيف وما أعنته، ثم ضربوه سوطاً من سياط عذاب اللّه، فامتلأ قبره بالنار». (٤٩٨)

٢. حرمة لمس آيات القرآن الكريم؛ لأن﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾(٤٩٩)

٣. حرمة دخول المساجد وأضرحة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيما إذا كانت قبل ذلك محدثة بالحدث الأكبر كالحيض والجنابة والنفاس، واغتسلت رغم وجود الحاجب، فغسلها باطل.

٤. بطلان الحج والعمرة؛ بسبب عدم تحصيل الطهارة المشروطة في الطواف وركعتي الطواف.

○ **أحكام عمليات التجميل:** إن الحكم الأولي لإجراء عمليات التجميل هو الجواز، ولكن لو ترتّب على إجرائها الوقوع في الحرام فَتَحْرُم بالعنوان الثانوي، كما لو كان الطبيب الذي يجري العملية رجلاً أجنبياً إذا كان مستلزماً للّمس أو النظر المحرمين.

ولكن يستثنى من حرمة إجراء الطبيب الأجنبي العملية للمرأة بعض الحالات، منها حالات الضرورة، ومع الأسف بعض النساء لما تقرأ فتاوى التجميل والاستثناءات تَعِد

إجراء عملية تجميلية لها ضرورةً لابد منها؛ لأنها تريد أن تكون أجمل، في حين أنه ليس من موارد الضرورة، بل من موارده فيما لو كانت مشوهة بعوق ولادي، أو أصيبت بحادث عرضها لحالات الحروق، أو الكسور، أو حالات الاصطدام بالسيارات، وتسعى لدفع الألم الشديد او محاولة رفع التشوه.

والاستثناء الآخر هو الوقوع في الحرج الشديد الذي لا يُتحمّل عادة، مثال ذلك: زوجة سمينة لم تتمكن من إنزال وزنها بالطرق الأخرى، وترتب على زيادة وزنها إعراض زوجها عنها وهجرها في الفراش، وصارت الزوجة كالمعلّقة فإذا وقعت بشدة وضيق لا تتحملها، وكان الطبيب الرجل أرفق بعلاجها من المرأة جاز له النظر أو اللمس بالمقدار الذي يتوقف عليه معالجتها.

وإليكم بعض الأسئلة التطبيقية المتعلقة بالمقام:

السؤال (١): ما رأي سماحتكم في إجراء عملية شفط الدهون الزائدة لأنثى على يد جراح رجل؟

الجواب: إذا كان السمن موجباً للوقوع في المرض الشديد، أو الحرج الشديد الذي لا يتحمل عادة، جاز للمرأة أن تراجعه، أما لو كان لمجرد الأناقة والجمال، أو لم تكن في حرج شديد فلا يجوز لها أن تراجع الرجل لإجراء العملية بل تراجع الدكتورة الجرّاحة.[٥٠٠]

السؤال (٢): لقد أجاز سماحة السيد عملية تجميل الأنف مع عدم اللمس و النظر المحرمين، هل يعني أنه لا يمكن للطبيب الرجل إجراؤها، إلا المرأة مع العلم أنه لا يوجد إلا القليل من الطبيبات في هذا المجال وإن وجد فلا يمكن أن يكون الجميع نساء في صالة العمليات فهناك طبيب التخدير والممرض فهل يجوز في هذه الحالة إجراء العملية مع

العلم أن العملية في الأنف و الطبيب يرتدي القفازات فهل تتفضلون بتوضيح المسألة؟

الجواب: إذا توقف إجراء العملية علي ممارسة الطبيب الرجل ولم ينفك عن لمس أو نظر محرم، لم تجز العملية إلا إذا كان هناك ضرورة إلي العملية لدفع تشويه مثلاً.[٥٠١]

المبحث الخامس: علاج هوس التجميل

باختصار ننصح باتباع النقاط الآتية:

١. من ناحية نفسية يقول المتخصصون في علم النفس بأن المرأة التي لديها هوس التجميل يفترض عليها (بدلاً من التوجُّه إلى طبيب التجميل لإجراء عملية، لابدَّ من التوجُّه إلى عيادة الطب النفسي، والخضوع للعلاج المعرفي السلوكي المناسب.

ولكن مع الأسف أغلب أطباء التجميل لا يصارحون المرضى بمرضهم؛ لأن ذلك يتعارض مع مصلحتهم. ويُعتمَد في هذا النوع من العلاج على الكلام مع المريض من خلال جلسات معالجة نفسية عدة، تساعد على تعديل سلوك الفرد وطريقة تفكيره وتصرفاته، كما تساعد على معرفة الأسباب الكامنة وراء هذا الإدمان؛ وهذا يسهِّل العلاج ويجعله أكثر فاعلية، كما أنَّ هذه الجلسات تساعد المريض على مواجهة مشاعر القلق والتوتر، التي تصيبه بسبب شكله إذا ما تعرَّض لموقف ما) [٥٠٢]

٢. من ناحية عقلانية عليها أن تبحث وتقرأ عن الآثار الوخيمة المترتبة على هوس التجميل، وأن تفكر بكرامتها، بأنها ليست أمة وجارية للرجال الأجانب تسعى لتلبية رغبتهم في النظر إلى مفاتنها؛ من أجل أن تستجدي منهم نظرة، أو كلمة غزل.

٣. من ناحية إيمانية عليها أن تكون أكثر ثقة بنفسها من خلال الثقة باللّه، وأن تثقف نفسها بالثقافة الإسلامية لا الجاهلية التي أمرنا اللّه بتركها قائلاً:﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[٥٠٣]. ولتعلم أن اللّه الخالق يخبرنا بأن قيمة المرأة ليست بإظهار أنوثتها أمام الرجال الأجانب، بل قيمتها بتقواها وورعها، قال تعالى﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٥٠٤] فاللّه لم يقل (أن أكرمكم عند اللّه أجملكم)، فلذا وجب على المرأة أن تربي نفسها تربية إيمانية فهو الحل الأمثل.

٤. أن تقتدي بالنسوة الصالحات العفيفات، وعلى رأسهن سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي صدرت منها مواقف عديدة تدل على عظم عفتها رغم قصر عمرها الشريف، ونستلهم منها دروساً نفتخر بها.

ومن أصعب هذه الموقف هو حادثة الهجوم على دار الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من قبل الأول والثاني واتباعهم الظالمين، فرغم أنهم علموا أن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في الدار لكنهم تعمدوا الهجوم بلا استئذان فما كان منها إلا أن لاذت وراء الباب رعاية للستر والحجاب، مع إننا لا نقول أنها كانت من دون خمار-حجاب- بل السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لم ترضَ أن يرى أحد وجهها وخيالها رغم أنها تعلم أنه سيترتب على الاستتار خلف الباب كسر ضلعها وإسقاط جنينها وضربها، ولكنها تحمّلت كي لا يرى الظالمون وجهها الشريف.

حيث تذكر كتب الحديث والسيرة والتاريخ بأن (عمر أمر بجعل الحطب حوالي البيت وانطلق هو بنار وأخذ يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها. فنادت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بأعلى صوتها: « يا أبت يا رسول اللّه! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ». فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وبقي عمر ومعه قوم، ودعا بالنار وأضرمها في الباب، فأخذت النار في خشب الباب، ودخل الدخان البيت، فدخل قنفذ يده يروم فتح الباب .. فأخذت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بعضادتي الباب تمنعهم من فتحه، وقالت: « ناشدتكم اللّه وبأبي رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن تكفوا عنا وتنصرفوا ».

فأخذ عمر السوط من قنفذ وضرب به عضدها، فالتوى السوط على يديها حتى صار كالدملج الأسود. فضرب عمر الباب برجله فكسره، وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، فركل الباب برجله وعصرها بين الباب والحائط عصرة شديدة قاسية حتى كادت روحها أن تخرج من شدة العصرة، ونبت المسمار في صدرها ونبع الدم من صدرها وثدييها، فسقطت لوجهها - والنار تسعر -، فصرخت صرخة جعلت أعلى المدينة أسفلها، وصاحت: « يا أبتاه! يا رسول اللّه! هكذا يصنع بحبيبتك وابنتك.. آه يا فضة! إليك فخذيني فقد واللّه قتل ما في أحشائي »، ثم استندت إلى الجدار وهي تمخض، وكانت حاملة بالمحسن لستة أشهر فأسقطته، فدخل عمر وصفق على خدها صفقة من ظاهر الخمار، فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض.[٥٠٥]

وصدق الشاعر[٥٠٦] حينما قال:

قـــال سليـــمٌ قلتُ يا سلمـــانُ ... هل دخلـــــوا ولم يكُ استئـــــذانُ

فَقَـــــالَ إِي وعِـــــزَةِ الجبـــــارِ ... وما علـــى الزهـــراءِ من خمـــــارِ

لـــــكنها لاذتْ وراءَ البـــــابِ ... رعايـــةً للســـترِ والحجـــــابِ

فمُذ رَأَوهـــا عصروها عصـــــره ... كادت بنفســـي أن تموتَ حســـــره

نـــادت أيا فضـــةُ أسندينـــــي ... فقد وربي أسقَطُـــــوا جَنِـــينِي

ســـاعد اللّه قلـــب العقيلـــة حينمـــا رأت أمهـــا بهـــذا المنظـــر، وكأن لســـان حالهـــا عَلَيْهَا السَّلَامُ

اللّه وياج يامن كون اموت اويـــــاج ... يمه وراح اضل كل عمري مختـــنكه

وشتدرين زينب لو حده الجـــــناز ... الحزن يلجم اجروحي ويبكه يستنكه

ارفعي اجفوف اديج ادعيلي اترجـــاج ... تكبر دمعتي شما تثكل الفـــركه

بس غمضتي عينج بده الحيل ايموت ... بيـــــــه وروحـــــــي احس

جرحج بيش اهوده من يجن اليل ... اهوده ابيش جرحج لو نزف ملكه

مريني بحلم كل لحضه الج ... خبر فكدج ابد يلزهره ما اصدكه

طبع بلتفكد امها اتعيش بس اهموم ... تتنفس دمع وبروح محتركه

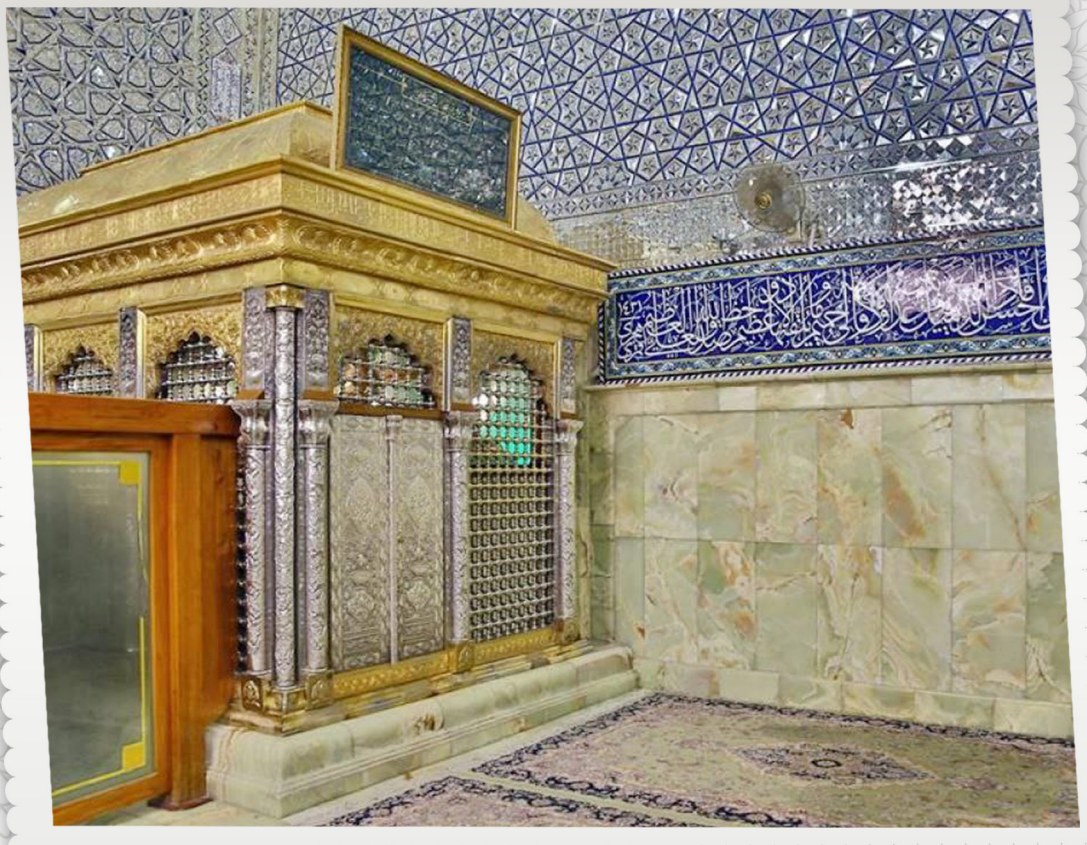

١٤ ربيع الثاني

ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة

عظم الله اجوركم

الشرفاوي

المناسبة

ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة

قصيدة للشاعر أبو رضا السماوي

يـــظل صـــوت التحدي وصوت الاحرار وتـــــظل خفّاگه بسم حسين رايات
ويـــظل كـــل حـــر غـــيور ابعزم واصرار يـــصيح الـــثار ثـــار حـــســـين ما مات

****

إخذ عبره ومثل من ثار الطفوف خذه المخـــتار ثاره ونال الـــمراد
كتب تاريخ نور امطرز الحروف تخـــيّل مهرومـــسرَّج بـــالامـــجـــاد
لـــعد جرح الهواشم من غده ايروف لا يـــم كل جرح ملچوم ما هاد
الفرح وسط الفواطم أصبح ايطوف شـــمس البســـمه ضوّت على السجاد
انهدم عرش الطغاة وصرح الاشرار صدع صوت الحقيقة الخورس أصوات

حي اللّه اليـــســـيـــر ابسچة الثار يـــحوي اثـــمـــــارمن درب الكرامات
ويظل كل حـــر غيور ابعـــزم واصرار يصيـــح الثار ثار حســـين مـــا مات

بصوت الـــــعقل چان الحگ يناديه تـــحزّم بالـــــعزيمة وهب على اعداه
بظام الدرب چان الـــــنورحـــاديـــه ولعد اصل النـــجـــاة الـــراي ودّاه
مثل طبع الِـــــسدر أوله وتـــاليه طاهر والصدق يسري اويه مســـــراه
تدرّع بالشـــهادة اَبوجه اعاديـــــه ومالـه بدم رگبته البـــطـــــل زكّـــاه

****

عشگ بيـــت النبـــوة عشگ ما صار لا بيـــه طمـــع لا دوّر ملـــذات
ركب مركب يعرفه ايولّـــد اخار عگد نيته اويه ربـــه وانكر الذات
ويظل كل حر غيور ابعزم واصرار يصيح الثار ثار حســـين مـــا مات[٥٠٨]

المحاضرة العاشرة

الخيانة الزوجية في المنظور الإسلامي

قال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

«إِيَّاكَ وَ الْخِيَانَةَ فَإِنَّهَا شَرُّ مَعْصِيَةٍ، وَإِنَّ الْخَائِنَ لَمُعَذَّبٌ بِالنَّارِ عَلَى خِيَانَتِهِ» (٩٠٥)

الخيانة هذه الكلمة التي نشعر بثقلها على القلب وألمها بمجرَّد سماعها، وينتابنا شعور بالخوف منها؛ وذلك لأنَّها إحدى المواقف الأشد إيلاماً للإنسان، التي لا يتمنى أحد منا أن يتعرَّض إليها، فما هي الخيانة؟ وما هي أنواعها؟ وحدودها وآثارها؟، هذا ما سوف نتطرق إليه في هذه المحاضرة.

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: مفهوم الخيانة وأنواعها

الخيانة بمعناها العام هي نقض ما أبرم من الحق في عهد أو أمانة.(٥١٠)

فالخائن هو شخص أناني وانتهازي ويتصرَّف وفق مصلحته، دون أيَّة مراعاة لأحكام اللّه تعالى ولا لمشاعر الآخر أو التردد قبل إيذائه نفسياً.

للخيانة أنواع وأشكال عدة، مثل خيانة الصداقة، وخيانة العمل، وخيانة الأهل، وخيانة الوطن، والخيانة العاطفية.. وهناك الخيانة الزوجية التي للأسف باتت في الآونة الأخيرة أكثر أنواع الخيانة انتشاراً؛ وهي من أخطر أنواع الخيانة؛ وذلك لأنَّها تُهدِّد الأسرة وتُفكِّكها ويكون الأبناء هم ضحاياها. (٥١١)

ونريد في هذه المحاضرة أن نقف على الخيانة في إطار العلاقة الزوجية، هذه العلاقة التي اعتبرها الدستور الإلهي ميثاقاً غليظاً قال تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[٥١٢] (إن كلمة (الميثاق الغليظ) لم ترد في القرآن إلا في عقد الزواج، مما يوحي بالأهمية الكبرى التي يوليها اللّه سبحانه للعلاقة الزوجية بما لا يوليه لأية علاقة أخرى؛ لأن أية علاقة إنسانية في الموارد الأخرى، تختص بجانب من جوانب الحياة الخاصة للطرفين، بينما تمثل علاقة الزواج اندماجاً روحياً وجسمياً في كل المدى الزمني الذي تلتصق حياتهما فيه ببعضها)[٥١٣]

وما دامت العلاقة الزوجية على هذه الدرجة من الأهمية والخطورة، فينبغي أن يُلحظ في تأسيسها توفر أكبر قدر ممكن من مقومات الاندماج والانسجام، وأن لا تشوبها عوامل تسبب التنافر والتناقض ومن أبرزها الخيانة الزوجية.

فالشريعة الإسلامية حرّمت الخيانة الزوجية وأمرت بأن يحفظ أحدهما للآخر، قال تعالى:﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾[٥١٤]

فهنا وصف اللّه تعالى﴿ فالصَّالِحَاتُ ﴾-أي غير المنحرفات- بعدة أوصاف يفسرها لنا المفسرون ومنهم صاحب كتاب الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل بأن الصالحات ﴿ قَانِتَاتٌ﴾ أي الخاضعات تجاه الوظائف العائلية ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾اللاتي يحفظن حقوق الأزواج وشؤونهم لا في حضورهم فحسب، بل يحفظنهم في غيبتهم، يعني أنهن لا يرتكبن أية خيانة سواءً في مجال المال، أو في المجال الجنسي، أو في مجال حفظ مكانة الزوج وشأنه الاجتماعي، وأسرار العائلة في غيبته، ويقمن بمسؤولياتهن تجاه الحقوق التي فرضها اللّه عليهن والتي عبر عنها في الآية بقوله: بما حفظ اللّه خير قيام، ومن الطبيعي أن يكون الرجال مكلفين باحترام أمثال هذه النسوة، وحفظ حقوقهن، وعدم إضاعتها.[٥١٥]

وحينما نستقرئ النصوص الروائية نجدها أيضاً تؤكد بأن من أبرز صفات المؤمنة الصالحة أنها تحفظ زوجها في غيابه، -أي لا تخونه-. ونذكر منها الروايات الآتية:

❁ قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « ما استفاد امرءٌ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله ». (٥١٦)

❁ قال رسول اللّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : قال اللّه عزوجل: « إذا أردت أن أجمع للمسلم خير الدنيا والآخرة جعلت له قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وجسداً على البلاء صابراً وزوجة مؤمنة تسره إذا نظر إليها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها و ماله». (٥١٧)

❁ وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة، إذا رآها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله ». (٥١٨)

المبحث الثاني: مفهوم الخيانة الزوجية وفق المنظور الإسلامي

لو سألنا الناس عن مفهوم الخيانة الزوجية، سنجد أن أغلبهم يذهب بأن خيانة الزوج لزوجته هي العلاقة المنعقدة بين الزوج وامرأة أخرى غير زوجته المُعْلن عنها، بغض النظر عن كون العلاقة شرعية أو غير شرعية، بمعنى لو علمت الزوجة بأن زوجها قد زنى أو تزوج سراً نسبت إليه الخيانة وقالت (زوجي خانني)، بل بعضهن تعده خائناً حتى لو أراد أن يتزوج من أخرى علناً، بينما خيانة المرأة لزوجها هي العلاقة المنعقدة بين الزوجة ورجل غير زوجها.

هذا هو المعنى الشائع الذي فهمه أغلب الناس وبالأخص في هذا الزمن حيث صاروا يرون المعروف منكراً والمنكر معروفاً بعد أن غسلت أدمغتهم وسائل الإعلام من خلال المسلسلات والأفلام والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

والمفهوم الذي ذكرناه عن الخيانة الزوجية جزء كبير منه غير صحيح يتعارض مع أحكام اللّه تعالى، فنحن كمسلمين يجب أن تكون ثقافتنا إسلامية، بأن تكون كل مفاهيمنا ومبادئنا وقيمنا وأحكامنا وفق المنظور الإسلامي لا الجاهلي.

فلذا وجب استبدال الثقافة الجاهلية بالثقافة الإسلامية، بعرض أفكارنا وأحكامنا على الإسلام، فما وافقه فهو الحق الذي وجب علينا الأخذ به، وما خالفه فهو الباطل الذي وجب علينا تركه، فقد روي عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « الحُكم حُكمان، حُكم اللّه وحُكم الجاهلية، فمن أخطأ حُكم اللّه حَكَمَ بحُكم الجاهلية »[٥١٩].

السؤال المطروح: ما هو مفهوم الخيانة الزوجية في المنظور الإسلامي؟

الجواب: إن الخيانة الزوجية في المنظور الإسلامي يمكن تقسيمها إلى قسمين وهما:

أولاً: خيانة الزوجة لزوجها

فتارة يراد من الخيانة الزوجية المعنى الأعم وتشمل مصادرة الزوجة لحق من حقوق زوجها المفروضة عليها، فمثلاً الزوجة تُعدّ خائنة فيما لو لم تمكّن نفسها لزوجها في الفراش، أو خرجت بدون إذنه، أو صرفت من أمواله بدون إذنه، أو لم تحافظ على عفتها وشرفها، أو أفشت أسرار زوجها، أو انتقصت منه بدون عذر شرعي.

فعمل الإنسان هو أمانة، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً للأشعث بن قيس: « وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنّه في عنقك أمانة ».[٥٢٠]

بمعنى أن عملك ليس ملكاً خاصاً لك تتصرف به كما تريد ، وإنما هو أمانة يلزمك الحفاظ عليها، فلذا عملنا الذي نتجاوز به على حقوق الآخرين يُعد خيانة، ويترتب عليها عقاب دنيوي وأخروي، نذكر منها ما يلي:

قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أيّما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار إلاّ أن تتوب وترجع».[٥٢١]، والمقصود أن تهجره بدون عذر شرعي.

عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إن امرأة أتت رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لبعض الحاجة فقال لها: لعلك من المسوفات قالت: وما المسوفات يا رسول اللّه قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوفه حتى ينعس زوجها فينام فتلك التي لا تزال الملائكة يلعنها حتى يستيقظ زوجها ».[٥٢٢]

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « نهى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .... أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء وكل شيئ تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها، ونهى أن تتزين المرأة لغير زوجها، فإن فعلت كان حقاً على اللّه عز وجل أن يحرقه بالنار »[٥٢٣]

فالزوجة العاصية المتجاوزة لحقوق زوجها تُعد خائنة، ولكن في الأغلب تطلق الخيانة الزوجية ويراد منها المعنى الأخص المتمثل بعقد علاقة غير شرعية مع

غير الزوج، فلقد عبّر اللّه عنها بأنها خائنة، كما يشير إلى ذلك ذيل هاتين الآيتين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[٥٢٤]

ثانياً: خيانة الزوج لزوجته

إن خيانة الزوج لزوجته بالمعنى الأعم تصدق على الزوج المقصّر في أداء حقوق زوجته، كالمقصّر في أداء النفقة الواجبة لزوجته، أو إذا هجرها ولم يصلها، أو إذا لم يعاشرها بالمعروف، أو إذا استولى على أموالها كالمهر وغيره، أو إذا انتقص من قيمتها أمام الناس وأخرج أسرارها.

ويترتب على خيانة الزوج لزوجته بسبب التجاوز على حقوقها عقاب دنيوي وأخروي، ونذكر منها الروايات الآتية:

روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ملعون ملعون من ألقى كله على الناس-ولو كانت زوجته-، ملعون ملعون من ضيع من يعول»[٥٢٥]

روي أن امرأة معاذ قالت: «يا رسول اللّه ما حق الزوجة على زوجها؟، قال: أن لا يضرب وجهها ولا يقبحها، وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها»[٥٢٦]

وفي الأغلب تُطْلق الخيانة ويراد منها المعنى الأخص المتمثّل بعقد علاقة غير شرعية مع غير الزوجة، كالعلاقة التي تنتهي بممارسة الفاحشة كالزنا -والعياذ باللّه-. وهذا النوع من الخيانة لا يُعد خيانة للزوجة، بل هو خيانة للّه ولمحمد وآل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأنه عصى أوامرهم الشرعية، قال تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٥٢٧]

وأما إذا تزوج الزوج على زوجته -سواءً أكان زواجاً دائماً أو مؤقتاً -فلا يُعد خائناً؛ لأنه لم يخالف حكم اللّه تعالى الذي أباح له التعدد، قال تعالى:﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[٥٢٨]

نعم يقول الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) إذا اشترطت الزوجة على الزوج في عقد النكاح أو في غيره أن لا يتزوج عليها صحّ الشرط ويلزم الزوج العمل به، ولكن لو تزوج صحّ زواجه وإن كان آثماً[٥٢٩]؛ لأن مخالفته للشرط يعتبر خيانة للشارط أي خيانة لزوجته، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : المؤمنون عند شروطهم.[٥٣٠]

وأما كيف تتعامل الزوجية مع خيانة زوجها؟، فهذا السؤال سوف نجيب عليه بالتفصيل في محاضرة مستقلة سنطرحها في الجزء التاسع من سلسلة كتاب (زاد المبلّغات).

رُبّ تساؤل يرد: لماذا يتّهم المجتمع في أغلب الأحيان المرأة بالخيانة ولا ينسب الخيانة للرجل إلا نادراً؟

بعبارة أخرى: لماذا يرتبط عنوان الخيانة دائماً بالمرأة، بينما لا يُلام الرّجل على خيانته؟

الجواب: ليس هناك فرق في أيّ حالة انحراف جنسي غير شرعيّ بين الرّجل والمرأة، فكما أنّه لا يجوز للمرأة أن تخون زوجها وربها ورسولها والأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بطريقة الزّنا، كذلك لا يجوز للزّوج أن يخون ربه ورسوله والأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بطريقة الزنا.

هناك نقطة لابدَّ أن يعرفها الجميع، وهي أنَّ الموقف الإسلاميّ من العلاقات غير الشرعيَّة لا فرق فيه بين الرّجل والمرأة، فالزانية والزّاني يُجلد كلّ واحد منهما مائة جلدة، فليس هناك أيّ فرق بين زنا الرّجل وزنا المرأة من حيث إنَّه

مدان إسلاميّاً، كما أنّه لا فرق بينهما في العقوبة، كما لا فرق بينهما في المسألة المعنويّة على أساس الأخلاقيّة)[٥٣١]

نعم، من الممكن طرح السؤال بالصياغة الآتية: أيهما أقبح أن تخون الزوجة زوجها أم العكس؟

فالجواب هو: إن خيانة الزوجة أقبح من خيانة الزوج للأسباب الآتية:

١. إن الزوج لا يعد خائناً للّه تعالى إلا بالعلاقات غير الشرعية كالزنى، فإن الشريعة الإسلامية أجازت للزوج التعدد، لأسباب منها أن الرجل من ناحية تكوينية غريزته الجنسية أشد من المرأة... وذكرنا أنه من ناحية شرعية الزوج يستطيع أن يعقد علاقة شرعية مع غير زوجته، ولا يعتبر خائناً إلا بالعلاقات غير الشرعية كالزنى، أو فيما لو خالف الشرط المحدد بعدم الزواج عليها، ولكن الزوجة لا تستطيع الزواج من زوج آخر ما دامت في ذمة زوجها، ولذا لو أجرت صيغة الزواج الشرعي مع آخر يكون باطلاً وعلى هذا تكون العلاقة علاقة بغي وزنى.

روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: « أن اللّه لم يجعل الغيرة للنساء وإنما جعل الغيرة للرجال؛ لأن اللّه عزّ وجلّ قد أحل للرجل أربعة حرائر وما ملكت يمينه، ولم يجعل للمرأة إلا زوجها وحده فإن بغت مع زوجها غيره كانت عند اللّه زانية وإنما تغار المنكرات منهن، فأما المؤمنات فلا ».[٥٣٢]

فقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ (فإن بغت مع زوجها غيره كانت عند اللّه زانية) أي من تجاوزت حدود العفة واقتربت من الزنا فقد بغت وكانت عند اللّه زانية ولذا تُعد خائنة للّه ولأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولزوجها؛ لأننا ذكرنا أن من حق الزوج على زوجته أن تحفظه في غيبته، كما وصف تعالى الصالحات ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾[٥٣٣]، يعني أنهن لا يرتكبن أية خيانة في المجال الجنسي.

٢. يقول بعض علماء النفس ومنهم الدكتور طارق الحبيب بأن الرجل بطبيعته متعدد العلاقة، ولكن المرأة أحادية العلاقة، أي أن المرأة السويّة تميل إلى العلاقة الأحادية الحصرية برجل تثق فيه وتحبه وتطمئن إليه، ولا تتطلع إلى غيره حتى وإن صادفت في حياتها كثيرون أفضل منه، وهذا ليس رأياً مرسلاً وإنما تعززه دراسات عديدة تثبت أن معدل الخيانة لدى المرأة أقل منه لدى الرجل، وذلك في ثقافات وبيئات متعددة، وقد يعترض بعضهم على ذلك ويعزو الأمر إلى طبيعة المجتمعات الذكورية، ولكن من يعرف تركيبة المرأة النفسية يدرك فعلاً أن المرأة السويّة أكثر ميلاً لأحادية العلاقة واستقرارها من الرجل.

٣. إن الزوجة بخيانتها تختلط الأنساب، فلذا خيانتها أقبح من الرجل.

رُوي أنه اجتمعت أكثر من أربعين امرأة من نساء قريش وجئن إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسألنه: يا علي لماذا أجاز الإسلام تعدد الأزواج للرجال، ولم يجوّز ذلك للنساء؟، فأمر الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يحضروا أواني صغيرة ويملؤنها من الماء وأعطى لكل منهن إناءً، ثم أمرهن أن يُفرغن الإناء في دلو كبير كان قد وضعه في وسط المجلس، ففعلن ذلك، ثم قال لهنّ: فلتملأ كل منكن إناءها بنفس الماء الذي فرّغته في هذا الدلو.

فقلن: كيف يمكن ذلك؟ فقد امتزجت المياه، ولا يمكن تشخيصها.

فقال علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إذا كان للمرأة أكثر من زوج واحد فكيف يمكن تشخيص أب وليدها؟! (٥٤٣)

المبحث الثالث: حدود الخيانة الزوجية

مفهوم الخيانة الزوجية المنتشر بين الناس حالياً هو في الحقيقة مفهوم قاصر جداً، فالمفهوم الخاطئ المنتشر بين الناس هو أن الخيانة الزوجية مقصورة على الزنا، أي إنهم لا يتصورون الخيانة إلا في شكلها المادي القائم على علاقة جنسية بين زوج وامرأة أجنبية، أو زوجة ورجل أجنبي.

أما مفهوم الخيانة الزوجية التي نحن بصدد الحديث عنها، والمفهوم الذي نود تصحيحه للناس بشأن هذا الموضوع: أن مفهوم الخيانة الزوجية شرعاً يشمل كل علاقة غير مشروعة تنشأ بين الزوج وامرأة أخرى غير زوجته، أو العكس فهي تُعد علاقة محرمة سواءً بلغت حد الزنا، أو لم تبلغ، ويشمل هذا: المواعيد، واللقاءات، والخلوة، وأحاديث الهاتف التي فيها نوع من الاستمتاع وتضييع الوقت، بل حتى الكلام العابر، واللقاءات التي تجري على سبيل العشق والغرام.

هذا المفهوم الواسع للخيانة يجعل مفهومها أكثر دقة؛ لأننا لو بدأنا بمعالجة قضية الخيانة فقط بعد أن تصل إلى حدها الأقصى وهي جريمة الزنا، نكون كالطبيب الذي يعالج المريض بعد أن يصل لحالة ميؤوس منها، لكن الشريعة الإسلامية جاءت فحرّمت الزنا لكن ليس الزنا فقط بمعناه المباشر، بل حرمت طرقه والسبل التي تؤدي إليه من باب سد الذرائع كالخلوة بالمرأة الأجنبية، والنظرة غير المشروعة لغير الحاجة وكذلك حرمت كشف العورات؛ لأنها جميعها سبيل للزنا.

إذاً حينما نريد معالجة الخيانة ينبغي أن نعالجها في أول مظاهرها، ومن أصغر أشكالها، وليس بعد أن يستفحل الأمر ويصل إلى حده الأقصى وهو الزنا.[٥٣٥]

لذا فالشريعة الإسلامية لم تحرّم الزنا فقط، بل حرمت مقدماته أيضاً، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ [٥٣٦]، يعقّب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على هذه الآية ما نصه: (لم تقل الآية: لا تزنوا، بل قالت: لا تقربوا هذا العمل الشائن، وهذا الأسلوب في النهي فضلاً عمّا يحمله من تأكيد، فإنَّهُ يوضح أنَّ هناك مقدمات تجر إلى الزنا ينبغي تجنبها وعدم مقاربتها، فخيانة العين تعد واحدة من المقدمات، والسفور والتعري مقدمة أخرى، الكتب السيئة والأفلام الملوّثة، والمجلات الفاسدة، ومراكز الفساد كل واحدة منها تعد مقدمة لهذا العمل). [٥٣٧]

ولذا فالخيانة الزوجية ليست منحصرة بالزنا المتعارف في الأذهان، والذي عرّفه الفقهاء بالاتصال الجنسي -أي إيلاج الرجل ذَكَرَهُ في قُبُل أو دُبُر امرأة- بين الرجل والمرأة بدون عقد زواج -، بل الخيانة تشمل الزنا ومقدماته، والروايات اعتبرت مقدماته نوعاً من أنواع الزنا، فمن مصادرنا الشيعية روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « لكل عضو من ابن آدم حظ من الزنا، فالعين زناها النظر، واللسان زناه الكلام، والأذنان زناهما السمع، واليدان زناهما البطش [٥٣٨]، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه ». [٥٣٩]

ومن مصادر أهل السنة روي عَنِ النبيِّ صَلَّى اللّهُ عليه وآله وسلَّمَ: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ ». [٥٤٠]

فجوارح الإنسان هي من نِعَم اللّه وجب شكرها بأن نستعملها في طاعته تعالى فهي كلها أمانة، ونحن مسؤولون عنها، قال تعالى:﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[٥٤١]، فإذا ارتكب أحد الزوجين بهذه الجوارح أي درجة من درجات الزنا فمعنى ذلك أنه خائن، وأدوات الزنا عديدة وهي:

١. **العينان**: إن اللّه سبحانه أمر كلا الجنسين بغض البصر عن الجنس المخالف، الأجنبي عنه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (٥٤٢)، فإذا لم يغض المسلم بصره ونظر بشهوة، صح أن نطلق عليه أنه خائن.

٢. **اللسان**: وزناه يتحقق بالكلام المحرم ما بين الجنسين، فشرعاً لا يجوز للمرأة التواصل مع الرجل بالمراسلة الكتابيّة أو الصوتيّة فيما لا يجوز بالمشافهة بلا فرق، ولا ينبغي لها التصرّف على وجه يثير ريبة زوجها، أو أبيها، بل قد يحرم ذلك في جملة من الموارد كما لو كان التصرّف من قِبَل الزوجة مريباً عقلاً بحيث يعدّ منافياً لما يلزمها رعايته تجاه زوجها (٥٤٣)، فإذا تجاوز أحد الزوجين الأحكام سيكون خائناً.

٣. **الأذنان**: وزناهما يتحقق بالاستماع إلى كلام الرجل الأجنبي المخالف للضوابط الشرعية، أو سماع ما يتراسلانه من أغانٍ وأشعار غرامية، أو سماع الضحكات المتبادلة.. فهذه كلها من مصاديق الخيانة الزوجية.

٤. **اليدان**: وزناهما يتحقق بأمور عديدة، منها بالمراسلة الكتابية مع الرجل الأجنبي في الهاتف أو مواقع التواصل الاجتماعي، ككتابة كلمات معبّرة عن الإعجاب والحب والغزل، أو بملامسة اليد للرجل الأجنبي، أو حينما تظهر المرأة يدها للرجل وهي مزيّنة بالخواتم، أو صبغ الأظافر أو بالحنّاء، أو بالإشارات وغيرها.

٥. **الرجلان**: وزناهما يتحقق بالمشي إلى الحرام، كأن يكون من أجل لقاء الفاسق، أو بالتمايل في المشي، أو بعدم ارتداء الجورب، أو ارتداء الجوارب الشفافة غير الساترة أو بارتداء الأحذية ذات الكعب العالي التي تصدر أصواتاً تلفت انتباه الرجال، والتي دورها كدور من ترتدي الخلاخل أمام الرجال الأجانب، قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (٥٤٤)

٦. **الجلود**: وزناهما يتحقق بالملامسة، أو بكشف الستر عنه وإبراز المفاتن للرجل الأجنبي وبالتزين.. إلخ، سواءً أحدث في الواقع، أو في العالم الافتراضي خلف كاميرات المراقبة، وهذه الجلود سوف تفضحهم يوم القيامة حينما تشهد على خيانتهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥٤٥)

فكل النقاط التي ذكرناها هي درجة من درجات الزنا، ولكن أعلاها درجة وأقبحها وأعظمها أثماً وجرماً هو:

٧. **زنا الفروج**: شرعاً أمرنا الله تعالى بحفظ الفروج من الزنا، قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾(٥٤٦)، والزنا هو الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة بدون عقد زواج، وهو من الذنوب الكبيرة وحرمته من ضروريات دين الإسلام. وتختلف عقوبة ارتكاب الزنا بحسب حال الزاني، فإن كان غير محصن كان حده الجلد مائة جلدة، وإن كان محصناً كان حده الرجم، والزاني بالمحارم والمغتصب لامرأة يُقتل. (٥٤٧)

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على الخيانة الزوجية

للخيانة آثار ونتائج سلبية في الإنسان والمجتمع ككل؛ نذكر منها ما يلي:

١. تُلحق الخيانة بالإنسان آثاراً نفسية عميقة وتجعله سَلبياً وحزيناً فاقداً الثقة بأقرب الناس إليه، وقد تتحول حياته إلى معاناة وألم لا يستطيع تجاوزه؛ إذ يقول «د. باري باس» المعالج النفسي وخبير العلاقات: «إنَّ صدمة الخيانة هي الأكثر إيلاماً من بين كل الخبرات المزعجة والسلبية في العلاقات الإنسانية، ولا يفوق الخيانة ألماً سوى الحزن من أجل وفاة الأبناء».

٢. تنعكس الحالة النفسية السيئة لمَن تعرَّض إلى الخيانة على حالته الصحية، فغالباً ما يُعاني من فقدان للشهية، وأرق واضطرابات في النوم، وصداع، ومشكلات في المعدة والجهاز الهضمي والقولون.

٣. يترتب على الخيانة الزوجية حالات الطلاق وتفكك الأسر وضياع الأبناء روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « أَربَعٌ لا تَدخُل بَيتاً واحِدَةٌ منهُنَّ إلّا خَرَبَ، وَلَم يَعمُرْ بالبَرَكَةِ، الخِيانَةَ والسَّرِقَةُ وَشُرَبُ الخَمرِ والزِّنا ». (٥٤٨)

٤. يفقد الأشخاص ثقتهم ببعضهم بعضاً، ويسود القلق والتوتر والتشكيك في العلاقات، وتنقطع أواصر الروابط والصلات فيما بينهم، قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « ليس لك أن تتهم من ائتمنته، ولا تأتمن الخائن وقد جرّبته ». (٥٤٩)

٥. ينتج عن الخيانة ازدياد حالات الكذب والخداع والغش والسرقة والاحتيال بين أفراد المجتمع؛ وهذا ما يجعله مجتمعاً مضطرباً غير آمن.

٦. تخلق الخيانة رغبة في الانتقام والثأر؛ وهذا قد يزيد من الجرائم وانعدام الأمان في المجتمع، ولطالما سمعنا العديد من حالات الخيانة الزوجية انتهت بالقتل من أجل غسل العار. (٥٥٠)

٧. سقوط العدالة و عدم قبول شهادته في المحاكم و مجالس القضاء.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا ذي غمز على أخيه، ولا ظنين في ولاء ولا قرابة، ولا القانع مع أهل البيت». (٥٥١)

٨. الابتلاء بجلب الفقر إليه قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «

الأمانة تجلب الرزق و الخيانة تجلب الفقر ».[٥٥٢]

٩. يتعرض الخائن لغضب الجبار، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ألا أخبركم بأكبر الزنا؟ قالوا: بلى، قال: هي امرأة توطيء فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فتلزمه زوجها، فتلك التي لا يكلمها اللّه، ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب أليم ».[٥٥٣]

وفي خبر السكوني عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « اشتد غضب اللّه على امرأة أدخلت على أهل بيتها من غيرهم، فأكل خيراتهم ونظر إلى عوراتهم ».[٥٥٤]

١٠. يؤدي انتشار الخيانة إلى الانحلال الأخلاقي في المجتمع، ومنه إشاعة الزنا وهو سبب لكثير من الأمراض والمآسي الصحية... بالإضافة إلى أنه سبب في نزول الغضب الإلهي، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال ما مضمونه « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا...».[٥٥٥]

١١. إن أثر الخيانة لا يقتصر على الفاعل بل يؤثر على العرض والأولاد، فقد جاء عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن اللّه أوحى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا تزنوا فتزني نساؤكم ومن وطيء فراش امرء مسلم وطيء فراشه، كما تدين تدان ».[٥٥٦]

١٢. إن الخيانة يترتب عليها آثار برزخية وأخروية، روي عن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : سمعت رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: « في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأمّا اللاتي في الدنيا، فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء، وأمّا اللّواتي في الآخرة، فغضب الرب، وسوء الحساب، والدخول في النّار، أو الخلود في النّار ».[٥٥٧]

وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « من فجر بامرأة ولها بعل انفجر من فرجهما من صديد جهنم واد مسيرة خمسمائة عام يتأذى أهل النار من نتن ريحهما، وكانا من أشد الناس عذاباً ». (٥٥٨)

إلى هنا انتهينا من بيان الآثار المترتبة على الخيانة في محيط العلاقة الزوجية، ولكن هناك أنواع أخرى من الخيانة محيطها أوسع من العلاقة الزوجية والأسرية، فهي تشمل الأمة وتسمى بخيانة الأمة، ولذا فأن جرمها وأثرها أعظم من الخيانة السابقة، فقد روي الإمام أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « و إِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ و أَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ » (٥٥٩)

وهذه الرواية مصداقها الأكبر هم الخونة الطواغيت والجبابرة الظلمة الذين خانوا الأمة حينما اغتصبوا حق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الخلافة الربانية وظلموهم وحاربوهم وحاربوا شيعتهم ومواليهم أمثال المروانيين ومنهم عبد الملك بن مروان لعنه اللّه، والزبيريون كمصعب بن الزبير حيث كلاهما اشتركا في محاربة صاحب الذكرى البطل المختار الثقفي الذي خرج طالباً بثأر الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦ هـ (٥٦٠) وكان يقول: « واللّه لو قَتَلْتُ به- أي بالحسين- ثلثي قريش ما وفوا بأنملة من أناملة » (٥٦١)

وقد تمكن المختار في ثورته هذه من قتل كل من: شمر بن ذي الجوشن، خولي بن يزيد وعمر بن سعد، وقتل عبيد اللّه بن زياد، وكان ابن زياد بالشام فأقبل في جيش إلى العراق فسير إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في جيش فلقيه في أعمال الموصل فقتل ابن زياد وغيره. (٥٦٢)

وقد وردت بحقه أخبار متضافرة على مدحه، فقد روي عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت ، حتّى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين »[٥٦٣]، وهذه الرواية صحيحة .

وعن عمر بن علي بن الحسين : أنّ علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لمّا أتي برأس عبيد اللّه بن زياد ، ورأس عمر بن سعد قال : فخرّ ساجداً وقال : « الحمد للّه الذي أدرك لي ثأري من أعدائي ، وجزى اللّه المختار خيراً »[٥٦٤]

لم يكن المختار إلاّ رجلاً أبلى في سبيل قضية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أحسن البلاء ، فعمل أعداؤه على محاربته ، من خلال وضع التهم والأكاذيب عليه ، ولكن تصدى لهذه الروايات الذامّة للمختار بعض الأئمة ومنهم أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال : « لا تسبّوا المختار فإنّه قتل قتلتنا ، وطلب بثأرنا ، وزوّج أراملنا ، وقسّم فينا المال على العسرة »[٥٦٥]

وأيضاً تصدى للروايات الذامة علماؤنا، ومنهم السيّد الخوئي (قدس سره) عند ترجمة المختار في كتابه (معجم رجال الحديث) وقال : (وهذه الروايات ضعيفة الإسناد جدّاً) .

ثمّ نقل (قدس سره) قول المجلسي في (بحار الأنوار) فقال : (وقال المجلسي (قدس سره) : .. أنّه من السابقين المجاهدين ، الذين مدحهم اللّه تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين ، ودعاء زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ للمختار دليل واضح ، وبرهان لائح ، على أنّه عنده من المصطفين الأخيار

نهاية ثورة المختار

خاض المختار خلال ثمانية عشر شهراً مواجهة عنيفة مع المروانيين في الشام والزبيريين في الحجاز ووجهاء الكوفة حتى قتل في ١٤ رمضان سنة ٦٧ هـ وله من العمر ٦٧ سنة[٥٦٦] وقد أمر مصعب بن الزبير بقطع رأس المختار ونصبه على جدار مسجد الكوفة.[٥٦٧]

قصيدة في ذكرى أستشهاد المختار بن الثقفي (رضوان اللّه عليه)

انظـــر المختـــار ولصـــــولاته يالثـــارات الحســـين صيحاتـــه

****

إنظـــــر المختار رافـــــع رايتـــه وبســـم أبـــو اليمه يســـجل ثورته
مـــن أرض كوفـــان أعلـــن حملته يالثارات الحـــسين إبصـــرخـــــته
وصمت آذان الكفر صرخاته

****

ثار إبن ســـيد الرسل ثائر يريـــــــد من هـــــذيج الشرذمه زمـــــرة يزيد
ذاك نام ويـــــــه الغنم وذاك شريد وبيهم البـــاع النفـــس وأصبح عبيد
سمعوا المختار وبطعناته

****

ســـمَعت يطلب ثار لحسين وهله ويقتـــل الشـــارك بقتلـــه بكربلـــه
مالك وهانـــــــــء ومره وحرمـــله وشـــمر إبن جوشن وسعد إقتلـــــه
وشرحبيل إتكطع إبضرباته

****

ضربة إسنان وحكيم إبن الطفيل كاطع الكف اليسار من الكفيل
وهـــذا زيـــد إبـــن الرقـــاد أردا قتيل القتل عبد اللّه الذي جده عقيـــل
وكطع من عباس رد يمناته

****

يمنتـــك كطعـــت كل روس الكفر وإبـــن الأشتر راس عبيـــــد اللّه بتر
وطاح إبن مرجـــــانه إبنهر الخزر وجابلك راسه إسجدت سجدت شكر
ول إمامك نشفت دمعاته

****

نشفـــــت دمـــعـــات سجـــاد الـــعباد مـــن نظـــر راس إبـــن مرجانـــه وزياد
وفرحت إكلوب اليتامه بكل بلاد بثـــارك المختار مـــن أهل الفســـاد

وأبعث الصادق إلك رحماته[٥٦٨]

الهوامش

(١)الأحزاب/٣٩.

(٢)التبليغ الديني مفهومه مضمونه أساليبه-مركز المعارف للتأليف- ص١١-١٢.

(٣)الكافي- الشيخ الكليني - ج١- ص٢٣.

(٤)مجلة الإصلاح الحسيني/ warithanbia.com/ أعداد المجلة/ العدد الثالث والعشرون/ مقالات العدد/ دور التبليغ في بناء المجتمع الفاضل-بقلم م.دعاء فاضل الربيعي.

(٥)شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٧ - الصفحة ١٨٣.

(٦) المجالس السنية-محسن الأمين- ج٢، ص٤٥٦.

(٧) مجمع مصائب أهل البيت -الشيخ الهنداوي- ج ٤- ص ٢٠٦- ٢٠٧.

(٨) لقمان/٦.

(٩) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org/أخلاق وسنن/الأسرة والمجتمع/الشباب/مشاكل الشباب/الغناء والموسيقى، نقلاً عن كتاب أخي الحبيب- السيد سامي خضرة.

(١٠) كتاب الغناء سعادة أم شقاء-تأليف مياسة شبع-ص٥١-٥٢.

(١١) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٣- ص١٦.

(١٢) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٤٣٢.

(١٣) مسالك الأفهام-علي الجبعي- ج١٤- ص ١٨٠.

(١٤) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج ١٢- ص ٢٣٦.

(١٥) الخصال-الشيخ الصدوق- ج ١- ص ٦٢.

(١٦) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٥-ص٣٤٧.

(١٧) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٤٣٣.

(١٨) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٧-ص٣١٥.

(١٩) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج١٧-ص٣١٦.

(٢٠) الاستبصار-الشيخ الطوسي- ج ٣-ص ٦١.

(٢١) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٤٣٣.

(٢٢) نيل الأوطار-الشوكاني- ج ٨ -ص٢٦٤.

(٢٣) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٧٩ -ص ٢٤٧.

(٢٤) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج ١٢-ص ٢٢٦.

(٢٥) دعائم الإسلام-القاضي نعمان- ج ٢-ص ٢١٠.

(٢٦) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٢ - ص٧٥.

(٢٧) عيون أخبار الرضا (ع) -الشيخ الصدوق- ج ١ - ص ٢٦.

(٢٨) المائدة/٥٥.

(٢٩) آل عمران/١١٠.

(٣٠) آل عمران/١٩.

(٣١) آل عمران/٨٥.

(٣٢) آل عمران/١٠٢.

(٣٣) الشعراء/١٥١.

(٣٤) لقمان/٦.

(٣٥) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل -الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- ج ١٣- ص ١٦.

(٣٦) الأنبياء/١٠٧.

(٣٧) ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج٣- ص ٢٣٤٨.

(٣٨)الذاريات/٢٨.

(٣٩)الأنبياء/٨٣.

(٤٠) يوسف/٨٧.

(٤١) الشرح/٥.

(٤٢) غافر/٦٠.

(٤٣) النساء/٦٤.

(٤٤) الزمر/٥٣.

(٤٥) محمد/٢٤.

(٤٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٨٣٢.

(٤٧) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٤٠٥.

(٤٨) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٤ - ص٣٢.

(٤٩) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢– ص ١٩٧.

(٥٠) الكافي– الشيخ الكليني – ج ٥ – ص ٨٨ .

(٥١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة/ wikipedia.org / الانتحار في كوريا الجنوبية–الهامش رقم(٤).

(٥٢) البقرة/٢١٩.

(٥٣)القمر/٢٢.

(٥٤) فقه للمغتربين –السيد السيستاني– الصفحة ٣١١–٣١٢.

(٥٥) منهاج الفقاهة – السيد محمد صادق الروحاني – ج ٢ –ص ١٥٦.

(٥٦) الكافي–الشيخ الكليني–ج٦ / ٤٣١.

(٥٧) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org.lb/ محطات إسلامية/محرم الحرام/مصائب النسوة والأطفال.

(٥٨) نور الأبصار للحائري. المجالس السنية ج٢ للسيد الأمين. مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهري.

(٥٩) مجمع مصائب أهل البيت -الشيخ الهنداوي– ج ٤–ص ٢١١– ٢١٣.

(٦٠) التوبة/١٢٢.

(٦١) بحار الأنوار–العلامة المجلسي– ج ١ – ص٢١٤.

(٦٢) الفتاوى الميسرة –السيد السيستاني– الصفحة ٣٣–٣٤–بتصرف.

(٦٣) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٧ – ص ٤٠٩.

(٦٤) الفتاوى الواضحة –للسيد محمد باقر الصدر– ص ٧.

(٦٥) المسائل المنتخبة–السيد السيستاني– الاجتهاد والتقليد–ص٩.

(٦٦) المسائل المنتخبة –السيد السيستاني– الاجتهاد والتقليد–ص٩.

(٦٧) منهاج الصالحين –السيد السيستاني– ج١– مسألة٢.

(٦٨) منهاج الصالحين –السيد السيستاني– ج١–مسألة٢.

(٦٩) بحار الأنوار–العلامة المجلسي– ج ٢ – ص ٢٩.

(٧٠) معرفة المعاد –السيد محمد الحسيني الطهراني– ج٣– ص٧–٩.

(٧١) البقرة/٢٨٦.

(٧٢) التوبة/١٢٢.

(٧٣)م.ن.

(٧٤) مركز الرصد العقائدي/ alrasd.net /الأسئلة والأجوبة/قضايا معاصرة/أدلة وجوب التقليد. جواب اللجنة العلمية.

(٧٥) النحل/٤٣.

(٧٦) مركز الأبحاث العقائدية / aqaed.com /الأسئلة العقائدية/ الاجتهاد والتقليد/ مَن الذي أمر باتّباع الفقهاء العدول؟

(٧٧) كمال الدين وإتمام النعمة: ٤٨٤ الباب (٤٥) ذكر

التوقيعات، وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٠ الباب (١١) حديث (٣٣٤٢٤) من أبواب صفات القاضي.

(٧٨) مُستندُ الشّيعةِ-المحقق النراقي-ج ١٧-ص ٢٥.

(٧٩) شرحُ العروةِ الوثقى -الموسوعةُ- ١: ٧١.

(٨٠) الاحتجاج ٢: ٢٦٣ احتجاج أبي الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ في أنواع شتّى من علوم الدين، وسائل الشيعة ٢٧: ١٣١ الباب (١٠) حديث (٣٣٤٠١) من أبواب صفات القاضي.

(٨١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٤٨.

(٨٢) م.ن.

(٨٣) النجم/٣-٤.

(٨٤) حلية الأولياء- أبو نعيم الأصفهاني ٣: ١٩٧.

(٨٥) القول المفيد في الرد على منكري الاجتهاد والتقليد -السيد منتظر الموسوي- ص٩٠.

(٨٦) تاريخ التشريع الإسلامي- عبد الهادي الفضلي-ص٤٩-٥٠.

(٨٧) القول المفيد في الرد على منكري الاجتهاد والتقليد -السيد منتظر الموسوي- ص٩١-بتصرف.

(٨٨) القول المفيد في الرد على منكري الاجتهاد والتقليد -السيد منتظر الموسوي- ص٨٦-٨٧-بتصرّف.

(٨٩) الفتاوى الميسرة -السيد السيستاني- الصفحة ٣٣-٣٤-بتصرف.

(٩٠) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة -الشهيد الأول- ج ١-

ص٤٢-٤٣.

(٩١) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/الأسئلة العقائدية/ الاجتهاد والتقليد/ مَن الذي أمر باتّباع الفقهاء العدول؟

(٩٢)يونس/٣٦.

(٩٣) الكافي -الشيخ الكليني- ج ١ - ص٤٢.

(٩٤) مسائل وردود طبقاً لفتاوى المرجع الديني السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، جمع وإعداد محمد جواد رضى الشهابي، كتابة وتبويب عبد الواحد محمد النجار سنة ١٤١١هـ. نقلاً عن تاريخ التشريع الإسلامي-الدكتور عبد الهادي الفضلي-ص ٤٨-٥٠.

(٩٥) وسائل الشيعة -الحر العاملي- ج ١٩ - ص ٣١٧.

(٩٦) وسائل الشيعة -الحر العاملي- ج ٢٧ - ص ١٤٤.

(٩٧) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٢ ص٢٤٩.

(٩٨) الكافي -الشيخ الكليني- ج ١ -ص ٣٣٠.

(٩٩) الوسائل- الحر العاملي- ج ٢٧- ص ١٣١- رقم ٣٣٤٠١.

(١٠٠) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org/نور الأسبوع/سنة ١٤٣١ هـ/ربيع٢- ولادة الإمام الحسن العسكري S-بتصرف.

(١٠١) ديوان شعراء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٠٢) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ محمد الهنداوي-ج٤-ص٥٥-٥٦.

(١٠٣) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٦٥.

(١٠٤) الروم/٧.

(١٠٥) الحجرات/١٢.

(١٠٦) تفسير البحر المحيط -السيد حيدر الآملي-ج ١ / ٢٠٣.

(١٠٧) التفسير الصافي -الفيض الكاشاني- ج ١ - ص ٣١.

(١٠٨) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٤٣ -ص ٦٥ ، ومستدرك سفينة البحار-ج ٩ -ص ٢٩٨.

(١٠٩) الكافي -الشيخ الكليني-ج ١ -ص ٤٤.

(١١٠) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٤٣ -ص ٦٥ ، ومستدرك سفينة البحار-ج ٩ -ص ٢٩٨.

(١١١)القدر/٢.

(١١٢) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص ٣٩٦.

(١١٣) القارعة/٣.

(١١٤)الحاقة/٣.

(١١٥) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ)/معنى السر المستودع فيها(٣).

(١١٦)القدر/١.

(١١٧) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص٣٧٠-بتصرف.

(١١٨) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٤٣ - ص ٢٠٢ .

(١١٩) صحيح الترمذي : ٢ / ٣٠٧.

(١٢٠) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٣١ - ص ٦٥٥.

(١٢١) موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) -الشيخ هادي النجفي- ج١-ص١٩١.

(١٢٢) الشعراء/١٩٣-١٩٤.

(١٢٣) الشورى/٥٢.

(١٢٤) الحشر/٢١.

(١٢٥) الدخان/٣.

(١٢٦) الشعراء/١٩٣-١٩٤.

(١٢٧)القدر/١.

(١٢٨) موقع العلامة منير الخباز/almoneer.org/المكتبة الصوتية والمرئية/ شهر رمضان المبارك/ رمضان المبارك عام ١٤٢٩/ فاطمة ليلة القدر(ج٣)-بتصرف.

(١٢٩) الدخان/٣-٤.

(١٣٠) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص ٣٧٠.

(١٣١) رواه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٥٤، ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد، ورواه أيضاً الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٩ ص ٢٠٣) وقال رواه الطبراني وإسناده حسن.

(١٣٢) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٤٣ -ص ٢٢.

(١٣٣) الأحزاب/٣٣.

(١٣٤) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص ٣٧١.

(١٣٥) الدخان/٣.

(١٣٦) الكوثر/١.

(١٣٧) الكافي-الكليني-ج ٣ -ص ٣٤٣.

(١٣٨) تفسير أطيب البيان -السيد عبد الحسين الطيب- ٢٢ / ٨٢ ذيلُ الآيةِ ٣ مِن سورةِ الجن .

(١٣٩) آل عمران/٢٤.

(١٤٠) موقع العلامة منير الخباز/almoneer.org/المكتبة الصوتية والمرئية/ شهر رمضان المبارك/ رمضان المبارك عام ١٤٢٩/ فاطمة ليلة القدر(ج٣)-بتصرف.

(١٤١) الدخان/٤.

(١٤٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٢٥ - ص ٩٩.

(١٤٣) تفسير أطيبِ البيان -السيد عبد الحسين الطيب- ٢٢ / ٨٢ ذيلُ الآيَةِ ٣ مِن سورةِ الجن .

(١٤٤) مركز الرصد العقائدي/ alrasd.net / الأسئلة والأجوبة/تراث اسلامي/ولولا فاطمة لما خلقتكما.

(١٤٥) الملك/٢.

(١٤٦) النحل/١٢.

(١٤٧) الذاريات/٥٦.

(١٤٨) الحاقة/١٤.

(١٤٩) طه/١٠٥.

(١٥٠) الانشقاق/١.

(١٥١) التكوير/٢.

(١٥٢) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- الصفحة ٢٣٣-٢٣٤.

(١٥٣) المائدة/٣.

(١٥٤) النحل/٨٩.

(١٥٥) القدر/٤.

(١٥٦) وفاة الصديقة-عبد الرزاق المقرم- ص ٦٣.

(١٥٧) مجمع مصائب أهل البيت اللّه-الشيخ & الهنداوي- ج٤-ص٥٦-٥٨.

(١٥٨) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي- ج٤-ص٧٢-٧٤.

(١٥٩) الأنعام/ ١٠٣.

(١٦٠) شبكة الألوكة/ alukah.net/ آفاق الشريعة / دراسات شرعية / عقيدة وتوحيد / الإلحاد (تعريف، شبهات، ردود)/ الرد العلمي على من ينكر وجود اللّه-بتصرف.

(١٦١) جامعة هل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ / qi.ude.uba/ كلية العلوم

الإسلامية المحاضرات الإلكترونية محاضرات عامة العقائد محاضرات العقائد - المحاضرة ٢٣- اللّه لا يُرى/للسيد فاضل الحسيني الميلاني، بتصرف.

(١٦٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص١٧٠.

(١٦٣) زاد المبلّغات-مياسة شبع-ج٢-محاضرة(اثبات وجود اللّه)- برهان النظام.

(١٦٤) حوار ساخن عن الإلحاد- هادي المدرسي- ص ١٠١-١٠٢-بتصرف.

(١٦٥) زاد المبلّغات-مياسة شبع-ج٣-اثبات وجود اللّه.

(١٦٦) في رحاب العقيدة، شبكة المعارف الإسلامية، ص ٦٠.

(١٦٧) هل تحب معرفة اللّه للسيد محمد الحسيني الشيرازي ص٢٢-٢٣.

(١٦٨) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/الأسئلة العقائدية/ رؤية اللّه عزوجل/رأي الشيعة في رؤية اللّه عَزَّوَجَلَّ.

(١٦٩) أوائل المقالات- الشيخ المفيد: قول ٢٥: القول في نفي الرؤية على اللّه تعالى بالأبصار، ص٥٧.

(١٧٠) الإبانة- أبو الحسن الأشعري: باب في إبانة قول أهل الحق والسنّة، ص ١٧.

(١٧١) الأنعام/ ١٠٣.

(١٧٢) انظر: التبيان، الشيخ الطوسي: ج ٤، تفسير آية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(١٧٣) الأعراف/١٤٣.

(١٧٤)م.ن.

(١٧٥) انظر: التبيان، الشيخ الطوسي: ج ٤، تفسير آية ١٤٣ من سورة الأعراف، ص ٥٣٦.

(١٧٦) انظر: قواعد المرام، ميثم البحراني: القاعدة الرابعة، الركن الثاني، البحث العاشر، ص ٧٧.

(١٧٧) التوحيد عند مذهب أهل البيت -علاء الحسّون - ص ١٢٦- ١٢٧.

(١٧٨) التوحيد- الشيخ الصدوق- باب ٢- ح ١٣- ص ٥١.

(١٧٩) المصدر السابق: باب ٢- ح ٣٤- ص ٧٦.

(١٨٠) نهج البلاغة- الشريف الرضي: خطبة ١٨٥- ص ٣٦٠.

(١٨١) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٧٠٨.

(١٨٢) الأنعام/١٠٣.

(١٨٣) طه/١١٠.

(١٨٤) الشورى/١١.

(١٨٥) الكافي-الشيخ الكليني-ج ١- كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية، ح ٢- ص ٩٦.

(١٨٦) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٤ - ص٤١٤.

(١٨٧) فاطر/١٥.

(١٨٨) معرفة اللّه-علي الكوراني العاملي-ص٤٦-٤٧.

(١٨٩) جامعة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ / abu.edu.iاللّه / كلية العلوم الإسلامية المحاضرات الإلكترونية محاضرات عامة العقائد محاضرات العقائد - المحاضرة ٢٤- المحسوس هو الجسم/ للسيد فاضل الحسيني الميلاني، بتصرف.

(١٩٠) كتاب هل تحب معرفة اللّه للسيد محمد الحسيني الشيرازي ص٤٣. عن كتاب (التكامل في الإسلام) ج٢.. للأستاذ أحمد أمين.

(١٩١) النجم/١١.

(١٩٢) التوحيد-الشيخ الصدوق: ب ٨ - ح ١٧- ص ١١٢.

(١٩٣) نهج البلاغة / من الخطبة ١٧٧.

(١٩٤) الأنعام/١٠٣.

(١٩٥) الأعراف/١٤٣.

(١٩٦) الشورى/١١.

(١٩٧) التوحيد عند مذهب أهل البيت - علاء الحسّون-ج ١-ص٤٢.

(١٩٨) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/ رؤية اللّه عزوجل/كيفية الرؤية القلبية-بتصرف.

(١٩٩) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري: باب الكلام في إثبات رؤية اللّه تعالى بالأبصار في الآخرة، ص ٢٦.

(٢٠٠) التوحيد عند مذهب أهل البيت -علاء الحسّون-ج١ -ص ١٢٩.

(٢٠١) القيامة/٢٢- ٢٣.

(٢٠٢) رد في الصحاح للجوهري: ٢ / ٨٣٠: "النظر: تأمّل الشيء بالعين".

(٢٠٣) ورد في الصحاح للجوهري: ٢ / ٨٣٠: «النظر: تأمّل الشيء بالعين».

(٢٠٤) التوحيد- الشيخ الصدوق- باب ٨ ، ح ١٩- ص ١١٣.

(٢٠٥) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٣٦ - ص ٤٠٦.

(٢٠٦) الوافي- الفيض الكاشاني- ج١- ص٨٤-نقلاً عن (الكافي).

(٢٠٧) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٤٣ -ص ٦٥.

(٢٠٨) الحديد/١٢.

(٢٠٩) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ١٦.

(٢١٠) أخبار الأُول وآثار الدول لأحمد بن يوسف الدمشقي ، نقلاً عن كتاب: شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٠ -ص ٢٤٤.

(٢١١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٥٤.

(٢١٢) وفاة الصديقة الزهراء-السيد عبد الرزاق المقرم - ص ١٠٣ .

(٢١٣) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي- ج٤-ص٧٤-٧٦.

(٢١٤) وفاة الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ- عبد الرزاق المقرم- ص١٤٤.

(٢١٥) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي- ص ٧٨- ٧٩.

(٢١٦) مقاتل الطالبيين: ٢٩، المناقب لابن المغازلي: ٣٤٠ ح ٣٩٢، أسد الغابة: ٥ / ٥٢٠، الاستيعاب: ٤ / ٣٨٠، تهذيب التهذيب: ١٢ / ٤٤٠.

(٢١٧) سيّدة النساء فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ-علي موسى الكعبي-ج١-ص٣٥.

(٢١٨) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص ٢٧١.

(٢١٩) صحيح الجامع: ٣٩٥٤.

(٢٢٠) كنز العمال ٣٧٧٢٦:١٣.

(٢٢١) مستدرك الحاكم ١ : ٤٨٩ و ٣ : ١٦٥.

(٢٢٢) مناقب ابن شهرآشوب ٣ : ٣٣٤. ومقتل الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ/ الخوارزمي ١ : ٦٦.

(٢٢٣) مستدرك الحاكم ٣ : ١٥٦.

(٢٢٤) مقتل الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- الخوارزمي- ١ : ٦٦. وذخائر العقبىٰ : ١٣٠.

(٢٢٥) آل عمران/٣٦.

(٢٢٦) البقرة/٢٣٣.

(٢٢٧) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٧١ - ص ٤٩.

(٢٢٨) البدء والتاريخ -المقدسي- ٥ : ٢٠ .

(٢٢٩) صحيح مسلم- ٣ - ١٤١٨ | ١٠٧ كتاب الجهاد والسير.

(٢٣٠) صحيح مسلم- ٣ - ١٤١٦ | ١٠١ كتاب الجهاد والسير.

(٢٣١) المعجم الكبير- ٢٢ -٢٢٥ | ٥٩٥ و ٥٩٦ . ومستدرك الحاكم- ١ - ٤٨٨ و ٣ : ١٥٥ .

(٢٣٢) مجمع الزوائد ١٠ : ٣١٢ .

(٢٣٣) مناقب ابن شهرآشوب- ٣ -ص ٣٣٣ . وبحار الأنوار-ج ٤٣ -ص ٤٠ .

(٢٣٤) سيدة النساء فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ-علي موسى الكعبي- ص٣٧-٣٨.

(٢٣٥) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٤٣ - ص ١٨١.

(٢٣٦) البقرة/٢٦١.

(٢٣٧) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ١ - ص ٥١٨.

(٢٣٨) رواه الترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجه (١٤٤) وأحمد (١٧١١١).

(٢٣٩) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢٤٠) الأحزاب/٦.

(٢٤١) الأحزاب/٥٣.

(٢٤٢) انظر تفسير الميزان-السيد الطباطبائي- ج١٦ -ص٢٧٧.

(٢٤٣) الأحزاب/٢٩-٣١.

(٢٤٤) الميزان-السيد الطبأطبائي- ج١٦ -ص٣٨.

(٢٤٥) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/الأسئلة العقائدية/ أمهات المؤمنين/معنى هذا اللقب وهل فيه ميزة تفضيل؟

(٢٤٦) الأحزاب/٦.

(٢٤٧) الأحزاب/٣٢.

(٢٤٨) الأحزاب/٣٣.

(٢٤٩) التحريم/٤.

(٢٥٠) التحريم/٥.

(٢٥١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/- عائشة بنت أبي بكر- صفة أمومة المؤمنين لا تعني العصمة من دخول النار.

(٢٥٢) التحريم/١.

(٢٥٣) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي- ص ٢٧٦.

(٢٥٤) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٤٣- ص٢٢.

(٢٥٥) طه/٨١.

(٢٥٦) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٣٦- ص ١١.

(٢٥٧) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٣٦- ص٨.

(٢٥٨) الأحزاب/ ٣٣.

(٢٥٩) دلائل الامامة -محمد بن جرير الطبري (الشيعي)- ص ١٠٦.

(٢٦٠) آل عمران/٣١.

(٢٦١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/

فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ-بكاؤها (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ) على أبيها (صلى اللّه عليه وآله).

(٢٦٢) نعشه أي: رفعه.

(٢٦٣) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٢- ص٣.

(٢٦٤) هود/١١٣.

(٢٦٥) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٢- ص ٩٣٢.

(٢٦٦) البحار- العلامة المجلسي -ج٤٣- ص١٩٢، عن (روضة الواعظين) للفتال النيسابوري.

(٢٦٧) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-السر في دفنها ليلاً وإخفاء قبرها(عليها السلام)

(٢٦٨) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-الشيخ الهنداوي-ص ٨١.

(٢٦٩) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-الشيخ الهنداوي-ص ٧٦- ٧٧.

(٢٧٠) ديوان الشيخ صالح الكواز.

(٢٧١) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-الشيخ الهنداوي- ج٤-ص٥٩-٦٠.

(٢٧٢) الحجرات/١٢.

(٢٧٣) الشيخ حسن الصفّار/saffar.org/دروس/من نور القرآن/ الغيبة وآثارها على المجتمع.

(٢٧٤) شبكة الألوكة/alukah.net/ المواقع الشخصية/ مواقع المشايخ والعلماء/ د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري/ خطب منبرية -الغيبة فاكهة المجالس المحرمة (١)-بتصرف.

(٢٧٥) الشيخ حسن الصفّار/saffar.org/دروس/من نور القرآن/ -الغيبة وآثارها على المجتمع-بتصرف.

(٢٧٦) منهاج الصالحين -السيد السيستاني- ج ١- ص ١٧.

(٢٧٧) جامع السعادات -محمد مهدي النراقي- ج ٢- ص٢٢٦.

(٢٧٨) الذنوب الكبيرة -عبد الحسين دستغيب- ج٢-ص٢٦٩-٢٧٠- بتصرف .

(٢٧٩) المحجة البيضاء-المجلد ٥-صفحة ٢٥٦.

(٢٨٠) منهاج الصالحين -السيد السيستاني- ج ١- ص١٧.

(٢٨١) صحيح مسلم. باب تحريم الغيبة، ص١٣٩٧، حديث٢٥٨٩.

(٢٨٢) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ١- ص٣١٤.

(٢٨٣) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٢- ص ٦٣٨.

(٢٨٤) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٦٤- ص ٧١.

(٢٨٥) الحجرات/١١.

(٢٨٦) مجمع البيان-الشيخ الطبرسي- ج ٩- ص ١٣٦.

(٢٨٧) عقاب الأعمال: ٣٣٥، (باب مجمع عقوبات الأعمال)، والوسائل ٨: ٦١٨، الباب ١٦٤ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٦.

(٢٨٨) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/الغيبة-سؤال رقم(٧).

(٢٨٩) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/الغيبة-سؤال رقم(٣).

(٢٩٠) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل -الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- ج ١٦- ص ٥٥١.

(٢٩١) الذنوب الكبيرة- دستغيب- ج٢- ص٢٦٤.

(٢٩٢) آل عمران/٣٠.

(٢٩٣) الكهف/٤٩.

(٢٩٤) جامع أحاديث الشيعة -السيد البروجردي- ج ١٦- ص ٣٦٦.

(٢٩٥) بحوث أخلاقية من الأربعون حديثاً -سلسلة المعارف الإسلامية -ص١٩٨.

(٢٩٦) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣- ص ٢٣٢٩.

(٢٩٧)م.ن.

(٢٩٨) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٢٦- ص ٢٣٤.
(٢٩٩) الذنوب الكبيرة- دستغيب- ج٢- ص٢٦٤-٢٦٥.

(٣٠٠) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل -الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- ج ١٦- ص ٥٥١.

(٣٠١) غرر الحكم: ٢٧٢٤، ٢٦٣٢.

(٣٠٢) بحوث أخلاقية من الأربعون حديثاً-سلسلة المعارف الإسلامية-ص٢٠٤.

(٣٠٣) البحار-المجلسي-ج ٧٥ -ص ٢٤٩ / ١٦.

(٣٠٤) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٢- ص٣٥٥.

(٣٠٥) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧٥ - ص ٢٧٦.

(٣٠٦) غرر الحكم: ٢٧٢٤.

(٣٠٧) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣- ص ٢٣٢٨.

(٣٠٨) جامع أحاديث الشيعة -السيد البروجردي- ج ٩- ص ١٩٢.

(٣٠٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٩٣- ص ٢٩٣.

(٣١٠) جامع أحاديث الشيعة -السيد البروجردي- ج ٢-ص ١٨١-١٨٢.

(٣١١) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣- ص ٢٣٢٨.

(٣١٢) فصّلت/٢١.

(٣١٣) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣- ص ٢٣٣٠.

(٣١٤) بحار الأنوار-المجلسي- ج ٧٣- ص٣٦٧.

(٣١٥) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧٣- ص ٣٣٤.

(٣١٦) منهاج الصالحين -السيد السيستاني- ج ١- ص ١٧.

(٣١٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/الغيبة-سؤال رقم(١).

(٣١٨) المحجة البيضاء-الفيض الكاشاني- ج ٥- ص ٢٥١.

(٣١٩) مستدرك الوسائل -الميرزا النوري- ج ٩- ص ١٢٦.

(٣٢٠) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج ٨- ص ٥٩٨.

(٣٢١) بحوث أخلاقية من الأربعون حديثاَ-سلسلة المعارف الإسلامية-ص١٩٥.

(٣٢٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٧٢-ص ٢١٣.

(٣٢٣) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣- ص ٢٣٢٩.

(٣٢٤) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣- ص ٢٣٣٠.

(٣٢٥) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧٢ - ص ٢٦١.

(٣٢٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٨- ص ٥١-٥٢.

(٣٢٧) مناقب ابن شهرآشوب -ج ٢- ص ٩١.

(٣٢٨) معالم الزلفى ص ٢٣٣ باب ١٠٢.

(٣٢٩) عقاب الأعمال -الصدوق- ص ١٠.

(٣٣٠) بيت الأحزان للشيخ عباس القمي.

(٣٣١) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي- ج٤-ص٦٠-٦٢.

(٣٣٢) رياض المدح والرثاء ص٢٨٠.

(٣٣٣) مجمع مصائب أهل البيت- الشيخ الهنداوي- ج٤- ص٤٥-٤٦.

(٣٣٤) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٩٧ - ص ٧٨.

(٣٣٥) غرر الحكم: ١٠٠٦٥، ١٠٠٦٦.

(٣٣٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٩٧ - ص ٧٨.

(٣٣٧)الويل وادٍ سحيق في جهنم.

(٣٣٨) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٥ - ص ١٦٤.

(٣٣٩) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٥٦.

(٣٤٠) تربية الطفل - الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب - مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٧٩.

(٣٤١) كتاب تربية الطفل- الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب- ص١٧١-١٧٢.

(٣٤٢) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج١٥- ١٧١.

(٣٤٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٦ - ص ٣٧٦.

(٣٤٤) البحار-المجلسي-ج ١٠٤ -ص ٩٩ / ٧٤.

(٣٤٥) غرر الحكم: ١٠٥٢٩، ١٠٤١٢.

(٣٤٦) الدر المنضود- السيّد الكلبايكانيّ - ج٢، ص٢٩١.

(٣٤٧)زاد المبلغات-مياسة شبع-ج١-ص١١٦.

(٣٤٨) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٦ - ص ١٤٣.

(٣٤٩) المسائل المنتخبة -السيد السيستاني- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- (مسألة ٦٣١).

(٣٥٠) صحيح مسلم- كتاب الْفَضَائِلِ بَابُ كَثْرَةِ حَيَائِهِ ص - حديث رقم ٤٤٠٨.

(٣٥١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٢١٣.

(٣٥٢) غرر الحكم: ١٠٥٢٩، ١٠٤١٢.

(٣٥٣) عدّة الداعي ونجاح الساعي، ص٨٧.

(٣٥٤) موقع بريد الأنباء الإلكتروني/ كتاب وآراء/ جاسم المطوع/ أسلوب ذكي لمعاقبة الأبناء، بتصرف.

(٣٥٥) الزمر/٧١.

(٣٥٦) غرر الحكم : ح ٦٣٢٨ و ح ٦٣٢٩.

(٣٥٧) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – الصفحة ٥٨.

(٣٥٨) مباني تكملة المنهاج- السيد الخوئي-ج١- ص٣٤٠.

(٣٥٩) مكارم الأخلاق – الشيخ الطبرسي –ص ٢٢٢.

(٣٦٠) تذكرة الفقهاء – العلامة الحلي – ج ٤ – ص ٣٣٥.

(٣٦١) علامة البلوغ في الأنثى إكمال تسع سنين هلالية، وفي الذكر أحد الأمور الثلاثة: الأول: نبات الشعر الخشن على العانة، ولا اعتبار بالزغب والشعر الضعيف. الثاني: خروج المني، سواء خرج يقظة أو نوما بجماع أو احتلام أو غيرهما.

الثالث: إكمال خمس عشرة سنة هلالية على المشهور. المصدر: منهاج الصالحين – السيد السيستاني – ج ٢ – مسألة ١٠٦٩.

(٣٦٢) صراط النجاة- جواد بن علي التبريزي – ج٦- ص٦٥.

(٣٦٣) المنهج الجديد في تربية الطفل- نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية. نقلاً عن الاستفتاءات-السيد علي السيستاني-ص١٢٥-١٢٦.

(٣٦٤) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ –ص ٥٦.

(٣٦٥) الكافي-الشيخ الكليني- ج٧ -ص٢٦٧.

(٣٦٦) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/الضرب - سؤال رقم(٥).

(٣٦٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/الضرب-سؤال رقم(٧و٤).

(٣٦٨) فتكات/ fatakat-a.com./ تربية الأطفال/أهمية العقاب الحاسم للأطفال/٢٠٢١-٠٦

(٣٦٩) البحار-المجلسي-ج ١٠٤ -ص ٩٨ / ٦٧.

(٣٧٠) الفرقان/٧٤.

(٣٧١) وفاة الصديقة -عبد الرزاق المقرم- ص٦١.

(٣٧٢) مجمع مصائب أهل البيت- الشيخ الهنداوي- ج٤- ص٤٨-٤٩.

(٣٧٣) ديوان ميراث المنبر- محمد سعيد المنصوري- ص٣١٣.

(٣٧٤) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي- ج٤-ص٤٠٥-٤٠٦.

(٣٧٥) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢ -ص ٣٧٥.

(٣٧٦) موقع النجاح/ annajah.net/أسلوب حياة/دروس الحياة/ هل نستطيع العيش دون صديق؟ -بقلم سامر العلي.

(٣٧٧) سيكولوجيا/ kenanaonline.com /التحليلات السيكلوجية/ أهمية الصداقة في حياة الإنسان العصري.

(٣٧٨) الفرقان/ ٢٨.

(٣٧٩) نهج البلاغة-الخطبة ٨٦.

(٣٨٠) التربية الأسرية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ص٦٨-١٧٧-بتصرف.

(٣٨١) رياض المسائل-الطباطبائي-ج٨ص٥٧١. صراط النجاة-السيد الخوئي-ج٣-ص٨٢٤.

(٣٨٢) ويكي شيعة/ wikishia.net/ البدعة.

(٣٨٣) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٦ - ص ٢٧٢.

(٣٨٤) بحار الأنوار- المجلسي-ج٧١-ص١٩٦/ح٢٩.

(٣٨٥) البدعة مفهومها وحدودها - مركز الرسالة - الصفحة ٢٤، نقلاً عن كنز العمال، لعلاء الدين الهندي ١٦: ١٨٤ / ٤٤٢١٦.

(٣٨٦) مستدرك سفينة البحار الشاهرودي - ج ١٠ - ص٤٧٥.

(٣٨٧) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - ص ١٣١.

(٣٨٨) غرر الحكم : ١٠٦٠٢.

(٣٨٩) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ص١٩١.

(٣٩٠) الفرقان/٢٨-٢٩.

(٣٩١) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ص١٩٨.

(٣٩٢) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧١- ص ١٧٨.

(٣٩٣) آل عمران/١٢٠.

(٣٩٤) المحجة البيضاء-الفيض الكاشاني- ج٣- ص٣٩٤.

(٣٩٥) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ص٣٦.

(٣٩٦) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧٥-ص٢٢٩.

(٣٩٧) غرر الحكم: ص٤٣٣.

(٣٩٨) الأنعام/٦٨.

(٣٩٩) ميزان الحكمة - الريشهري - ج ٤ - ص ٢٨٣٩.

(٤٠٠) راجع المحاضرة بعنوان الحرية بين الانضباط والانفلات، من كتاب زاد المبلغات -ج٢.

(٤٠١) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ص١٩٧.

(٤٠٢) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ص١٩٥.

(٤٠٣) الأخلاق في القرآن-آية اللّه مكارم الشيرازي- ج١- ص١٤١- بتصرف.

(٤٠٤) غرر الحكم: ح ٥٧٠٢.

(٤٠٥) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٩.

(٤٠٦) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ص ٢٨١.

(٤٠٧) آية الوصايا العشر-الشيخ أكرم بركات- ص١٠٥ بتصرف.

(٤٠٨) أمالي الطوسي- ح ٦ - ٦٠٩.

(٤٠٩) نهج البلاغة: ٤٩٤.

(٤١٠) موسوعة أحاديث أهل البيت ع -هادي النجفي- ج ٦-

ص٤٠.

(٤١١) ميزان الحكمة-الريشهري- ج ٢-ص١٥٨٩.

(٤١٢) غرر الحكم: ١٩٠٤، ٢٠٧٨.

(٤١٣) غرر الحكم: ١١٤٢.

(٤١٤) غرر الحكم: ٥٨٣٧- ٥٨٤٢.

(٤١٥) البحار-المجلسي-ج ٧٤ -ص١٩١ / ٥.

(٤١٦) غرر الحكم: ١٠٢٥٧.

(٤١٧) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ -ص ٤٧.

(٤١٨) البحار -المجلسي-ج ٧٤ -ص ١٧٩ / ٢٢ .

(٤١٩) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ص ١٨٠.

(٤٢٠) ميزان الحكمة - الريشهري - ج ٢ - ص ١٥٩٠.

(٤٢١) ميزان الحكمة-الريشهري- ج ٢ - ص١١٠٣.

(٤٢٢) آية الوصايا العشر- الشيخ أكرم بركات - ص١٠٦- بتصرف.

(٤٢٣) بحار الأنوار - المجلسي-ج ٧٣ -ص٢٢٩.

(٤٢٤) غرر الحكم: ٦٢١٤، ٦٤٧٢.

(٤٢٥) البحار-المجلسي-ج ٧٨ -ص ٢٣٩ / ٤.

(٤٢٦) الدكتور جاسم المطوع/drjasem.com/ مقالات/ كيف نجعل المراهقة صداقة/ (٧) أفكار في التعامل مع الصديق المتسلط.

(٤٢٧) الزخرف/٧٨.

(٤٢٨) مصادقة الإخوان -الشيخ الصدوق-ج١-ص٨٢.

(٤٢٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧١ - ص ٢٨٢.

(٤٣٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٤ - ص ٨٤.

(٤٣١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١١.

(٤٣٢) الأنوار البهية - الشيخ عباس القمي - ص ٢٢١.

(٤٣٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - ص ١٦٦.

(٤٣٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص٤٨٦.

(٤٣٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٤٠٢.

(٤٣٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٤٠٢.

(٤٣٧) غرر الحكم: ٦٧٤- ١٦٦٩.

(٤٣٨) غرر الحكم: ٦٧٤، ١٦٦٩.

(٤٣٩) غرر الحكم:٤٦.

(٤٤٠) ميراث المنبر. حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي.

(٤٤١) مجمع مصائب أهل البيت اللّه-الشيخ الهنداوي- ج٤-ص٤٠٦-٤٠٨.

(٤٤٢) الأنوار القدسية ديوان الشيخ محمد حسين الاصفهاني.

(٤٤٣) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي-ص٥٠-٥١.

(٤٤٤) غرر الحكم: ٥٤٤٩.

(٤٤٥) الشمس/٩ .

(٤٤٦) الأعلى/١٤.

(٤٤٧) لسان العرب-ابن منظور-ج٣ -ص٣٦.

(٤٤٨) الشيخ حسن الصفار/saffar.org/ خطب الجمعة النصيّة/ زكاة العلم.

(٤٤٩) كتاب لؤلؤة العفاف - محمود أكبري - ص٩.

(٤٥٠) مستدرك الوسائل-حسين النوري- ج١١-ص٢٦٣.

(٤٥١) النور/٣٣.

(٤٥٢) النور/ ٦٠.

(٤٥٣) ميزان الحكمة -الريشهري -ج٣ -ص٢٠٠٩.

(٤٥٤) غرر الحكم: ٧٣٠١.

(٤٥٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١١٥١.

(٤٥٦) م.ن.

(٤٥٧) التوبة/١٠٣.

(٤٥٨) الشيخ حسن الصفار/saffar.org/ خطب الجمعة النصيّة/ زكاة العلم.

(٤٥٩) غرر الحكم: ٨٧٦.

(٤٦٠) مضمونه مروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. المصدر: بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٦٧ - الصفحة ٢٥.

(٤٦١) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ٢٠ - ص ٢٧٩.

(٤٦٢) مستدرك الوسائل - المحدّث النوري - ج٧ - ١٨٨.

(٤٦٣) البحار-المجلسي-ج ٩٦ -ص ١٤ / ٢٧ .

(٤٦٤) الشيخ حسن الصفار/saffar.org/ خطب الجمعة النصيّة/ زكاة العلم.

(٤٦٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٥١.

(٤٦٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٤٨.

(٤٦٧) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٣٩٠.

(٤٦٨) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص٥٠.

(٤٦٩) نزهة الناظر و تنبيه الخاطر- حسين الحلوان- ص١٤٥.

(٤٧٠) الأعراف/٣٢.

(٤٧١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٠ - ص ١٧٥.

(٤٧٢) الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - ج ١ - ص١٨٤.

(٤٧٣) ننصح بمراجعة المحاضرة المعنونة (أهداف الحجاب)

فـــي كتـــاب (زاد المبلغـــات) -مياســـة شـــبع - ج١- ص٧٨.

(٤٧٤) الحجاب - مركز المعارف للتأليف والتحقيق - ص ٥٤.

(٤٧٥) الأعراف/٢٦.

(٤٧٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٤١٦.

(٤٧٧) غرر الحكم: ٤٧٤٨ .

(٤٧٨) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٤١٦.

(٤٧٩)م.ن.

(٤٨٠)م.ن.

(٤٨١)م.ن.

(٤٨٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٤ - ص١٥٩.

(٤٨٣) موقـــع الســـراج/ alseraj.net /المحاضـــرات/ الجميلـــة والمليحـــة - للشـــيخ حبيـــب الكاظمـــي.

(٤٨٤) بحار الأنوار-المجلسي - ج ١٠٠ - ص ٢٤٥.

(٤٨٥) النجـــاح/ annajah.net/ أســـلوب حياة/الجمـــال والعنايـــة الشـــخصية/هوس عمليـــات التجميـــل.

(٤٨٦) النجـــاح/ annajah.net/ اســـلوب حياة/الجمـــال والعنايـــة الشـــخصية/العناية بالبشـــرة - لمـــاذا تضـــع النســـاء المكيـــاج؟ رأي العلـــم فـــي هـــوس المكيـــاج- بتصـــرف.

(٤٨٧) النجـــاح/ annajah.net/ أســـلوب حياة/الجمـــال والعنايـــة الشـــخصية/هوس عمليـــات التجميـــل- بتصـــرف.

(٤٨٨) تجميلي/ tajmeeli.com/ما هي أضرار ومخاطر عمليات التجميل وكيف تتجنبها؟- بقلم Dr. Ghofran Habeeb

(٤٨٩) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٥٠٨.

(٤٩٠) النور/٣١.

(٤٩١) المجيب/ almojib.com/ جامعة النجف الحوزوية الإلكترونية النسوية حسب رأي السيد السيستاني - ما حكم توريد الشفه ونفخها.

(٤٩٢) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ العدسات اللاصقة.

(٤٩٣) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ الوشم-سؤال رقم (٨).

(٤٩٤) إذا لا يمكنها إزالته فوجب عليها الجمع بين الوضوء أو الغُسل والتيمّم.

(٤٩٥) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ الصلاة/ مكياج المرأة-سؤال رقم (١٣).

(٤٩٦) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ الصلاة/ مكياج المرأة - سؤال رقم (٩).

(٤٩٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ الصلاة/مكياج المرأة - سؤال رقم (١٢).

(٤٩٨) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص٥٨.

(٤٩٩) الواقعة/٧٩.

(٥٠٠) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/

الاستفتاءات/ عمليات التجميل - سؤال رقم (٥).

(٥٠١) م. ن- سؤال رقم (٥).

(٥٠٢) النجاح/ annajah.net/ أسلوب حياة/الجمال والعناية الشخصية/هوس عمليات التجميل- بتصرف.

(٥٠٣) الأحزاب/٣٣.

(٥٠٤) الحجرات/١٣.

(٥٠٥) الهجوم على بيت فاطمة- عبد الزهراء مهدي - ص١٢٤.

(٥٠٦) القصيدة للشاعر السيد محمد بن السيد مهدي القزويني.

(٥٠٧) للشاعر عبداللّه مراد الكربلائي.

(٥٠٨)شعراء أهل البيت/ الموسوعة الشعرية/حسب الدول الحالية/شعراء العراق/أبو رضا السماوي.

(٥٠٩) عيون الحكم و المواعظ: ٩٦.

(٥١٠) تفسير الميزان -السيد الطباطبائي- ج ٩ - ص ١١٣.

(٥١١) النجاح/ annajah.net / الأسرة والمجتمع/ العلاقات الزوجية/ الطلاق/ الخيانة: أنواعها، وآثارها، وكيف نتجاوز هذه التجربة القاسية -بتصرف.

(٥١٢) النساء/٢١.

(٥١٣) من وحي القرآن-سيد ﷺ فضل اللّه- ج٧ -ص١٦٧.

(٥١٤) النساء/٣٤.

(٥١٥) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٣ - الصفحة ٢١٩-بتصرف.

(٥١٦) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٥ -ص٣٢٧.

(٥١٧)م.ن.

(٥١٨)م.ن.

(٥١٩)الكافي- الكليني- ج٧-ص٤٠٧.

(٥٢٠) نهج البلاغة، (تحقيق الصّالح)، ص ٣٦٦.

(٥٢١) مكارم الأخلاق / -الطبرسي-ص٢٠٢.

(٥٢٢) وسائل الشيعة (الإسلامية) -الحر العاملي- ج ١٤ - ص ١١٧.

(٥٢٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٣ - ص ٣٢٩.

(٥٢٤) يوسف/ ٥١-٥٢.

(٥٢٥) وسائل الشيعة -الحر العاملي- ج ٢١ - ص ٥٤٣.

(٥٢٦) عوالي اللآلي- ج ٢ -ص ١٤٢-رقم ٣٩٦ .

(٥٢٧) الإسراء/٣٢.

(٥٢٨) النساء/٣.

(٥٢٩) منهاج الصالحين-السيد السيستاني- ج٣-كتاب النكاح- مسألة٣٣٣.

(٥٣٠) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٣ - ص٢١٤٦.

(٥٣١) موقع بينات/ bayynat.org.lb/ أرشيف السيد / حوارات تربوية/ أرشيف السيد حوارات تربوية مقابلات العام ٢٠٠٠/ رأي المرجع فضل اللّه حول الخيانة الزّوجيّة والشّرف والتعدّديّة.

(٥٣٢) من لا يحضره الفقيه -الشيخ الصدوق- ج ٣ - ص ٤٤٤.

(٥٣٣)النساء/٣٤.

(٥٣٤) مجلة الزهراء عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ/ darolzahra.com/ العدد ١٤٠/ ترويح القراء/ سلوني قبل أن تفقدوني.

(٥٣٥) مجلة النهار الإلكترونية/ annaharkw.com/ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨ رقم العدد:٤٠١/ الخيانة الزوجية أسبابها، ومبرراتها.

(٥٣٦) الإسراء/٣٢.

(٥٣٧) تفسير الأمثل-ناصر مكارم الشيرازي-ج٨ -ص٤٦٤.

(٥٣٨) البطش: التناول بشدة عند الصولة.

(٥٣٩) جامع أحاديث الشيعة -السيد البروجردي- ج ٢٠ - ص ٢٧٩.

(٥٤٠) صحيح البخاري-٦٦١٢.

(٥٤١) الإسراء/٣٦.

(٥٤٢) النور/٣٠-٣١.

(٥٤٣) موقع السيد السيستاني/ sistani.org / الاستفتاءات/ التحدّث مع الأجنبي-سؤال رقم(٧).

(٥٤٤) النور/٣١.

(٥٤٥) فصلت/٢١.

(٥٤٦) المؤمنون/٥.

(٥٤٧) ويكي شيعة -الموسوعة الإلكترونية لمدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(٥٤٨) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧٦ - ص ١٨٧.

(٥٤٩) وسائل الشيعة -الحر العاملي- ج ١٩ - ص ٨١.

(٥٥٠) النجاح/ annajah.net / الأسرة والمجتمع/ العلاقات الزوجية/ الطلاق/ الخيانة: أنواعها، وآثارها، وكيف نتجاوز هذه التجربة القاسية -بتصرف.

(٥٥١) جامع أحاديث الشيعة -السيد البروجردي- ج ٢٥ - ص ٢٢٢.

(٥٥٢) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٥ - ص١٣٣.

(٥٥٣) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٥ - ص ٥٤٣.

(٥٥٤)م.ن.

(٥٥٥) وسائل الشيعة -الحر العاملي- ج ١٦ - ص ٢٧٣.

(٥٥٦) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ٢ -ص ١١٦٤.

(٥٥٧) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٧٦ - ص ٢٢.

(٥٥٨) بحار الأنوار -العلامة المجلسي- ج ٧٣ - ص ٣٦٦.

(٥٥٩) ميزان الحكمة -محمد الريشهري- ج ١ - ص ٨٣٦.
(٥٦٠) تاريخ الطبري-الطبري- ج ٤- ص ٤٩٥.

(٥٦١) الفخري- ابن الطقطقي - ص ١٢٢.

(٥٦٢) أسد الغابة- ابن الأثير ج ٤- ص ٣٤٧.

(٥٦٣) اختيار معرفة الرجال: ص ١٢٧ الرقم ٢٠٢.

(٥٦٤) العوالم ، الإمام الحسين (ع) - الشيخ عبد اللّه البحراني - ص ٦٤٩.

(٥٦٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ - ص٣٤٣.

(٥٦٦) أسد الغابة-ابن الأثير- ج ٤-ص٣٤٧.

(٥٦٧) الكامل في التاريخ -ابن الأثير- ج ٤- ص ٢٧٥.

(٥٦٨)درر العراق/dorar-alira.net/ منتدى الشعر الشعبي/قصيدة في ذكرى أستشهاد المختار بن الثقفي (رضوان اللّه عليه).

الحمد لله